

دروس في علوم القرآن

نذير الحسني

مركز المصطفى (ص) العالمي للدراسات والتحقيق


بسم الله الرحمن الرحیم



جامعة المصطفى ﷺ الألكترونية عبرالإنترنيت (المجازية)

سرشناسه: الحسني، سيد نذير ۱۹۶۸ - م. alhasani,nazir

عنوان ونام پديدآور: دروس في علوم القرآن/ سيدنذير حسني.

مشخصات نشر: قم : مركزالمصطفى ﷺ العالمي للترجمه والنشر، ۱۳۹۲.

مشخصات ظاهرى: ۳۵۲ ص.

فروست: مركز بين‌المللى ترجمه و نشرالمصطفى .دانشگاه مجازى‌المصطفى؛ ۱

شابک: ۹۷۸-۹۶۴-۱۹۵-۷۳۹-۳

وضعيت‌فهرستنويسى: فيپا

يادداشت: عربى.

يادداشت: كتابنامه

موضوع: قرآن -- علوم قرآنى

شناسه افزوده: جامعة المصطفى ﷺ العالمية. مركز بين‌المللى ترجمه و نشر المصطفى ﷺ

رده بندى كنگره: BP ۶۹/۵/هـ۵د۴ ۱۳۹۲

رده بندى ديويى: ۲۹۷/۱۵

شماره كتابشناسى ملى: ۳۳۹۲۲۵۹

دروس في علوم القرآن

نذير الحسني



دروس في علوم القرآن

المؤلف: نذير الحسني

الطَّبعة الأولى: ١٤٣٥ق / ١٣٩٢ش

النّاشر: مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة والنشر

المطبعة: زلال كوثر ● **السّعر:** ١١٥٠٠٠ ريال ● **عدد النّسخ:** ٣٠٠ نسخة

مراكز التوزيع:

- قم، ساحة الشهداء، شارع معلم الغربي (شارع الحجّتية)، زقاق ١٨. هاتف: ٠٢٥٣٧٨٣٩٣٠٦ ٩٨+
- قم، شارع محمّد الأمين، تقاطع سالارية. هاتف ٠٢٥٣٢١٣٣١٠٦ ٩٨+ فاكس: ٠٢٥٣٢١٣٣١٤٦ ٩٨+
- طهران، شارع انقلاب، بين شارع الوصال وشارع الشيرازي، الرقم ١٠٠٣. هاتف: ٠٢١٦٦٩٧٨٩٢٠ ٩٨+
- مشهد المقدّسة، شارع الإمام الرضا ﷺ، شارع دانش الشرقي، بين فرعي ١٥و١٧. هاتف: ٠٥١١٨٥٤٣٠٥٩ ٩٨+

pub.miu.ac.ir miup@pub.miu.ac.ir

نشكر أعضاء المركز الذين تابعوا مراحل تنضيد الحروف والمقابلة والطباعة والنشر حتى مراحله الأخيرة.

- **مدير مركز النشر:** محمد سعيد پناهي
- **مدير الإنتاج:** تورج روحاني
- **المشرف على الإنتاج:** جعفر قاسمي الأبهري
- **المشرف الفني:** محمدباقر شكري
- **مصمم الغلاف:** مسعود مهدوي
- **المشرف على الطباعة:** نعمت‌الله يزداني
- **الإعداد الفني:** حسن ترابي
- **الإخراج الفني:** السيّد جاويد حسيني
- **المراجعة والتقويم:** عادل الأسدي
- **المقابلة الفنية:** جواد حاج حسيني

كلمة الناشر

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين،

وبعد، إنّ التطوّر المعرفي الذي يشهده عالمنا اليوم في مختلف المجالات، بخاصة بعد ثورة الاتصالات الحديثة التي هيأت فرصاً فريدة للاطلاع الواسع، ودفعت بعجلة الفكر والثقافة إلى آفاق واسعة.

فغدا الإنسان يترقّب في كل يوم تطوّراً جديداً في البحوث العلمية، وفي المناهج التي تنسجم مع هذا التطوّر الهائل. ومع كلّ ذلك بقيت بعض المناهج الدراسية حبيست الماضي ومقرراته.

وبعد أن بزغ فجر الثورة الاسلامية المباركة بقيادة الإمام الخميني٭، انبثقت ثورة علمية وثقافية كبرى، مما حدا برجال العلم والفكر في الجمهورية الإسلامية أن يعملوا على صياغة مناهج جديدة لمجمل العلوم الإنسانية، وللعلوم الإسلامية بشكل خاص؛ فأحدث هذا الأمر تغييراً جذرياً وأساسياً في المناهج الدراسية في الحوزات العلمية والجامعات الأكاديمية وهذا يستلزم إعادة النظر في أصول ومصادر الكتب الدراسية العلمية المعتبرة؛ فازدادت العلوم الإسلامية لذلك نشاطاً وحيوية وعمقاً واتساعاً.

وفي ظل إرشادات قائد الجمهورية الإسلامية الإمام الخامنئي(مدّظله)؛ أخذت المؤسسات العلمية والثقافية على عاتقها تجديد المناهج الدراسية وتحديثها على مختلف الصعد، بخاصة مناهج الحوزة العلمية، التي هي ثمرة جهود كبار الفقهاء والمفكرين عبر تاريخها المجيد.

من هنا بادرت جامعة المصطفى ﷺ العالمية إلى تبنّي: المنهج العلمي الجديد في نظامها الدراسي، وفي التأليف، والتحقيق وتدوين الكتب الدراسية لمختلف المراحل الدراسية ولجميع الفروع العلمية، ولشتى الموضوعات بما ينسجم مع المتغيّرات الحاصلة في مجمل دوائر الفكر والمعرفة.

فقامت بمخاطبة العلماء والأساتذة، ليساهموا في وضع مناهج حديثة للعلوم الإسلامية خاصة، ولسائر العلوم الإنسانية: كعلوم القرآن، والحديث والفقه، والتفسير، والإصول، وعلم الكلام والفلسفة، والسيرة والتأريخ، والأخلاق، والآداب، والاجتماع، والنفس، وغيرها، حملت هذه المناهج طابعاً أكاديمياً مع حفاظها على الجانب العلمي الأصيل المتّبع في الحوزة العلمية.

ومن أجل نشر هذه المعارف والعلوم، بادرت جامعة المصطفى العالمية ﷺ إلى تأسيس «مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة والنشر» لتحقيق، وترجمة، ونشر كلِّ ما يصدر عن هذه الجامعة الكبيرة، مما ألّفه أو حقّقه العلماء والأساتذة في مختلف الاختصاصات وبمختلف اللغات.

والكتاب الذي بين يديك أيّها القارئ العزيز، هو مفردة من مفردات هذه المنظومة الدراسية الواسعة، قام بتأليفة الأستاذ الفاضل **الدكتور نذير الحسني**.

ويحرص مركز المصطفى العالمي على تسجيل تقديره لمؤلفه الجليل على مابذله من جهد وعناية، كما يشكر كلّاً من ساهم بجهوده لإعداد هذا الكتاب وتقديمه للقراء الكرام.

وفي الختامِ نتوجّه بالرجاء إلى العلماء والأساتذة وأصحاب الفضيلة. للمساهمة في ترشيد هذا المشروع الإسلامي بما لديهم من آراء بنّائة وخبرات علمية ومنهجية، وأن يبعثوا إلينا بما يستدركون عليها من خطأ أو نقص يلازمِ الإنسان عادة، لتلافيهما في الطبعات اللاحقة، نسأله تبارك وتعالى التوفيق والسداد، والله من وراء القصد.

مركز المصطفى ﷺ العالمي

للترجمه والنشر

مقدمة جامعة المصطفى ﷺ الإلكترونية عبرالإنترنيت (المجازية)

على مدى التاريخ يبحث الإنسان عن الطرق السليمة لتطوير القيم المعنوية والروحية التي توصله إلى مدارج الرقيّ والكمال، وهذا نداء خالد أبدي فطري دعا إليه الأنبياء عليهم السلام عبر العصور، لتحقيق الهدف النهائي الذي خلق من أجله الإنسان ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] و بتحقيق هذا الهدف العظيم تستقيم حياة بني البشر في جميع الميادين، و يحيى الإنسان حياة سعيده تتطوّر باستمرار نحو الكمال والسعادة الأبدية.

وجامعة المصطفى ﷺ الإلكترونية (المجازية) تسعى بكل جهدها للاستفادة من الأساليب العلمية والفنية الحديثة، لطرح النظريات والمعلومات التي تخدم الرسالة الإلهية التي جاء بها خاتم الأنبياء ﷺ وأوصياؤه الأطهار عليهم السلام وأصحابهم المخلصين، والتي تهدف إلى خدمة الإنسانية عموماً و عرضها بين يدي طلّاب المعرفة والباحثين عن الحقيقة في كلّ مكان من أرجاء المعمورة، عبرالإنترنيت وبالأساليب التقنية المتطوّرة، لتكون منهاجاً صالحاً ومتيناً يعتمد عليه الإنسان المعاصر في مسيرته الربانية الصاعدة.

---

١. الذاريات: ٥٦.

ودائرة التحقيق والتأليف في جامعة المصطفى ﷺ وبالتعاون مع جماعة من الأساتذة والمؤلفين الكبار تضع جميع إمكانياتها لخدمة طلاب المعرفة، و تقوم بتأليف الكتب الدراسية الأساسية منها والفرعية، و بمختلف اللغات العالمية الحيّة، ولمختلف العلوم والمراحل الدراسية.

وبناءً على الطلبات المتكررة من الإخوة الراغبين والمعجبين الأعزاء قامت بطباعة كثير من الكتب الدراسية النافعه؛ لتحقيق رغباتهم؛ خدمة للعلم وللإنسانية وللشريعة الغرّاء، والله من وراء القصد.

والكتاب الذي بين يديك قارئي العزيز، هو مفردة من مفردات هذه المنظومة الدراسية الواسعة، قام بتأليفة الأستاذ الفاضل **الدكتور نذير الحسني**.

وتحرص جامعة المصطفى ﷺ الأكترونية على تسجيل تقديرها لمؤلفه الجليل على مابذله من جهد وعناية، كما يشكر كلٍّ من ساهم بجهوده لإعداد هذا الكتاب وتقديمه للقرّاء الكرام.

جامعة المصطفى ﷺ الإلكترونية عبرالإنترنيت (المجازية)

الفهرس

المقدّمة ١٩

منهجية الكتاب ١٩

إعداد هذا الكتاب لمرحلة البكالوريوس ٢٠

مصادر الكتاب ٢٠

طريقة تدريس الكتاب ٢٠

الدرس الأوّل: علوم القرآن (١)

تمهيد ٢٣

الواقع الجاهلي ٢٣

مأساة المسلمين بعد رسول الله ﷺ ٢٥

تبلور علومِ القرآن ٢٦

السابقة الدراسية لعلومِ القرآن ٢٦

الدرس الثاني: علوم القرآن (٢)

١. تعريف علومِ القرآن ٣١

٢. مكانة علومِ القرآن ٣١

٣. أقسامِ علومِ القرآن ٣٢

٤. أهمّية علومِ القرآن الكريمِ ٣٢

الدرس الثالث: أسماء القرآن وصفاته

تعدد الآراء في أسماء وصفات الكتاب العزيز ٣٥

وجوه أسماء القرآن ٣٧

الدرس الرابع: الوحي

الوحي لغةً ٤٣
الوحي في القرآن ٤٤
ملاحظة ٤٥

الدرس الخامس: أساليب الوحي إلى نبينا الكريم

وجوه نزول الوحي ٥١
موقف النبيّ من الوحي ٥٣

الدرس السادس: المستشرقون وقصّة الغرانيق

المستشرقون وقصّة الغرانيق ٥٩
مناقشة هذه الشبهة ٦٠

الدرس السابع: نزول القرآن وتنزيله

تاريخ النزول وطبيعته ٦٣
التوجيهات التي ذكرت لحل ذلك التعارض ٦٤
التوجيه الأوّل ٦٤

الدرس الثامن: الأدلّة على النزول الدفعي والتدريجي (١)

التوجيه الأول ٦٨
التوجيه الثاني ٦٩
التوجيه الثالث ٦٩
التوجيه الرابع ٦٩
التوجيه الخامس ٦٩

الدرس التاسع: الأدلّة على النزول الدفعي والتدريجي (٢)

التوجيه السادس ٧٣

الدرس العاشر

فوائد وأسرار النزول التدريجي للقرآن ٧٩

الدرس الحادي عشر: أوّل ما نزل من القرآن

أوّل ما نزل من القرآن ٨٣

آخر ما نزل من القرآن ٨٦

الدرس الثاني عشر: المكّي والمدني

فائدة المكّي والمدني ٩١
نظريات المكّي والمدني ٩١

الدرس الثالث عشر

مراحل التعرّف على المكّي والمدني ٩٥

الدرس الرابع عشر: عدد السور المكّية والمدنية وترتيب نزولها

الاعتماد على النصوص الروائية في ترتيب السور حسب النزول ٩٩
أعداد السور وترتيب نزولها ١٠٠
السور المكّية في القرآن الكريم (٨٦ سورة) ١٠٠
السور المدنيّة في القرآن الكريم (٢٨ سورة) ١٠٤

الدرس الخامس عشر: أسباب النزول(١)

التعريف والتسمية ١١١
التنزيل والتأويل ١١٣
العبرة بعمومِ اللفظ لا بخصوص المورد ١١٤
نزول القرآن «إيّاك أعني فاسمعي يا جارة» ١١٥
كيف نهتدي إلى معالم القرآن؟ ١١٦

الدرس السادس عشر: أسباب النزول (٢)

تقسيم آيات القرآن من جهة أسباب النزول ١٢١
المزايا والقواعد المترتبة على معرفة أسباب النزول ١٢٢

الدرس السابع عشر: روايات أسباب النزول(١)

حجيّة أحاديث أسباب النزول وعدمها ١٢٩

الدرس الثامن عشر: روايات أسباب النزول(٢)

الفرق بين الاصطلاحين ١٣٥
العبرة بعمومِ اللفظ لا بخصوص السبب ١٣٦
تعدد الأسباب والنازل واحد وبالعكس ١٣٧

الدرس التاسع عشر: تدوين القرآن

المراحل التي تمّ فيها جمع القرآن ١٤١
نظم كلماته..... ١٤٢
تأليف آياته..... ١٤٣

الدرس العشرون: ترتيب السور القرآنية وتسلسلها

هل رتبت السور على عهد رسول الله أو بعد رحلته؟..... ١٤٧

الدرس الحادي والعشرون: مراحل الجمع ومصاديقه

تنوّع المراحل التي جمع بها القرآن الكريم..... ١٥١

الدرس الثاني والعشرون: جمع علي بن أبي طالب عليه السلام

إعلان الإمام علي عليه السلام عن جمعه للمصحف..... ١٥٥
جمع زيد بن ثابت ١٥٦
دعودة زيد لجمع المصحف..... ١٥٧
منهج زيد في جمع المصحف ١٥٧
مصاحف أخرى للصحابة..... ١٥٨

الدرس الثالث والعشرون: معنى الجمع في عصر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله

حفظ القرآن في صدور الأصحاب..... ١٦٣

الدرس الرابع والعشرون: فكرة توحيد المصاحف

أوّل من فكر في جمع المصحف..... ١٧٣
لجنة توحيد المصاحف..... ١٧٥

الدرس الخامس والعشرون: المصاحف العثمانية

عدد المصاحف العثمانيّة..... ١٧٩
مزايا المصاحف العثمانيّة..... ١٨٠
ضبط الخط الذي دون به المصحف الشريف..... ١٨٠

الدرس السادس والعشرون: الشكل والإعجام

تطوّر الخطّ العربي ودوره في الرسم القرآني..... ١٨٥

الدرس السابع والعشرون: المخالفات في رسم الخطّ القرآني

اختلاف الخطّ القرآني عن قواعد الخطّ العامة..... ١٩١

نماذج من مخالفات الرَسمِ ١٩٢
التناقضات في الرسمِ العثماني ١٩٣
الموقف من الشكل والإعجام ١٩٤

الدرس الثامن والعشرون: الإناقة والتجويد

أنواع الخطوط التي دوّن بها المصحف الشريف ١٩٧

الدرس التاسع والعشرون: نشوء القراءات وتطوّرها

عوامل نشوء الاختلاف ٢٠١

الدرس الثلاثون

أسباب أُخرى في تعدد القراءات ٢٠٥

الدرس الحادي والثلاثون: ضوابط قبول القراءة

شروط قبول القراءة ٢١١
تواتر القرآن ٢١٢
ملاك صحّة القراءة ٢١٤

الدرس الثاني والثلاثون: تتمة الشروط الخاصّة بتوافق القراءة مع الثبت

تتمة الشروط ٢١٩
القراءة المختارة ٢٢١

الدرس الثالث والثلاثون: وجوه اختلاف القراءات

الوجوه التي أوردها ابن قتيبة ٢٢٥

الدرس الرابع والثلاثون: الإعجاز لغة واصطلاحاً

الإعجاز لغة ٢٣١
نتيجة المعنى اللغوي لمصطلح الإعجاز ٢٣٢
الإعجاز اصطلاحاً ٢٣٣
المعجزة لغة واصطلاحاً ٢٣٣
المعجزة لغةً ٢٣٣
المعجزة اصطلاحاً ٢٣٣

الدرس الخامس والثلاثون: المراحل والأدوار التي مرّ بها بحث الإعجاز

أسباب انحسار الكتابات القرآنية في العهد القرون الأولى.......... ٢٣٧
التحدّي ومراحله ٢٤١

الدرس السادس والثلاثون: وجوه إعجاز القرآن

الإعجاز البياني ٢٤٦

الدرس السابع والثلاثون: أساليب الإعجاز البياني

أولاً: الأسلوب العلمي.......... ٢٤٩
ثانياً: الأسلوب الأدبي.......... ٢٤٩
ثالثاً: الأسلوب الخطابي.......... ٢٥١

الدرس الثامن والثلاثون: سمو أُسلوب القرآن عن الأساليب الثلاثة

الدليل على سمو أُسلوب القرآن ٢٥٥

الدرس التاسع والثلاثون: إثبات تفوق الأُسلوب القرآني من نفس القرآن

تقريب الجهة الثانية.......... ٢٥٩
أ) اختيار الكلمات والألفاظ ٢٥٩
ب) اتساق الكلام ودقّة التعبير.......... ٢٦٣

الدرس الأربعون: الإعجاز العلمي

بعض الإشارات القرآنية لإثبات الإعجاز العلمي.......... ٢٦٨

الدرس الحادي والأربعون: الإعجاز الغيبي والتشريعي

الإعجاز الغيبي.......... ٢٧٣
الإعجاز التشريعي.......... ٢٧٥

الدرس الثاني والأربعون: صيانة القرآن من التحريف

التحريف في اللغة.......... ٢٧٩
التحريف في الاصطلاح.......... ٢٨٠
القرآن ولفظ التحريف.......... ٢٨٣

الدرس الثالث والأربعون: موانع حدوث التحريف

دلائل بطلان شبهة التحريف.......... ٢٨٧

الدرس الرابع والأربعون

الدلائل الأخرى على بطلان التحريف ٢٩٣

الدرس الخامس والأربعون: دعاوى القائلين بالتحريف

الدعوى الأولى ٢٩٩
الرد على الدعوى الأولى ٣٠٠
الدعوى الثانية ٣٠٠
الرد على الدعوى الثانية ٣٠١
الدعوى الثالثة ٣٠١

الدرس السادس والأربعون: الناسخ والمنسوخ

أوّل من صنف في علم النسخ ٣٠٥
تعريف النسخ ٣٠٥

الدرس السابع والأربعون: حقيقة النسخ

حقيقة النسخ في حقّه تعالى ٣٠٩
الفرق بين النسخ والبداء ٣١٠
الفرق بين النسخ والتخصيص ٣١٠

الدرس الثامن والأربعون: شروط النسخ في القرآن

شروط النسخ ٣١٣

الدرس التاسع والعشرون: أصناف النسخ في القرآن

النسخ في القرآن يتصوّر على أقسام ٣١٩

الدرس الخمسون: المحكم والمتشابه

ماهو المحكم؟ ٣٢٧
عوامل التشابه ٣٢٨

الدرس الحادي والخمسون: عوامل الابهام ومميزاته

عوامل الإبهام ٣٣١
هل في القرآن متشابه؟ ٣٣٢

الدرس الثاني والخمسون: حقيقة التأويل

معنى التأويل ٣٣٧
هل يعلمِ التأويلَ غيرُ الله؟ ٣٣٩
من همِ الراسخون في العلمِ؟ ٣٤١

المصادر ٣٤٧

المقدّمة

الكتابة حول القرآن الكريم و علومه من أجل الأعمال و أشرفها، يتحمّل فيها المؤلّف مسؤولية كبيرة تستدعي منه بذل الجهد و الوقت و رعاية الدقة و الموضوعية في ما يُبحث ويُدون، وهذا ما أرقنا طويلاً في كتابة هذه الدروس التي كانت في الحقيقة حصيلة تدريس هذه العلوم لسنوات طويلة في الحوزة العلمية المباركة، بحيث خضعت إلى مناقشات طلبتنا الأعزاء بشكل يومي و مستمّر، و أستطيع أن أقول: بأنّ هذه الدروس قبل طباعتها كانت محط أنظار الطلبة من خلال عرضها في الدرس و التدريس، أتمنى أن يكون ذلك ذخراً لآخرتي، في يومٍ لا ينفع فيه مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم.

منهجية الكتاب

هذا الكتاب يشتمل على مجموعة متكاملة من الدروس في علومِ القرآن الكريم و تاريخه، ممنهجة بأُسلوب جديد و طريقة منظمة، يتميز بخصائص عديدة منها:

١. يحتوي هذا الكتاب على اثنين و خمسين درساً من دروس علومِ القرآن و تأريخه.

٢. كلّ درس له عنوان محدد، يدور الحديث فيه عن خصوص ذلك العنوان بعيداً عن الاستطراد و الإغلاق في العبارة.

٣. ختم كلّ درس بخلاصة تمثل حصيلة الدرس بشكل كامل.

٤. في نهاية كلّ درس أسئلة حول الموضوع المتحدث عنه.

٥. احتوت بعض الدروس على مخططات و رسوم مختلفة و بأشكال متعددة، تتناسب مع طبيعة الدرس و نوعية المعلومة المطروحة فيه.

إعداد هذا الكتاب لمرحلة البكالوريوس

أُعدّ هذا الكتاب لطلاب مرحلة البكالوريوس بالدرجة الأساس، و لهذا السبب سعينا جاهدين في تبسيط المفاهيم المطروحة فيه، من خلال استخدام الطرق المختلفة في توضيح المعلومة، علماً أنّنا قد فتحنا في تلك الدروس نوافذاً لمن يريد الاستزادة في المعلومات او تعميقها لمستويات أعلى.

مصادر الكتاب

تنوعت مصادر الكتاب التي اعتمدنا عليها في هذه الدروس، فكانت بالشكل التالي:

١. مصادر لغوية
٢. مصادر تفسيرية
٣. مصادر حديثية
٤. مصادر تاريخية
٥. مصادر كلامية

و هناك مصادر أُخرى بعضها حديثة، و بعضها قديمة قد تقترب من الموضوع و تبتعد بمقدار اقترابها و ابتعادها من المعلومة المطروحة التي يتحدّث عنها ذلك المصدر.

طريقة تدريس الكتاب

بعد تجربة هذا الكتاب في الدرس و التدريس قبل طباعته في الحوزة العلمية المباركة، و من قبل أساتذه متخصصين في هذا المجال، أرى من المناسب أن أقدم للأساتذه الكرام طريقة تدريس تتناسب مع المعلومات المطروحة في هذا الكتاب

حتى تصل المعلومة إلى طلابنا الإعزاء بشكل سليم خالٍ من التشويش و التعقيد، و ذلك من خلال إتباع التوجيهات التالية:

١. أن يراجع الأستاذ الكريم قبل تدريس كلّ درس الوثائق العلمية المذكورة في هذا الكتاب من مصادرها المعتمدة لسببين أساسيين هما:

أ) التأكّد من صحّة الوثيقة المطروحة التي اعتمد عليها المؤلّف.

ب) توسيع مجال الوثيقة في ذهن الأُستاذ عند إلقائها لطلابنا الأعزاء.

٢. توسيع دائرة الآيات المذكورة في الكتاب، والاستفادة من الآيات القرآنية التي تدلّ على المطلب المذكور؛ لفتح أُفق الطالب في الاعتماد على الآيات القرآنية.

٣. السير التدريسي للكتاب يجب أن يكون حسب تسلسل الدروس المطروحة، وعدمِ تجاوز ذلك؛ لأنّ هذه الدروس خضعت من ناحية الترتيب الزماني حسب ذهنية الطالب بشكل تدريجي.

٤. تقسيم الدروس إلى مراحل زمنية مختلفة تناسب عمر الطالب في مرحلة البكالوريوس، ولايقتصر تدريسه على سنة دراسية واحدة، لأنّ المعلومات المطروحة فيه تتجاوز حدود السنة الدراسية الواحدة، خصوصاً إذا سعى الأُستاذ إلى توسيع أُفق المعلومة المطروحة.

٥. يبدأ في تدريس هذا الكتاب في مراحل المتقدّمة من عمر الطالب الدراسي، وعدمِ تدريسه في السنة الأُولى من دراسته لهذه العلوم.

٦. تشجيع الطلاب على البحث و التحقيق في العناوين المطروحة في هذه الدروس لتعميق الوعي القرآني لدى طلابنا الأعزاء.

وأخيراً أتمنى من أساتذتنا الكرام أن يرفدونا بما هو نافع ومفيد من خلال تجربتهم تدريس هذا الكتاب. وفق الله الجميع لخدمة الإسلامِ المحمدي الأصيل.

دكتر السيّد نذير الحسني

الدرس الأوّل

علوم القرآن (١)

تمهيد

القرآن الكريم كتاب الله النازل من الحقّ تبارك وتعالى للبشرية: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾.[١] ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، من ظلمات الجهل والتخلّف والانحطاط إلى نور العلم والتقدّم والرقي.

وقد اتّفق جميع المسلمين على أصالة وسلامة هذا القرآن من الخطأ والخلل والانحراف، وأمن الجميع بأنّ هذا الكتاب يمثّل دستور المسلمين الأوّل ويحتوي على أحكامٍ ومناهج تعالج الحياة على مختلف صُعدها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فكان بحقّ الملجئ الحقيقي للأُمة في مواجهة ظلمات الجهل والانحراف: «إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنّه شافع مشفع مصدق».[٢]

الواقع الجاهلي

بعد أن ساد الجهل والتخلّف في شبه الجزيرة العربية، وبعدما كانت الرذيلة تعدّ في

---

١. الإسراء: ٩.

٢. *تفسير العياشي*: ١٣/١.

المجتمع فضيلة والانحطاط خلقاً، فقد كان الآباء يئدون البنت؛ لأنها تُمثل عاراً عليهم وفق مقاييسهم، وكانوا يعبدون ما ينحتون ممّا لا ينفع ولا يضر، وإذا ما أردنا وصف تلك الحقبة الزمنية فأتصوّر أنّ خطبة الزهراء عليها السلام تُمثل وصفاً دقيقاً لحياة العرب قبل الإسلام حيث قالت عليها السلام:

«لقد كنتم تشربون الطرق وتقتاتون القدّ أذلّة خاسئين تخافون أن يتخطفكم الشيطان من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بأبي محمّد صلى الله عليه وآله».[١]

فالرسول صلى الله عليه وآله هو المنقذ لهذه الأُمة، ولكن بماذا أنقذهم؟ أنقذهم بالقرآن ذلك الكتاب الذي وصف نفسه بنفسه كما في الآية المباركة: ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ...﴾: وقال تعالى فيه ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ...﴾، ووصفه الرسول الأكرم بأنّه الثقل الأكبر عندما قال:

إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي.[٢]

ووصفه أيضاً بقوله:

كتابٌ فيه تفصيلٌ وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهرٌ وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق له نجوم وعلى نجومه نجوم لا تُحصى عجائبه ولا تُبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة.[٣]

كلّ هذه الامتيازات يحملها كتاب الله تعالى، فكان بحقّ موضع اهتمام المسلمين منذ أوّل يوم نزل به الوحي المبارك على صدر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ولهذا يقول ابن مسعود:

كان الرجل منّا إذا تعلم عشر آيات لم يتجاوزهن حتّى يعرف معانيهنّ والعمل بهنّ.[٤]

فاهتمّ المسلمون بهذا الكتاب الكريم فكانوا يرجعون إلى آياته فيفهمون ما يستطيعون فهمه، والذي يستعصي عليهم يعودون به إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، الذي

---

١. *الاحتجاج*: ١٣٥/١.

٢. *عيون أخبار الرضا*: ٦٨/١.

٣. *الكافي*: ٥٩٩/٢.

٤. *البرهان في علوم القرآن*: ١٥٧/٢.

جعله الحقّ تبارك وتعالى مرجعاً في فهم وتفسير القرآن عندما قال:

﴿...وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ...﴾[1]

مأساة المسلمين بعد رسول الله ﷺ

ولكن وبعد أن اختفى الرسول ﷺ من حياة الأمة برزت مشاكل متعددة وظهرت الفتن بين الأمة، وأصبحت الآيات القرآنية بألفاظها العربية غريبة عن الناس لأسباب عديدة منها.

١. الفاصلة الزمنية بين تلك الكلمات القرآنية وبين المخاطبين.

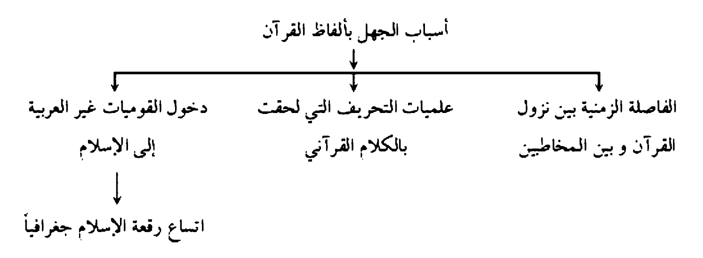
٢. عمليات التحريف والتزوير والدس المتعددة.

٣. دخول الكثير من القوميات غير العربية إلى الإسلام.

٤. توسّع الإسلام جغرافياً.

وغير ذلك من أمور أدّت إلى تشويش معاني القرآن الكريم ممّا حدا بالخيرين من هذه الأمة أن يكشفوا عن ساق للدفاع عن الإسلام وعن كتابة القرآن الخالد بالشرح والتفسير والتوضيح والبيان فتولّد لدينا علم سمّي فيما بعد بعلم التفسير.

ويُعرَّف التفسير بأنّه: محاولة لكشف المراد الجدي للحقّ تبارك وتعالى من خلال آياته وفق القواعد اللغوية وعلى أساس الطريقة العقلائية وحسب الطاقة البشرية.



١. النحل: ٤٤

تبلور علوم القرآن

وعلى هذا الأساس وجدت لدينا تفاسير كثيرة، ولكن إلى جانب هذه التفاسير بدأ يتبلور علم جديد سمّي علومِ القرآن، بعد أن كانت مباحث هذا العلم تُدرس ضمن مباحث التفسير،إذ كانت مباحث علومِ القرآن سابقاً تُدرج ضمن المباحث التفسيرية، ولكن هذه المباحث يجب أن تتقدّمِ على مباحث التفسير ولا يمكن الدخول إلى مباحث التفسير والكشف عن مراد الله إلّا بعد تحقيق الحال في مباحث علومِ القرآن فمثلاً لا يمكن الدخول في شرح وبيان الألفاظ القرآنية ونسبة نتائج تلك البحوث إلى الحقّ تبارك وتعالى إلّا بعد الانتهاء من مسألة تحريف القرآن وسلامته، فعلومِ القرآن في كثير من مباحثه تعتبر مقدّمات لعلم التفسير، بحيث يجب الانتهاء منها قبل الدخول إلى حريم القرآن لتفسيره.

وعلى هذا انفصلت مباحث علومِ القرآن عن مباحث علم التفسير وقامِ العلماء بتدوين الكتب المرتبطة بهذا العلم، بل إنّ بعض المفسّرين يذكر مباحث علومِ القرآن في مقدّمة تفسيره.

السابقة الدراسية لعلوم القرآن

منذ نزول القرآن أولى المسلمون اهتماماً بالغاً بالكتاب الكريم وما يرتبط به من علومٍ ومباحث فاهتمّوا برسم الكتاب وقراءته وإعرابه وإعجازه، وبدا البحث يتطوّر ويأخذ شكل الدفاع عن هذا الكتاب أمامِ الهجمات المغرضة للنيل من الإسلامِ العزيز وكتابه الكريم، فتوسّعت البحوث والدراسات المرتبطة بعلومِ القرآن إلى مواضيع الإعجاز وجمع القرآن وتدوينه وغيرها من المباحث المتعددة، وقيل: إنّ القرن الخامس يمثّل بداية حقيقية لهذا الفن[١] في كتبه المؤلّفة في علومِ القرآن.

---

١. راجع: *مناهل العرفان*: ٣٥/١.

لو طالعنا الدراسات التي تعرضت إلى هذا العنوان نجد أنّها توزعت على ثلاث اتجاهات:

الاتجاه الأوّل: الدراسات التي اهتمّت بعنوان واحد من عناوين هذا العلم من قبيل الدراسات التي اهتمّت بالإعجاز أو التحريف أوالمحكم والمتشابه أوالناسخ والمنسوخ وغيرها، ومن أمثلة هذه الدراسات[١]:

ما كتبه يحيى بن يعمر (ت٨٩هـ) حول القراءات.

ما كتبه الحسن البصري (ت١١٠هـ) حول نزول القرآن وعدد آيات القرآن.

ما كتبه عبدالله بن عامر اليحصبي (ت١١٨هـ) حول اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق والمقطوع والموصول.

ما كتبه محمد بن سائب الكلبي (ت١٤٦هـ) حول بداية تدوين احكام القرآن.

ما كتبه عطاء بن أبي مسلم ميسرة الخراساني (ت ١٣٥هـ)، وهو أوّل من كتب في علم الناسخ والمنسوخ.

ما دونه محمد بن يزيد الواسطي (ت ٣٠٦هـ) في إعجاز القرآن.

الاتجاه الثاني: الدراسات التي جمعت أغلب عناوين هذا البحث في كتب مستقلة ومن أمثلة هذا الاتجاه:

كتاب *البرهان* للزركشي (ت ٧٩٤هـ).

كتاب *الاتقان* للسيوطي (ت٩١١هـ).

كتاب *التمهيد في علوم القرآن* للشيخ محمد هادي معرفة (ت ١٤٢٧هـ).

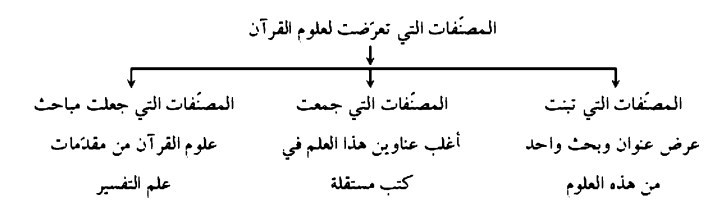
وغيرهم.

---

١. راجع: مقالة بعنوان التمهيد للأستاذ محمد علي مهدوي راد في مجلة بينات العدد٣ لسنة ١٣٧٣ش؛ و *مقدمة البرهان*: ٤٨/١، مقال للأستاذ محمد إبراهيم جناتي في مجلة كيهان أنديشه العدد ٢٨ لسنه ١٣٧٦ ش؛ و الدكتور علي أصغرحلبي في كتاب *التعرّف على علوم القرآن*: ١٣٢.

الاتجاه الثالث: الدراسات التي جعلت مباحث علوم القرآن من مقدّمات علم التفسير ولانبالغ إذا قلنا إنّ أغلب التفاسير التي كتبت في هذا المجال تضمّنت هذا النوع من البحوث، ولعلّ أقدم بحث في علوم القرآن كان في مقدّمات الكتب التفسيرية، ويمكن القول: إنّ هذا الاتجاه من أقدم الاتجاهات التي كتبت في علوم القرآن.

ويجب الالتفات إلى أنّ هذه الاتجاهات لا تتسلسل زمانياً، وإنّما في كلّ اتجاه نجد دراسات ضاربة في القدم الزماني وفي نفس الوقت نجد دراسات حديثة ومعاصرة.



الخلاصة

١. القرآن الكريم هو دستور المسلمين وقداتفقوا على أصالته وسلامته من التحريف.

٢. كانت الحياة قبل الإسلام حياة تسودها الهمجية والجهل والأخلاق الوضيعة، كوأد البنات وغيرها، حتّى جاء الرسول الأكرم ﷺ فانقذهم منها.

٣. لقد عاش المسلمون واقعاً مرأ بعد الرسول حتّى أصبحت ألفاظ القرآن غريبة غير مفهومة لدى الناس، وقد ترجع أسباب إلى: الفاصلة الزمنية بين تلك الكلمات القرآنية وبين المخاطبين، عمليات التحريف والتزوير والدس المتعددة، دخول الكثير من القوميات غير العربية إلى الإسلام، توسع الإسلام جغرافياً.

٤. ولد علوم القرآن في أحضان علم التفسير عندما كان المفسّرون يجعلون مباحثه مقدّمات لتفسيرهم؛ لأنّ شرح الآيات وتفهيمها يتوقّف على بيان وعرض مباحث علوم القرآن، وشيئاً فشيئاً بدأ علوم القرآن ينفصل عن علم التفسير.

٥. قيل: إنّ القرن الخامس يمثل بداية حقيقية لتأسيس هذا الفن.

٦. صنّفت كتب عديدة في مجال علوم القرآن، وهي على ثلاث اتجاهات: اتجاه اهتمّ بعنوان واحد من عناوين هذا العلم من قبيل الدراسات التي اهتمت بالإعجاز أو التعريف و غيرها، واتجاه عكف على جعل مباحث هذا العلم في كتب مستقلة، واتجاه وضع مباحث علوم القرآن كمقدّمات لعلم التفسير.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. القرآن الكريم

أ) كتاب يهتمّ به بعض المسلمين دون غيرهم.

ب) دستور المسلمين.

ج) اختلفوا على سلامته من التحريف.

د) لايحتوي على مناهج حياتية كافية للإنسان.

٢. تعود غرابة ألفاظ القرآن بعد رحلة النبيﷺ إلى:

أ) وفاة النبي.

ب) دخول القوميات غير العربية إلى الإسلام.

ج) التحريف و التزوير.

د) ب، ج.

٣. «وضح العبارة التالية: إنّ القرن الخامس يمثل بداية حقيقية لتأسيس علوم القرآن».

٤. لماذا أصبحت الآيات القرآنية بألفاظها العربية غريبة عن الناس بعد رحيل الرسولﷺ؟ وضح ذلك، ذاكراً الأسباب التي أدّت إلى ذلك.

الدرس الثاني
علوم القرآن (٢)

إنّ هذا النصّ المعجز الخالد يحتوي على معارف سامية نزلت لتأخذ بيد الإنسان وتستنقذه من حيرة الضلالة وتهديه إلى منهل الهداية...، وحتّى تتضح سبل الهداية والنجاة علينا أن نبتغي السبل الصحيحة لمعرفة مقاصد الآيات وعلاقتها ببعضها البعض، ولاشكّ فإنّ علومِ القرآن يعدّ مقدّمة مهمّة جداً لتحصيل ذلك، وبالتالي تكون مهمّة هذا الفن هي معالجة مجموعة من القضايا التمهيدية من أجل تسهيل عملية تفسير القرآن، وذلك كالإعجاز، والتجويد، والقراءة، وتأريخ القرآن، والمكّي والمدنيّ، إلى غير ذلك ممّا لا صلة له بالنصّ القرآنيّ ومعارفه السامية الخالدة.

١. تعريف علوم القرآن

إنّ مصطلح علومِ القرآن يطلق على: مجموعة من المسائل تتناول شؤون القرآن الكريم المختلفة ممّا يتعلّق بمواضيعه خارجة عمّا يضمّه النصّ القرآني.

٢. مكانة علوم القرآن

بما أنّ علومِ القرآن مجموعة من العلومِ حول القرآن الكريم، وأنّ هذا الكتاب

السماويّ الخالد يحمل بين دفّتيه كلامِ الله تعالى، فإنّها تحتلّ مكانة هامّة حيث تمهّد الأرضية لفهم معارف القرآن السامية واستيعابها ممّا يضمّه كتاب الله المجيد.

٣. أقسام علوم القرآن

إنّ مصطلح علومِ القرآن ـ بغضّ النظر عن معناه الخاص الذي عرّفناه آنفاً ـ مفهومٌ كلّي يشمل فردين على الأقلّ، هما: علومِ القرآن ومعارف القرآن.

نقصد بالقسم الأوّل ما عرّفناه أعلاه، أي العلومِ التمهيدية لفهم الجانب المعرفي والهدائي لآي الذكر الحكيم.

ونقصد بالقسم الثاني ما يشتمل عليه القرآن نفسه من برامج الحياة السعيدة لهداية البشرية جمعاء؛ وذلك لوصول الإنسان إلى الكمال في الدنيا، والسعادة في الآخرة.

فكل من القسمين يعتبر علومِ القرآن بالمعنى الأخصّ إلّا أنّ هذا المصطلح صار في الآونة الأخيرة كالعَلَمِ بالغلبة للمعنى الأوّل.

علومِ القرآن ⟵ اصطلاح علومِ القرآن ⟶ معارف القرآن

٤. أهمّية علومِ القرآن الكريم

هنا جملة من النقاط يمكن تسجيلها في هذا المجال والتي تشير إلى أهمّية هذه المباحث، ومنها.

أوّلاً: إنّ مباحث علومِ القرآن لها ارتباط وثيق بألفاظ القرآن وآياته، بل إنّ بعضها يتوقّف عليه فهم القرآن كمباحث المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وغيرها. فلا يمكن التعرّف على المتشابه بشكل دقيق من دون الرجوع إلى المحكم، ولا يمكن معرفة حدود المنسوخ الزمانية والمكانية إلّا بعد معرفة الناسخ.

ثانياً: هناك مباحث في علومِ القرآن تعتبر من المفاتيح المهمّة التي لا يمكن إلّا من

خلالها الولوج إلى القرآن والتعرّف على معانيه من قبيل (سلامة القرآن من التحريف) وغير ذلك.

ثالثاً: هناك مباحث في علومِ القرآن تساعد على تحديد الآيات من حيث السعة والشمول من قبيل معرفة أسباب النزول وغيرها، فمثلاً عندما أقرأ الآية المباركة ﴿...إِنَّمَا يرِيدُ اللَّهُ لِيذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيتِ وَيطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١] لا يمكن التعرّف على حدود مصطلح أهل البيت من نفس القرآن فلا بدّ من التأكّد من أسباب النزول وأسباب النزول من مباحث علومِ القرآن.

الخلاصة

١. مهمّة علومِ القرآن هي معالجة مجموعة من القضايا التمهيدية من أجل تسهيل عملية تفسير القرآن، وذلك كالإعجاز، والتجويد، والقراءة، وتأريخ القرآن، والمكّي والمدنيّ.

٢. يعرف علومِ القرآن: بأنّه مجموعة من المسائل التي تتناول شؤون قرآنية مختلفة تتعلّق مواضيعه خارجة عن النصّ القرآني.

٣. إنّ مباحث علومِ القرآن لها ارتباط وثيق بألفاظ القرآن وآياته، بل إنّ بعضها يتوقّف عليه فهم القرآن كمباحث المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ ونحوها.

٤. تعدّ بعض مباحث علومِ القرآن غاية في الأهمّية، بحيث لا يستغنى عنها أبداً في التعرّف على معاني ومفاهيم الكتاب الكريم، كبحوث سلامة القرآن من التحريف.

٥. تساهم دراسة أسباب النزول مساهمة كبيرة في فهم دلالات بعض الآيات القرآنية.

---

١. الأحزاب: ٣٣.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. إنّ مباحث علوم القرآن تعالج...

أ) مسائل متعلّقة بالدراسات الفلكية.

ب) قضايا تمهيدية لعلم التفسير.

ج) أمور تتعلّق بالقراءة وأسباب النزول فقط.

د) معطيات النصّ القرآني.

٢. يشتمل مصطلح علوم القرآن على عنصرين:

أ) المكّي والمدني.

ب) الناسخ والمنسوخ.

ج) علوم القرآن ومعارف القرآن.

د) المحكم والمتشابه.

٣. ماهي مكانة علوم القرآن؟

٤. ما أهمّية علوم القرآن الكريم؟

الدرس الثالث

أسماء القرآن وصفاته

نعت القرآن الكريم بمجموعة كبيرة من الأسماء والصفات وردت في آياته الشريفة في مواطن متعددة، ومنها الصفات والأسماء التي جاءت في الروايات الشريفة عن النبي الأكرمﷺ وأهل بيته الكرام، وهي أسماء وصفات غالباً ماتفسّر وتبين الأسماء والصفات الواردة في الكتاب العزيز وتؤكّدها، وفي ظلّ هذه الكمية الغزيرة صفات القرآن وأسمائه وقع اختلاف بين العلماء في عددها ومقدارها.

تعدد الآراء في أسماء وصفات الكتاب العزيز

وقع خلاف بين العلماء حول أسماء القرآن وصفاته، وبحدود التتبع وجدت مجموعة من الأقوال في ذلك

القول الأوّل: القرآن له أربع أسماء، وهي:

١. القرآن

٢. الكتاب

٣. الذكر

٤. الفرقان

أمّا تسميته بالقرآن فقد جاء في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا القرآن وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾.[١]

وأمّا تسميته بالذكر قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.[٢]

وأمّا تسميته بالفرقان قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾.[٣]

وذهب إلى هذا القول كلٌ من الطبري والماوردي.

القول الثاني: أسماء القرآن أكثر من تسعين اسماً

وذهب إلى ذلك الحرالي.[٤]

القول الثالث: أسماء القرآن «٥٥» اسماً، منها:

١. الكتاب، ٢. القرآن، ٣. النور، ٤. الهدى، ٥. الرحمة، ٦. الفرقان... إلخ

وهناك أقوال أُخرى أيضاً خلطت بين الأسماء والصفات، ولكن القول المشهور: إنّ للقرآن أربعة أسماء وهي:

١. القرآن

٢. الكتاب

٣. الفرقان

٤. الذكر

وتسمية القرآن بالذكر والكتاب والفرقان هي تسمية مشتركة مع الكتب السماوية الأُخرى، أي التوراة والإنجيل

---

١. يوسف: ٣.

٢. الحجر: ٩.

٣. الفرقان: ١.

٤. *البرهان علوم القرآن*: ١/٣٤٣.

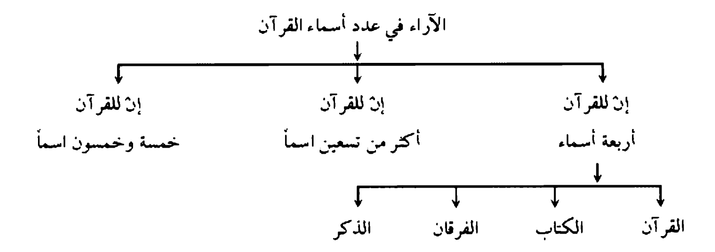
قال تعالى:

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.[١]

وقوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢]

وغير ذلك من الآيات.



وجوه أسماء القرآن

س١: ما سبب تسمية كلام الله تعالى بالقرآن؟

ج: قيل: إنّ سبب التسمية بذلك؛ لأنّه يتلا ويقرأ،[٣] أي يكون السبب هو قراءة المكتوب بحفظ الكتاب الإلهي في الصدور والسطور.

وقيل نقلاً عن قتاده: قرأت الشيء إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض،[٤] والمناسب لهذه التسمية أنّ القرآن الكريم جمع أحكام الأمم الماضية وأخبارها وجمع بين الأصول الفكرية والعملية.

---

١. البقرة: ٥٣.

٢. النحل: ٤٣.

٣. *علوم القرآن عند المفسرين*: ١/ ٣٢.

٤. المصدر.

وقيل: معناه التأليف.

وقيل: من البيان فقد ورد في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ يعني إذا بيّناه فاعمل به.

س٢: ما هو سبب تسميته بالفرقان؟

ج: لأنّه يفرق بين شيئين، بين الحقّ والباطل. وهذه التسمية تشير إلى وظيفة القرآن في التعريف بين الهدى والضلال وبين الحقّ والباطل وبين الجنة والنار. وقيل: إنّه سمّي بذلك؛ لأنّه يؤدّي إلى النجاة والمخرج، قال تعالى: ﴿...يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا...﴾.[١]

س٣: ما هو سبب تسميته بالذكر؟

ج: إنّ ذكر من الله تعالى ذكر به عباده وعرفهم فرائضه وحدوده.

وقيل: إنّ سبب التسمية بالذكر؛ لأنّه فخر وشرف لمن أمن به وصدق بما جاء فيه، وكما جاء في الآية: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ...﴾. يعني شرف لك ولقومك.[٢]

س٤: ما هو سبب تسميته بالكتاب؟

ج: لأنه مكتوب متكوّن من حروف، فأخذوه من الجمع في قولهم كتبت السقاء إذا جمعته بالخرز، فالكتاب هو الصحيفة والصحائف التي تضبط فيها طائفة من المعاني، عن طريق التخطيط بقلم أو طابع أو غيرهما.[٣]

والحقّ تبارك وتعالى أطلق لفظة كتاب على أُمور عدّة منها:

١. الكتب التي أنزلها على أنبياء الله وفيها شرائع، فقال: ﴿...وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ...﴾.[٤] وقال: ﴿يا يَحْيى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ...﴾.[٥]

---

١. الأنفال: ٢٩.

٢. *النكت والعيون*: ١/٢٣ ـ ٢٤.

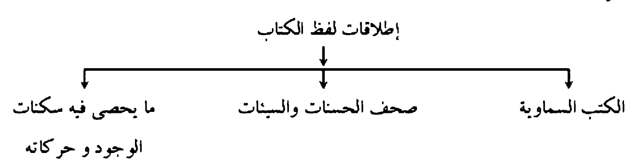
٣. *الميزان*: ٧/٢٦٥.

٤. البقرة: ٢١٣.

٥. مريم: ١٢.

٢. أطلق لفظ الكتاب على الكتب التي تضبط الحسنات والسيئات قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ۞ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.[1]

٣. كتب تضبط ما يجري في الوجود من حركات وسكنات، قال تعالى: ﴿...وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.[2]



الخلاصة

١. اختلفت آراء العلماء في عدد أسماء القرآن وصفاته إلى ثلاثة آراء:

أوّلاً: إنّ للقران أربعة أسماء وهي القرآن، والكتاب، والذكر، والفراقان. وهو القول المشهور.

ثانياً: إنّ للقران أكثر من تسعين اسماً.

ثالثاً: إنّ للقران خمسة وخمسون اسماً.

٢. هناك عدّة أقوال في وجه تسمية الكتاب العزيز بالقرآن، منها: إنّها جاءت من كونه مقروءاً ومتلواً، ومنها: إنّها جاءت من كونه جامعاً لتاريخ وأحكام الأمم الماضية و.... .

٣. وسبب تسميته بالفرقان؛ لأنّه يفرق بين الحقّ والباطل.

---

١. الإسراء: ١٣ ـ ١٤.

٢. يونس: ٦١.

٤. إنّ سبب تسمية القرآن بالذكر؛ لأنّه ذكر فيه عباده وعرفهم فيه فرائضه، وقيل: إنّ تسميته بذلك، لأنّه شرف وفخر لمن أمن وصدق به.

٥. إنّ علة تسمية القرآن بالكتاب؛ لأنّ مكتوب مدون، وهو مأخوذ من الجمع في قولهم: كتبت السقاء إذا جمعته بالخرز.

٦. لقد أطلق تبارك وتعالى لفظ الكتاب على ثلاثة أُمور:

أ) الكتب والألواح التي نزلت على أنبيائه ورسله.

ب) الكتب التي التي تدون فيها الحسنات والسيئات.

ج) الكتب التي تحصى فيها حركات الوجود وسكناته.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. القول المشهور في عدد أسماء القرآن، هي:

أ) خمسة وخمسون اسماً. ب) ستّة أسماء.

ج) تسعون اسماً. د) أربعة أسماء.

٢. إنّ التسمية التي تشير إلى وظيفة القرآن في التمييز بين الحقّ والباطل هي:

أ) الكتاب. ب) المنير.

ج) الفرقان. د) الذكر.

٣. انقسم العلماء إلى ثلاث أقوال حول أسماء القرآن وصفاته. اذكر هذه الأقوال. مع التوضيح.

٤. أطلق الله تبارك وتعالى لفظ الكتاب على ثلاثة أمور. اذكرها.

الدرس الرابع

الوحي

تعتبر مفردة الوحي من المفردات المهمّة التي تناولها علماء القرآنيات والتفسير بالبحث والدراسة العميقة من أجل الوقوف على معانيها ومداليها أوّلاً، ومن ثَمّ معرفة الدور التي تلعبه هذه المفردة وصيغيها المتنوعة في فهم كلام الله المنزل، ومع أنّ مفردة الوحي قد تكون بمعناها الساذج البسيط عبارة عن وسيلة يستخدمها الموحي من أجل إفهام الموحى إليه أمراً معيناً، إلّا أنّه اختلف المراد منها من استعمال لآخر، كما يظهر ذلك من الآيات الشريفة التي تناولت هذه المفردة.

الوحي لغةً

الوحي لغةً: إعلام سريع خفيّ، سواء كان بإيماءَة أو هَمْسة أو كتابة في سرّ. قال تعالى عن زكريا ﷺ: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.[1] أي: أشار إليهم على سبيل الرّمز والإيماء.

ولعلّ الخفاء في مفهوم الوحي جاء من قبل اعتبار السّرعة فيه، فالإيماءة السريعة تخفى ـ طبعاً ـ على غير المومى إليه.

---

١. مريم: ١١.

الوحي في القرآن

استعمله القرآن في معانٍ أربعة:

١. **معناه اللّغوي**: وهو إعلام سريع خفيّ. وقد مَرَّ في آية مريم.

٢. **أمر غريزي فطري**: وهو أمر مجعول في ذات الأشياء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۞ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا...﴾.[1] فهي تسلك وفق فطرتها وتستوحي من باطن غريزتها، ولا تعدل عن تلك السبيل.

٣. **إلهام نفسي**: وهو شعور في الباطن، يحسّ به الإنسان إحساساً، يخفي عليه مصدره أحياناً، وأحياناً يلهم أنّه من الله وقد يكون من غيره تعالى.

من الإلهام الرحماني قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.[2]

والتعبير بالوحي عن وسواس الشيطان جاء في قوله تعالى: ﴿...وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ...﴾.[3]

والتعبير بالوحي عمّا يلقيه الله إلى الملائكة من أمره، جاء في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾.[4]

٤. **الوحي الرسالي**: استعمله القرآن في أكثر من سبعين موضعاً معبّراً عن القرآن أيضاً بأنّه وحي أُلقي على النّبيﷺ، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا

---

١. النّحل: ٦٨ و ٦٩.

٢. القصص: ٧.

٣. الأنعام: ١٢١.

٤. الأنفال: ١٢.

إِلَيكَ هَذَا القرآن...﴾،[١] ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَينَا إِلَيكَ قُرْآنًا عَرَبِيا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا...﴾.[٢]

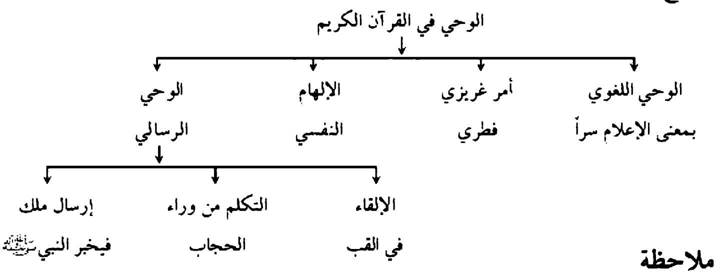
والوحي الرسالي يتحقّق على أنحاء ثلاثة كما جاء في الآية الكريمة:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يرْسِلَ رَسُولًا فَيوحِي بِإِذْنِهِ مَا يشَاءُ إِنَّهُ عَلِي حَكِيمٌ﴾.[٣]

الصورة الأولى: إلقاء في القلب.

الصورة الثانية: تكليم من وراء حجاب بخلق الصوت في الهواء بما يقرع مسامع النّبيﷺ[٤] ولا يرى شخص المتكلّم.

الصورة الثالثة: إرسال ملك الوحي فيبلّغه إلى النبي، إمّا عياناً، أو لا يراه ولكن يستمع إلى رسالته.



ملاحظة

بما أنّ الوحي ظاهرة روحيّة فإنّه بجميع أقسامه إنّما كان مهبطه ونزوله هوالقلب الشريف للرسولﷺ (شخصيته الباطنة: الروح) قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾،[٥]

---

١. يوسف: ٣.

٢. الشورى: ٧.

٣. الشورى: ٥١.

٤. لكن لا بهذه الأذن الماديّة وإلّا لسمعه الآخرون أيضاً بل بذلك السمع الذي يخصّ باطنه، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾. البقرة: ٩٧.

٥. البقرة: ٩٧.

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾،[1] والقلب هو لبّ الشيء وحقيقته الأصليّة. قال سيّدنا العلّامة الطباطبائي قدس سره:

هذا إشارة إلى كيفيّة تلقّيه صلى الله عليه وآله القرآن النازل عليه، وأنّ الذي كان يتلقّاه من الرّوح [الأمين] هي نفسه الكريمة من غير مشاركة الحواسّ الظاهرة التي هي أدوات لإدراكات جزئيّة خارجيّة... فكان صلى الله عليه وآله يرى شخص الملك ويسمع صوت الوحي، لكن لا بهذه السمع والبصر المادّيتين وإلّا لكان أمراً مشتركاً بينه وبين غيره، ولم يكن يسمع أو يبصر هو دون غيره. فكان يأخذه بَرْحاء الوحي وهو بين الناس فيوحي إليه ولا يشعر الآخرون الحاضرون.

نعم، ورد بشأن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، كان يرى ما يراه النبي صلى الله عليه وآله ويسمع ما يسمعه إلّا أنّه ليس بنبيّ كما قال له الرسول صلى الله عليه وآله.[2]

الخلاصة

١. استعمل الوحي في القرآن على معان أربعة:

الأوّل: المعنى اللغوي: هو الإعلام السريع الخفي على سبيل الرمز والإيماء.

الثاني: أمر غريزي فطري مجعول في ذات الأشياء كما في الإيحاء إلى النحل.

الثالث: الإلهام النفسي: وهو شعور الباطن يحس به الإنسان في الباطن.

الرابع: الوحي الرسالي: وهو الوسيلة التي يسخّرها الله تعالى من أجل الاتصال برسله وأنبيائه.

٢. يتحقّق الوحي الرسالي بثلاثة طرق:

الأولى: الإلقاء في القلب.

---

١. الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٤.

٢. *الميزان*: ٣٤٦/١٥. بَرْحاء الوحي: شدّة ألمه والإحساس بكَرْبه.

الثانية: الكلام من وراء حجاب.

الثالثة: إرسال الملك.

٣. إنّ مهبط الوحي ونزوله هو قلب النبي الأكرم ﷺ قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾،[١] ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾[٢] والقلب هنا هو الشخصية الباطنية للنبي وروحه الطاهرة، فكان يرى الوحي ويسمع حديثه، لكن لا بهذه السمع والبصر المادّيتين وإلّا لكان أمراً مشتركاً بينه وبين غيره، فيسمع الآخرون كما يسمع هو. أجل، ورد أنّ علياً كان يسمع ما يسمعه رسول الله ويرى ما يراه.

---

١. البقرة: ٩٧.

٢. الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٤.

أسئلة الدرس

١. يتحقّق الوحي الرسالي بثلاثة طرق. اذكرها.

٢. استعمل القرآن الكريم «الوحي» بعدّة معانٍ. اذكرها مع التوضيح.

٣. اختر الإجابة الصحيحة:

أ) يتضمّن قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.[1] ثلاثة أنواع من الوحي:

١. الالقاء في القلب والحديث بشكل مباشر والتكلّم من وراء حجاب.
٢. التوجيه عبر المنام وإرسال الملك والإلقاء في القلب والحديث بشكل مباشر.
٣. الإلقاء في القلب والتكلم من وراء حجاب وإرسال الملك.
٤. إرسال الملك والإلقاء في القلب والتوجيه عبر المنام.

ب) إنّ مهبط الوحي ونزوله إنّما يكون على..............

١. لسان النبي.
٢. على قلب النبي وروحه.
٣. على عقل النبي.
٤. على جوارح النبي.

---

١. الشورى: ٥١.

ج) إنّ الشخص الوحيد الذي كان يسمع مايسمعه النبي هو..........

١. دحية الكلبي. ٢. خديجة بنت خويلد.

٣. زيد ابن الارقم. ٤. علي بن أبي طالب عليه السلام.

د) الوحي في اللغة هو.... .

١. إعلامٍ سريع خفي. ٢. الكلامِ من وراء حجاب.

الدرس الخامس

أساليب الوحي إلى نبينا الكريم

تقدّم في الدرس الماضي أنّ الوحي على معان عديدة كالوحي اللغوي والنفسي والرسالي، وما نريد بيانه هنا هو الوحي إلى خصوص الرسول الأكرمﷺ، وكيف يكون تلقي النبي الوحي؟ وماهي الوسائل التي استخدمها الباري سبحانه لمخاطبة نبيه؟ وكيف يفهم الرسول الأكرم مقاصد الله سبحانه وكلامه العظيم؟ في هذا الدرس سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة.

وجوه نزول الوحي

الوحي بالنسبة إلى نبيّنا محمّدﷺ على ثلاثة أقسام: تارة يأتيه في المنام، وأُخرى وحياً مباشريّاً من جانب الله بلا توسيط ملك. وثالثة مع توسيط جبرئيلؑ.

وإليك تفصيل بيانها:

١. **الرؤيا الصادقة:** كان أوّل ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصادقة، كانﷺ لا يرى رؤيا إلّا جاءت مثل فلق الصبح. قال الإمام الباقرؑ: «وأمّا النبيّ فهو الذي يرى في منامه، نحو رؤيا إبراهيمؑ ونحو ما كان رأى رسول اللهﷺ من أسباب النبوّة قبل الوحي، حتّى أتاه جبرئيلؑ من عند الله بالرسالة».[1]

---

١. *الكافي*: ١٧٦/١، ٣؛ و*بحار الأنوار*: ٢٦٦/١٨، ٢٧.

قوله: «قبل الوحي» أي قبل الوحي الرّسالي المأمور بتبليغه؛ لأنّ هذا البيان تفسير لمفهوم «النّبي» قبل أن يكون رسولاً، وهو إنسان أُوحي إليه من غير أن يكون مأموراً بتبليغه. فهو يتّصل بالملأ الأعلى اتّصالاً روحيّاً وينكشف له الملكوت، كما حصل لنبيّنا ﷺ قبيل بعثته المباركة.

ولكن لم يعهد نزول قرآن عليه في المنام. نعم، ربّما كانت بعض رؤياه أسباباً لنزول القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ...﴾.[1] فقد رأى النبي ﷺ ذلك عام الحديبية (سنة الستّ من الهجرة) وصدّقت عام الفتح (سنة الثمان من الهجرة).

٢. **نزول جبرئيل:** كان الملك الذي ينزل على النبي ﷺ بالوحي هو جبرئيل ﷺ، تارة يراه، إمّا في صورته الأصليّة ـ وهذا حصل مرّتين ـ أو في صورة دحْيَة بن خليفة الكلبي، وأُخرى لا يراه.

والمرّتان كانت إحداهما في بدء الوحي بحراء. ظهر له جبرئيل في صورته الأصليّة التي خلقه الله عليها، مالئاً أُفق السماء من المشرق والمغرب، فتهيّبه النبي ﷺ تهيّباً بالغاً، فنزل عليه جبرئيل في صورة الآدميّين فضمّه إلى صدره، فكان لا ينزل عليه بعد ذلك إلّا في صورة بشر جميل. والثانية كانت باستدعائه ﷺ أن يريه نفسه مرّة أُخرى صورته التي خلقه الله، فأراه صورته فسدّ الأفق. فقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾،[2] كانت المرّة الأولى، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾[3] كانت المرّة الثانية، على ما جاءت في الروايات.[4]

---

١. الفتح: ٢٧.

٢. الفتح: ٢٧.

٣. النجم: ١٣.

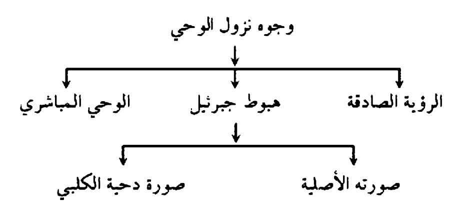
٤. راجع: مجمع *البيان*: ١٧٣/٩ و١٧٥ و٤٤٦/١٠؛ *تفسير الصافي*: ٦١٨/٢.

وكان جبرئيل عند ما يتمثّل لرسول اللهﷺ يبدو في صورة دحْيَة بن خليفة الكلبي، وهو كان أجمل إنسان في المدينة، وكان الصحابة يزعمون أنّ جبرئيل ـ حين يتمثّل بشراً ـ هو دِحْيَةُ الكلبي حقيقة، ومن ثمَ نهاهم رسول اللهﷺ أن يدخلوا عليه إذا وجدوا دحية عنده.[1]

٣. الوحي المباشري: لعلّ أكثر موارد الوحي كان مباشريّاً لا يتوسّطه ملك، على ما جاء في وصف الصّحابة حالتهﷺ، ساعةَ نزولِ الوحيِ عليه.

قال الشيخُ الصدوقُ:

إنّ النبيﷺ كان يكونُ بين أصحابه فيُغْمى عليه وهو يتصابُّ عرقاً فإذا أفاق قال: «قال الله: كذا وكذا وأمَرَكُم بكذا ونَهاكم عن كذا». قال: وكان يَزْعَمُ أكثرُ مخالفينا أنّ ذلك كان عند نزول جبرئيل، فسُئل الإمام الصادقعليه السلام عن الغشية التي كانت تأخذ النبيﷺ أكانت عند هبوط جبرئيلعليه السلام؟ فقال: «إنّ جبرئيل كان إذا أتى النبيﷺ لم يدخل حتّى يستأذنه، وإذا دخل عليه قعد بين يديه قعدة العبد، وإنّما ذاك عند مخاطبة الله عزوجلّ إيّاه بغير ترجمانٍ وواسطة.[2]



موقف النبيّ من الوحي

هنا موضوعان لهما أهميّة كبيرة بشأن رسالة الأنبياء وصدق دعوتهم إلى الله، لابدّ من البحث عنهما:

---

١. *بحارالأنوار*: ٣٢٦/٣ عن كتاب *حجة التفصيل* لابن أثير.

٢. *كمال الدين* للصدوق: ٨٥؛ *بحارالأنوار*: ٢٦٠/١٨.

الأوّل: كيف عرف النبيّ أنّه مبعوث بالرسالة؟ ولِمَ لا يشكّ في أنّ الذي أتاه شيطان واطمأن أنّه جبرئيل؟

الثاني: هل يجوز على النبيّ أن يخطأ فيما يوحى إليه، فيلتبس عليه تخيّلات باطلة في نفسه لتبدو له بصورة وحي أو يلقي عليه إبليس ما يظنّه وحياً من الله؟

أكثر أصحاب الحديث من العامّة جعلوا النبيّ مرتاعاً في أوّل أمره خائفاً على نفسه من مسّ الجنون عائذاً إلى إحضان زوجته الوفيّة لتستنجد هي إلى ابن عمّها ورقة بن نوفل ـ وكان قارئاً للكتب ـ فيطمئنّه هو بأنّه نبي ويؤكّد عليه ذلك حتّى يطمئنّ ويستريح باله، كما أنّهم ذهبوا إلى استيلاء الشيطان على النبيّ ﷺ، كما جاءت روايتهم لقصة الغرانيق. قالوا: حين نزل سورة النجم وجعل النبيّ ﷺ يتلوها، وبلغ قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾[1] ألقى عليه الشيطان: «تلك الغرانيق[2] الغُلى وإنّ شفاعتهنّ لتُرتجى»، فحسبها وحياً فقرأها على ملأ من قريش، ثُمّ قرأ بقيّة السورة وأكملها، فسجد وسجد المسلمون والمشركون أيضاً، تقديراً بما وافقهم محمّد ﷺ في تعظيم آلهتهم ورجاء شفاعتهم، وانتشر هذا النبأ حتّى بلغ مهاجري حبشة فرجعوا إلى مكّة فرحين، كما فرح النبيّ ﷺ بتحقّق أُمنيّته القديمة على ائتلاف قومه. فلمّا أمسى أتاه جبرئيل، فقال له: «أعرض عليّ السورة». فجعل النبيّ ﷺ يقرؤها عليه حتّى إذا بلغ الكلمتين قال له جبرئيل: «مه، من أين جئت بهاتين الكلمتين؟» فتندّم رسول الله ﷺ... وقال: «إنّه أتاني آتٍ على صورتك فألقاها على لساني». فقال جبرئيل: «معاذ الله أن أكون أقرأتك هذا».[3]

---

١. النجم: ١٩ و ٢٠.

٢. الغرانيق: جمع الغُرنوق وهو الشابّ الناعم الأبيض. وفي الأصل: اسم لطير الماء وهو تشبيه آلهة المشركين بطيور بيضاء متحلّقة في أجواء السماء كناية عن قربهم من الله تعالى.

٣. *تفسير الطبري*: ١٧/ ١٣١ ـ ١٣٤؛ *الدرّ المنثور*: ٤/ ١٩٤؛ *فتح الباري*: ٨/ ٣٣٣.

لكن ذهب أئمّة أهل البيت في ذلك مذهباً نزيهاً وجعلوا النبي أكرم على الله من أن يتركه إلى غير ذاته المقدّسة ولا ينير عليه الدلائل الموضحة على نبوّته في تلك الساعة الحرجة. كما لا يدع الشيطان أن يسلّط على مشاعر نبيّه الكريم. ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا...﴾.[١]

توضيح ذلك: يجب على الله ـ بمقتضى قاعدة اللطف ـ أن يقرن نبوّته بدلائل نيّرة لا مجال للشك فيها، وهذا الوجوب منبعث من مقام حكمته تعالى إذا كان يريد من عباده الانقياد وإلّا كان نقضاً لغرضه من التكليف. ولهذا لا يدع مجالاً لتدليس أهل الزيغ والأهواء إلّا ويفضحهم فوراً ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾،[٢] ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾.[٣]

روى زرارة بن أعين قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «كيف لم يخف رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يأتيه من قبل الله أن يكون ممّا ينزغ به الشيطان؟»، قال عليه السلام: «إنّ الله إذا اتّخذ عبداً رسولاً أنزل عليه السكينة والوقار،[٤] فكان الذي يأتيه من قبل الله مثل الذي يراه بعينه».[٥]

أيضاً: أنّ النبي صلى الله عليه وآله لم يختره الله لنبوّته إلّا بعد أن أكمل عقله وأدّبه فأحسن تأديبه، وعرّفه من أسرار ملكوت السماوات والأرض ما يستأهله للقيام بهذه المهمّة الخطيرة. قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«ولقد قرن الله به من لدن أن كان فطيماً أعظمَ ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره».[٦]

---

١. الطور: ٤٨.

٢. الحاقّة: ٤٤ ـ ٤٦.

٣. غافر: ١٥.

٤. أي: الطمأنينة والاعتدال الفكري.

٥. *تفسير العيّاشي*: ٢٠١/٢؛ *بحار الأنوار*: ١٨: ٢٦٢.

٦. *نهج البلاغة*: ٣٩٢/١، الخطبة القاصعة.

وكان قبيل بعثته تظهر له علامات النبوّة، فقد ظهرت آياتها قبل ثلاث سنوات من بعثته، فكان يرى الرؤيا الصادقة وكان يختلي بنفسه في غار حراء متفكّراً في أسرار الملكوت، متعمّقاً في ذات الله، متطلّعاً سرّ الخليقة، حتّى فاجأه الحقّ وقد بلغ سنّ الأربعين.

على أنّه ﷺ كان أشرف الأنبياء وأفضل المرسلين وخاتم سفراء ربّ العالمين، فكان أكرم عليه تعالى من أن يتركه ونفسه.

الخلاصة

١. يتلقى النبي ﷺ الوحي على ثلاثة أنحاء:

أ) الرؤيا الصادقة. ب) هبوط جبرئيل. ج) الوحي المباشر.

٢. لم يعهد نزول القرآن على النبي في المنام. نعم، ربّما كانت بعض رؤاه أسباباً لنزول القرآن كما في قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ...﴾.[1]

٣. ينزل جبرئيل على النبي أمّا بصورته الحقيقية، وقد رآه رسولنا على تلك الصورة مرّتين، أو على صورة دحية الكلبي.

٤. هناك مذهبان إزاء موقف النبي من الوحي:

الأوّل: مذهب أصحاب الحديث من العامة عندما جعلوا النبي ﷺ مرتاعاً في أوّل أمره خائفاً على نفسه من مسّ الجنون عائذاً إلى إحضان زوجته الوفيّة، فذهبت لتقصّ قصته على ابن عمّها ورقة بن نوفل وتسنجده، فيأتي إليه ويطمئنه.

الثاني: مذهب نزه النبي عن كلّ هذه المثالب ونفى عنه كلّ هذا الارتباك؛ لأنّ مقتضى قاعدة اللطف هو أن يقرن نبوّته بدلائل نيّرة لا مجال للشك فيها، مضافا إلى أنّ الله لم يختره إلّا بعد أكمل عقله وأحسن تأديبة وجعله مستعداً لتلقي الخطاب الإلهي والرسالة الخاتمة.

---

١. الفتح: ٢٧.

أسئلة الدرس

١. اختر الإجابة الصحيحة:

لقدكان تلقي النبي للوحي على ثلاث صور:

أ) الرؤية الصادقة ونزول جبرئيل والوحي المباشر.

ب) نزول جبرئيل والوحي المباشر وعروج روحه الى السماء.

٢. يهبط جبرئيل على النبي:

أ) على صورته الحقيقة.

ب) على صورة دحية الكلبي.

ج) على هيئة شبح.

د) أ و ب

٣. هناك مذهبان إزاء موقف النبي من الوصي، اذكرهما مع التوضيح.

الدرس السادس

المستشرقون وقصّة الغرانيق

لقد حاول المغرضون منذ زمن بعيد إلى تحريف وتشويه تعاليم الإسلام وبياناته، وأُولى تلك المحاولات هي التركيز على القرآن الكريم والتشويش على معانيه، حتّى لايتمكّن المسلمون أو من له قلب من أن يهتدي بهديه ويرتشف من معين ينابيعه النقية، ومن تلك المحاولات ماسعى إليه بعض المستشرقين من تحريف وتشويه لبعض آيات الذكر الحكيم، حيث اشتهر عنهم تمسّكهم بحكاية الغرانيق.

المستشرقون وقصّة الغرانيق

ورد في الموسوعة التأريخية التي أصدرتها جامعة كمبريدج ما يأتي:

> اعترف النبي في السنوات الأُولى من بعثته بإلهة الكعبة الثلاث اللواتي كان مواطنوه يعتبرونها بنات الله، وأشار إليهنّ في إحدى الآيات الموحاة: تلك الغرانيق العلى وإنّ شفاعتهّن ترتجى... .[1]

وذهب المستشرق «سيروليم موير» إلى القطع بصحّة هذه الرواية لورودها في كتب السيرة والتفسير.

---

١. *الإسلام في قصص الاتهام*، شوقي أبو خليل: ٦٥، نقلاً عن كتاب *دراسات تاريخية باللغة الإنجليزية*: ١ـ٢٢.

مناقشة هذه الشبهة

أوّلاً: الآيات القرآنية الكثيرة تكذّب ورود مثل هذه القصة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾.[١]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيسَ لَكَ عَلَيهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾.[٢]

وقوله: ﴿...مَا كَانَ لِي عَلَيكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ...﴾.[٣]

وقوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يوحَى﴾.[٤]

وقوله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَينَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾.[٥]

كلّ هذه الآيات تكذّب قصة الغرانيق، وأنّ الشيطان قد تدخل وألقى على لسان النبي ﷺ تلك الكلمات.

ثانياً: هذه القصة لم ترو بسند فيه قيمة علمية تذكر فضلاً عن كونه صحيح أو غير ذلك من أقسام الحديث، فهي قد رويت عن أبي عبّاس بواسطة الكلبي، والكلبي متروك[٦] فأسانيد هذه القصة بين مرسل ومنقطع كما يذكر ابن كثير.

ثالثاً: لم تعهد العرب أن تسمّي أصنامها بالغرانيق، والغرنوق هو طائر مائي أسود، فمصطلح الغرانيق لم يستعمل في اللغة بمعنى الإله.[٧]

---

١. النمل: ٩٩ ـ ١٠٠.

٢. الحجر: ٤٣.

٣. إبراهيم: ٢٢.

٤. النجم: ٣ ـ ٤.

٥. الحاقة: ٤٤ ـ ٤٦.

٦. *أضواء البيان*، الشنقيطي: ٥/ ٧٣٠.

٧. *إشكالات القرآن الكريم*، محمد عبده: ٨٠ ـ ٨١.

رابعاً: اختلاف ألفاظ نصوصها فقد جاء في بعض النصوص «تلك الغرانيق العلى أنّ شفاعتهن لترتجى».

وجاءت «الغرانقة العلى أنّ شفاعتهن ترتجى».

وجاءت «وأنّها لهي الغرانيق العلى».

فهذه القصة لا أساس لها فمختلفة من أصلها.

الخلاصة

١. فحوى قصة الغرانيق أنّ النبيﷺ اعترف بجلالة ومنزلة الأصنام التي كانت تعبد في الكعبة، عندما أوحي إليه: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن ترتجى. وقد ذهب المستشرق «سيروليم موير» إلى القطع بصحّة هذه القصة.

٢. إنّ هذه القصة مختلقة ولا أساس لها من الصحّة، وذلك لمايلي:

أوّلاً: إنّها مخالفة لصراحة آيات قرآنية كثيرة: ﴿...مَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ...﴾.[1]

وقوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يوحَى﴾.[2]

وقوله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾.[3]

ثانياً: إنّ إسانيد هذه القصة بين منقطع ومرسل، كما يقول ابن كثير، خصوصا أنّها جاءت بسند فيه الكلبي، والكلبي متروك.

ثالثاً: عدم استعمال الغرانيق بمعنى الإله لغوياً.

رابعاً: إنّ اختلاف ألفاظ النصوص التي جاءت بها يدلّ على بطلانها.

---

١. إبراهيم: ٢٢.

٢. النجم: ٣ ـ ٤.

٣. الحاقة: ٤٤.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. زعم المستشرقون أنّ الغرانيق تطلق على:

أ) كبار المشركين ب) شعاب مكّة

ج) الأصنام الموجودة في الكبعة د) الذين أذوا النبي

٢. المستشرق الذي قطع بصحّة قصة الغرانيق هو:

أ) لويس ماسينيون ب) سيروليم موير

ج) نولدكه د) لوت

٣. اذكر الردود على شبهة «قصة الفرانيق».

٤. ما معنى الفرانيق لغةً؟

الدرس السابع

نزول القرآن وتنزيله

تعتبر لحظة نزول القرآن الكريم نقطة تحوّل جبارة ومهمّة في تاريخ البشرية، لما تعنيه تلك اللحظة من معطيات بيرة ضربت في عمق التاريخ الإنساني لتختزل خلق الإنسان منذ يومه الأول وإلى نهاية الكون فيعلن ذلك الكتاب نفسه بأنّه آخر مايتكلّم به الربّ سبحانه لخليفته الإنسان، سارداً عليه جميع تجارب وقصص أخيه الإنسان في الأزمنة السحيقة، وقد وقع الكلام في فترة النزول القرآني وتاريخه، وهو مانسعى إلى الوقوف عليه.

تاريخ النزول وطبيعته

تشير بعض الآيات المباركة إلى أنّ القرآن الكريم قد نزل في شهر رمضان، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القرآن هُدًى لِلنَّاسِ...﴾.[1]

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيلَةِ الْقَدْرِ﴾.[2]

في حين أنّنا نعلم أنّ البعثة النبوية كانت في يوم ٢٧ من شهر رجب، وبعض الآيات الأخرى قد أشارت إلى أنّ القرآن نزل منجّماً على مدى (٢٣) عاماً؛ قال تعالى:

---

١. البقرة: ١٨٥.

٢. القدر: ١.

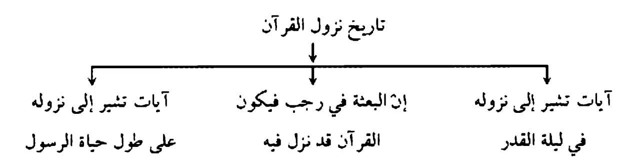
﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾.[١]

ومن خلال ما تقدّم من آيات تبين:

١. إنّ بعض الآيات تشير إلى أنّ نزول القرآن في شهر رمضان وفي ليلة القدر.

٢. إنّ البعثة في رجب ممّا تستلزم نزول القرآن فيه.

٣. بعض الآيات تشير إلى أنّ نزول القرآن نجوماً على طول المدّة الزمنية التي عاشها الرسول بين ظهراني الأمة.



التوجيهات التي ذكرت لحل ذلك التعارض

التوجيه الأوّل

قالوا بأنّ القرآن نزل مرّتين.

الأولى: نزل بشكل دفعي ومرّة واحدة، وهذا ما صرّحت به الآيات المباركة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾.

الثانية: إنّ القرآن نزل بشكل تدريجي وابتدأ نزوله من أوّل البعثة إلى وفاة الرسول الأكرمﷺ، وهذا ما جاءت الآية في قوله تعالى: ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾.[٢]

دفعي ⟵ النزول ⟶ تدريجي

١. الإسراء: ١٠٦.

٢. الإسراء ١٠٦.

الخلاصة

١. لقد أشارت بعض الآيات القرآنية إلى أنّ القرآن نزل في ليلة القدر ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾.[1] وأُخرى أشارت إلى أنّه نزل منجماً على طول حياة الرسول ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً﴾.[2] وعلمنا ببعثة النبي الأكرم في رجب يستلزم أن يكون القرآن نزل فيه.

٢. ولحل التعارض بين هذه المعطيات الثلاثة ذكر العلماء عدّة توجيهات:

منها: إنّ القرآن نزل مرّتين: الأُولى: نزوله بشكل دفعي، والثانية: بشكل تدريجي.

٣. النزول الدفعي يعني أنّه نزل كاملاً دفعة واحدة في ليلة القدر. والنزول التدريجي يعني أنّ نزول القرآن ابتدأ من حين بعثة النبيّ ﷺ وإلى آخر حياته.

---

١. القدر: ١.

٢. الإسراء: ١٠٦.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة صحيحة:

١. يشير قوله تعالى: ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾[1] إلى:

أ) إنّ القرآن نزل في شهر رمضان.

ب) إنّ القرآن نزل في شهر رجب.

ج) إنّ القرآن نزل منجّماً.

د) لا تشير إلى أي من ذلك.

٢. نزل القرآن الكريم مرّتين

أ) في مكّة وفي المدينة.

ب) قبل الفتح وبعده.

ج) في غار حراء وفي يثرب.

د) دفعي وتدريجي.

٣. اذكر التوجيهات التي ذكرها العلماء حول نزول القرآن

---

١. الإسراء: ١٠٦.

الدرس الثامن

الأدلّة على النزول الدفعي والتدريجي (١)

تعرّضنا في الدرس السابق إلى بحث هامّ من بحوث علوم القرآن وهو نزول القرآن الكريم، وذكرنا أنّ معطيات بعض الآيات توهم التعارض والغموض في الشكل والزمن الذي نزل فيه القرآن، وقد تمخض عن ذلك ثلاثة تصوّرات: نزوله في ليلة القدر، ونزوله في يوم البعثة، ونزوله منجّماً، ولحلّ عقدة النزول هذه طرحت عدّة معالجات منها: النزول الدفعي والتدريجي، وفي هذا الدرس نحاول أن نستدلّ على هذه المعالجة أولاً، ومن ثَمّ نحاول طرح المعالجات الأُخرى.

لقد استدلّوا على هذه الرؤية بأدلّة منها:

دليل قرآني: كما هو واضح من الآيات المباركة التي ذكرناها.

دليل روائي: جاء في كتاب *الكافي*:

> عن علي بن إبراهيم، عن أبيه محمد بن القاسم، عن محمد بن سليمان عن داوود وعن حفص بن غياث، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القرآن...﴾ وإنّما أُنزل في عشرين سنة بين أوّله وآخره؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: نزول القرآن جملةً واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثُمّ نزل في طول عشرين سنة، ثُمّ قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «نزلت صحف إبراهيم في

أوّل ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لستّ مضين من شهر رمضان، وأُنزل الإنجيل لثلاث عشر ليلة خلت من شهر رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشر خلون من شهر رمضان، وأنزل القرآن في ثلاث وعشرين من شهر رمضان».[١]

وهناك رواية تشير إلى أنّ القرآن نزل من السماء الرابعة، ثُمّ إلى البيت المعمور.[٢] وهذه الرواية تم تأويلها من قبل التوصيه الأوّل الفيض الكاشاني، قال في توجيه هذه الرواية.

التوجيه الأول

١. البيت المعمور هو قلب النبيﷺ.

٢. والمراد من السماء الرابعة العالم الإنساني أعم من الجمادات والنباتات والحيوانات والإنسان.

٣. في السماء الرابعة توجد مراتب تصاعدية تبدأ من الجماد، ثُمّ النبات، ثُمّ الحيوان، ثُمّ الإنسان.

٤. الإنسان له مراتب تصاعدية ومن هذه المراتب قلب النبيﷺ وهو البيت المعمور.

ويعتمد هذا الدليل على مقدمة، وهي:

إنّ فائدة النزول الدفعي الذي احتضنه صدر الرسول الأكرمﷺ إنّما تكون لتنوير قلب النبي الأكرمﷺ بالمعارف والعلوم القرآنية لتساعده على تحمل أعباء الرسالة طيلة المدة التي قضاها في التبليغ، ومن ثَمّ تتنزل تلك الآيات بشكل تدريجي.

هذه الأدلّة التي ذكرناها اعتمد عليها أصحاب الآراء الأُخرى في التوفيق بين نزوله في شهر رمضان وبين نزوله منجماً، ولكن من خلال اجتهادات في توجيه الأدلّة القرآنية.

---

١. *الكافي*: ٥٩٢/٢، الحديث ٦.

٢. *في ظلال القرآن*، سيد قطب: ٧٩/٢.

التوجيه الثاني

القسم الأعظم من القرآن الكريم قد نزل في شهر رمضان، وليس كلّ القرآن نزل في شهر رمضان، ولذلك جاءت الآيات المباركة لتقول إنّ القرآن نزل في شهر رمضان بلحاظ نزول الكثرة في شهر رمضان.[١]

وهذا التوجيه يعتمد في أدلّته على نفس أدلّة التوجيه الأوّل بعد ملاحظة أنّ العرف العام يخصص الشيء بما يغلب عليه، وبما أنّ القرآن أغلب آياته قد نزلت في شهر رمضان فقد خصص نزوله في ذلك الشهر.

التوجيه الثالث

إنّ القرآن الكريم نزل على طول الفترة التي عاشها الرسول الأكرمﷺ، ولكن يمكن القول: إنّ ما يريد الله أن ينزله على الرسول الأكرمﷺ في مدّة سنة كاملة فينزله عليه في ليلة القدر، بعبارة أُخرى: إنّ الآيات التي قدر الله نزولها في سنة ينزلها دفعة واحدة على صدر الرسول في ليلة القدر.

التوجيه الرابع

إنّ سبب القول بأنّ القرآن نزل في شهر رمضان بلحاظ المبدأ، أي أنّ بداية نزول القرآن كان في شهر رمضان وبهذا اللحاظ قيل: إنّ القرآن أنزل في شهر رمضان.

التوجيه الخامس

هذا التوجيه ذكره أبو عبد الله الزنجاني قال:

> إنّ معنى نزول القرآن في ليلة القدر ليس هو نزول آيات القرآن، وإنّما نزول الأهداف الكلية للقرآن.[٢]

---

١. *تفسير الصافي*: ٤٢/١.

٢. *تاريخ القرآن* للزنجاني: ١٠.

الخلاصة

١. لقد ذكرت معالجات أُخرى لتعين زمن النزول وكيفيته:

منها: إنّ القسم الكبير منه نزل في شهر رمضان.

ومنها: إنّ مايقدره الله أن ينزله في سنة واحدة ينزله في ليلة القدر.

ومنها: إنّ القول بنزول القرآن في شهر رمضان كان يلحظ مبدأ النزول.

ومنها: إنّ نزول القرآن في ليلة القدر يعني نزول أهدافه الكلية.

٢. لقد استدلّوا على النزول الدفعي والتدريجي بدليلين: أحدهما قرآني، والثاني روائي.

٣. إنّ فائدة النزول الدفعي هو تنوير قلب النبي بالمعارف والعلوم القرآنية، واعانته على تحمل أعباء الرسالة.

أسئلة الدرس

اختر الأجابة الصحيحة:

١. إنّ الفائدة من النزول الدفعي هي:

أ) تنوير قلب النبي بتعاليم القرآن. ب) حفظ القرآن من الضياع.

ج) إخبار النبي بالمغيبات. د) بشرى للمسلمين.

٢. إنّ المخصص لانصراف نزول القرآن في شهر رمضان هو:

أ) نفس الآية الشريفة. ب) سورة القدر.

ج) العرف العام. د) لاشيء من ذلك.

٣. ذهب أبو عبد الله الزنجاني إلى أنّ نزول القرآن في ليلة القدر هو:

أ) نزوله بكماله وتمامه. ب) نزول الأهداف الكلية للقرآن.

ج) نزول بعض بسور. د) نزول بعض الايات.

٤. لقد أوّلَ الفيض الكاشاني البيت المعمور والسماء الرابعة:

أ) بالكعبة وقلب النبي. ب) بقلب النبي والعالم الإنساني.

ج) ببيت النبي ومسجده. د) بالمسجد الحرام والمسجد الأقصى.

٥.ضع علامة(✓) أمام العبارة الصحيحة:

أ) من المعالجات التي ذكرت لحل التعارض مسألة نزول القرآن هي نزول القسم الكبير من القرآن في شهر رمضان( ).

ب) في السماء الرابعة توجد مراتب تصاعدية تبدأ من النبات، ثُمّ الإنسان، ثُمّ الجماد ثُمّ... إلخ( ).

الدرس التاسع

الأدلّة على النزول الدفعي والتدريجي (٢)

التوجيه السادس

وهو التوجيه الذي ذهب إليه العلّامة الطباطبائي، حيث قال:

الذي يعطيه التدبّر في آيات الكتاب أمر آخر فإنّ الآيات الناطقة بنزول القرآن في شهر رمضان أو في ليلة منه إنّما عبرت عن ذلك بلفظ الإنـزال الدالّـة علـى الدفعـة دون التنزيل...، واعتبار الدفعة أمّا بلحاظ اعتبار المجموع في الكتاب أو البعض النازل منـه... وأمّا لكون الكتاب ذا حقيقـة أُخـرى وراء مـا نفهمـه بـالفهم العـادي الـذي يقـضي فيـه بالتفرّق والتفصيل والاستنباط والتدريج هو المصحح لكونه واحداً غير تدريجي ونازلاً بالإنزال دون تنزيل، وهذا الاحتمال الثاني هو اللائح من الآيات الكريمة كقوله تعـالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.[1]

فإنّ هذا الاحكام مقابل التفصيل، والتفصيل هو جعلـه فـصلاً فـصلاً وقطعـة قطعـة، وأوضح منه قوله تعـالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُـونَ * هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ..﴾.[2]

---

١. هود: ١.

٢. الأعراف: ٥٣ ـ٥٢.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا القرآن أَنْ يفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَينَ يدَيهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ... وَلَمَّا يأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ...﴾.[١]

فإنّ الآيات الشريفة ظاهرة الدلالة على أنّ التفصيل أمر طارِ على الكتاب...، وأوضح منه قوله تعالى: ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَينَا لَعَلِي حَكِيمٌ﴾.[٢]

فإنّه ظاهر في أنّ هناك كتاباً مُبَيناً عُرض عليه، جعله مقروءاً عربياً، وإنّما ألبس لباس القراءة والعربية ليعقله الناس وإلّا فإنّه ـ وهو في أُم الكتاب ـ عند الله عليّ لا تصعد إليه العقول، حكيم لا يوجد فيه فصل وفصل، وفي الآية تعريف الكتاب المبين وأنّه أصل القرآن العربي المبين.

ثُمّ كون القرآن في مرتبة التنزيل بالنسبة إلى الكتاب المبين ـ ونحن نسميه بحقيقة الكتاب ـ بمنزلة اللباس من المتلبس وبمنزلة المثال من الحقيقة و بمنزلة المثل من الفرض المقصود بالكلام هو المصحح لئن يطلق القرآن أحياناً على أصل الكتاب، كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾.[٣]

وكلام السيد يمكن اختصاره في نقاط:

أوّلاً: نزول القرآن في شهر رمضان، جاء في القرآن بلفظ الإنزال وهو يشير إلى الدفعة وليس بلفظ التنزيل الذي يشير إلى التدرج.

ثانياً: نحن عندما نقول: إنّ القرآن نزل دفعة، أمّا المقصود كلّ الكتاب قد نزل دفعة أو نقصد بعض من الكتاب نزل دفعة، أو نقصد أنّ الكتاب له حقيقة واحدة، وهذه الحقيقة هي التي نزلت دفعة.

---

١. يونس: ٣٧ ـ ٣٩.

٢. الزخرف: ١ـ٤.

٣. *الميزان في تفسير القرآن*: ١٦/٢ ـ ١٨.

ثالثاً: الذي يمكن استظهاره من الآيات المباركة أنّ المقصود من النزول دفعة هو تلك الحقيقة الخاصة بالكتاب، والتي هي وراء ما نفهمه بالفهم العادي.

رابعاً: الآيات التي تدلّ على أنّ النزول دفعة بمعنى نزول حقيقة الكتاب، هي:

١. قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.[١]

كيفية الاستدلال

إنّ الإحكام هنا مقابل التفصيل، والتفصيل جعله فصلاً فصلاً وقطعة قطعة ممّا يشير إلى أنّ حقيقة الكتاب محكمة غير مفصلة.

٢. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يؤْمِنُونَ * هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ...﴾.[٢]

كيفية الاستدلال

الآية تشير إلى أنّ القرآن له حقيقة واحدة ثُمّ فصلت.

٣. قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا القرآن أَنْ يفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَينَ يدَيهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ...﴾.[٣]

كيفية الاستدلال

إنّ الآية ظاهرة بأنّ التفصيل أمر طارٍ على الكتاب، وكذلك في الآيات إشعار بأنّ أصل الكتاب هو التأويل لتفصيل الكتاب، فأصل الكتاب شيء، وتفصيل الكتاب شيء آخر.

---

١. هود: ١.

٢. الأعراف: ٥٣ ـ ٥٢.

٣. يونس: ٣٧ ـ ٣٩.

٤. قوله تعالى: ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَينَا لَعَلِي حَكِيمٌ﴾.[١]

كيفية الاستدلال

الذي يظهر من الآية أنّ هناك كتاباً له حقيقة في أم الكتاب لا تناله العقول ولا يوجد فيه تفصيل. نعم، هذا الكتاب المبين الذي بين أيدينا هو قرآن عربي.

إذ يوجد للكتاب حقيقة وهي في أم الكتاب عند الله ويوجد للكتاب وجود آخر هو هذا الذي بين أيدينا.

والنتيجة: إنّ السيّد الطباطبائي يقول: إنّ الرسول عَلِمَ بحقيقة الكتاب في شهر رمضان، وأمّا تفصيل الكتاب استمرّ تنزيله على طول الفترة التي عاشها الرسول الأكرمﷺ.

ولذا يرى العلّامة أنّ قوله تعالى: ﴿...وَلَا تَعْجَلْ بِالقرآن مِنْ قَبْلِ أَنْ يقْضَى إِلَيكَ وَحْيهُ...﴾.[٢]

وقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَينَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾.[٣]

إنّ هذه الآيات ظاهرة في أنّ الرسول الأكرمﷺ كان له علم بما سينزل عليه فنُهي عن الاستعجال بالقراءة قبل انقضاء الوحي.[٤]

الخلاصة

١. يرى العلّامة الطباطبائي أنّ نزول القرآن في شهر رمضان جاء بلفظ الإنزال الذي يشير إلى الدفعة، وليس بلفظ التنزيل الذي يعني التدرج.

---

١. الزخرف: ١-٤.

٢. طه: ١١٤.

٣. القيامة: ١٦-١٧.

٤. *الميزان في تفسير القرآن*: ١٨/٢.

٢. إنّ نزول القرآن دفعة فيه ثلاث وجوه: أ) نزول القرآن كلّه دفعة. ب) نزول بعض القرآن دفعة. ج) نزول حقيقة القرآن دفعة واحدة.

٣. ربّما يظهر من بعض الآيات أنّ حقيقة النزول هي حقيقة خاصّة بأسرار الكتاب العزيز، ولايمكن استيعابها وفهمها بسهولة ولكلّ واحد.

٥. يستفاد من بعض الآيات أنّ النزول هو نزول حقيقة الكتاب دفعة واحدة، كقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.[1] بتقريب أنّ الأحكام هنا مقابل التفصيل، والتفصيل جعله فصلاً فصلاً وقطعة قطعة ممّا يشير إلى أنّ حقيقة الكتاب محكمة غير مفصلة.

وقد ذكرت في ثنايا الدرس مجموعة أُخرى من الآيات قريبة من هذه الآية.

---

١. هود: ١.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. يرى العلّامة الطباطبائي أنّ القرآن الكريم نزل دفعة إلّا أنّه فسر ذلك:

أ) بنزول القرآن باكمله. ب) نزول بعضه.

ج) نزول حقيقة الكتاب. د) ب و ج.

٢. استدلّ العلّامة بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا القرآن أَنْ يفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَينَ يدَيهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ... وَلَمَّا يأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ...﴾[١] على:

أ) بطلان المفترين. ب) تفصيل الكتاب.

ج) حقيقية الكتاب العظيمة. د) صحّة تاويل القرآن.

٣. لقد كان نزول الكتاب مفصلاً على صدر نبينا محمدﷺ:

أ) في شهر رمضان. ب) بعد الفتح.

ج) على طول الفترة التي عاشها الرسول. د) آخر حياة النبي.

---

١. يونس: ٣٧ ـ ٣٩.

الدرس العاشر

فوائد وأسرار النزول التدريجي للقرآن

لقد تبينت في الدروس الماضية معالم النزول القرآني وذكرنا أنّ هناك عدّة إشكالات من النزول منها الدفعي ومنها التدريجي، وقد دار حول الأخير كلامٍ في الدراسات القرآنية، وعقدت الفصول للبحث في جدواته وفائدته، وهذا الدرس يحاول الإجابة عن بعض الإشكالات التي أُثيرت ضده، ويسعى إلى رفع الغموض والضبابية عن حقيقته.

لعلّ من الإشكالات التي طرحها المشركون على الرسولﷺ أنّ هذا القرآن الذي يهدف إلى هداية الناس يجب أن يكون معلوماً ومعروفاً بين الناس بكلّ ما يحمل من تفاصيل، ولا داعي لهذه الفواصل الزمنية بين الآيات المباركة وقد ترجم الله تعالى هذا الإشكال بالآية المباركة على لسان المشركين:

﴿...لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيهِ القرآن جُمْلَةً وَاحِدَةً...﴾.[1]

ومن هنا برزت أهمّية البحث عن أسباب النزول التدريجي وفوائده وذكرت عدّة أسباب وفوائد بعضها أكّد عليها القرآن الكريم بشكل صريح وواضح منها:

١. القرآن الكريم أجاب المشركين على إشكالهم عندما قالوا: ﴿...لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيهِ

---

١. الفرقان: ٣٢.

القرآن جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾.[١]

فالنزول التدريجي للآيات كان هدفه الأساس لتثبيت قلب النبي في مواجهة الصعاب والمواقف الشديدة التي سوف يواجهها الرسول الأكرم خلال فترة تبليغه للرسالة، ولهذا نجد أنّ المشركين عندما كانوا يؤذون النبيﷺ في الأقوال والأفعال ينزل قوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.[٢]

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا...﴾.[٣]

فهذه الآيات تساعد الرسول الأكرم على مواجهة الصعاب.

٢. من الأسباب الأساسية التي دعت إلى النزول التدريجي هو مساعدة الناس على تلقي التعاليم الإلهية، فالقانون عندما يطبق دفعة واحدة قد لا يلاقي نفس الاستجابة فيما إذا روعي في تطبيقه الظروف الحياتية والزمانية والمكانية للمجتمع، ولعلّ لفظة ﴿مُكْث﴾ تشير إلى هذا المعنى قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾.[٤]

٣. تساعد عملية النزول التدريجي على التدرج في حفظ القرآن وفهمه بشكل سهل، خصوصاً وأنّ الأمة التي نزل عليها القرآن تعاني من مشاكل عديدة اجتماعية واقتصادية وسياسية تجعلها أُمة مرتبكة، فالتنزل التدريجي لهذا الكتاب يساعد تلك الأمة على سهولة حفظه وتعلمه.

٤. تشير عملية النزول التدريجي على مدى (٢٣) عاماً إلى الإعجاز القرآني في نظمه وأحكامه، فعلى سنوات عديدة ينزل القرآن لم يجدوا فيه إلّا الأسلوب الرصين

---

١. الفرقان: ٣٢.

٢. يس: ٣٦.

٣. الأنعام: ٣٤.

٤. الإسراء: ١٠٦.

والحجّة المحكمة والإتقان في ألفاظه ومعانيه، فلو كان القرآن كلاماً بشرياً لوجدت فيه الاختلاف والتضارب، ولهذا جاءت الآية المباركة.

﴿...وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.[١]

٥. عملية النزول التدريجي تشير أيضاً إلى أنّ المسلمين كانوا يتوقّعون الوحي ونزول الآيات في كلّ ما يواجههم في حياتهم من صعوبات ومشاكل سواء كانت نظرية على شكل تحديات فكرية أو عملية، هذا التوجّه من قبل المسلمين نحو السماء يساعدهم على ربطهم بالسماء باستمرار حتّى يصلوا إلى المستوى الذي يطمح إلى تحقيقه القرآن.

فوائد النزول التدريجي

تثبيت قلب النبي	تدريب الناس على تلقي تعاليم السماء	حفظ القرآن وفهمه	بيان الإعجاز القرآني	ربط الناس بالسماء

الخلاصة

١. لقد أورد المشركون على النبي إشكالاً فحواه: إنّ القرآن الكريم بما أنّه كتاب هداية، وعليه يجب أن يكون معلوماً لدى الناس بكل تفاصيله، والنزول التدريجي ينافي ذلك.

٢. يمكن تلخيص فوائد النزول التدريجي بما يلي:

أوّلاً: انه تثبيت لقلب النبيﷺ وطمئنته.

ثانياً: تدريب المجتمع المسلم على تلقي التعاليم والأوامر الإلهية.

ثالثاً:حفظ القرآن وفهم واستيعاب مضامينه.

رابعاً: عرض الإعجاز القرآني.

خامساً: جعل الناس يرتبطون بالسماء بشكل مستمرّ.

---

١. النساء: ٨٢

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. يدلّ قوله تعالى: ﴿...لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ القرآن جُمْلَةً وَاحِدَةً...﴾[1] على:

أ) استهزاء المشركين بالقرآن. ب) عدمِ اعتقادهم به.

ج) إرادتهم تعلم احكامه. د) رفضهم للنزول التدريجي.

٢. قوله تعالى: ﴿... كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾[2] يدلّ على الفائدة التالية من فوائد النزول التدريجي:

أ) إزالة خوف النبيﷺ. ب) الأمر بقراءة القرآن.

ج) تثبيت قلب النبيﷺ. د) لاشيء من ذلك.

٣. من فوائد النزول التدريجي:

أ) تدريب المجتمع المسلم على تلقي التعاليم الإلهية.

ب) عرض الإعجاز القرآني.

ج) ارتباط الناس بالسماء بشكل مستمرّ.

د) الكل صحيح.

---

١. الفرقان: ٣٢.

٢. الفرقان: ٣٢.

الدرس الحادي عشر

أوّل ما نزل من القرآن

يعتبر ترتيب النزول وتسلسل السور من المواضيع التي تلازم عادة مباحث النزول، وبما أنّ السور المرتبة في المصحف لاتعني كونها نزلت على هذا الترتيب، عكف علماء القرآنيات على البحث في التسلسل الزمني الحقيقي لنزول السور حسب ترتيبها ونزولها على صدر النبي ﷺ، وتجدر الإشارة هنا أنّ لهذا البحث أهمّية أيضاً في علوم القرآن دراساته.

أوّل ما نزل من القرآن

لقد وقع الكلام في تحديد أوّل آية أو سورة نزلت من القرآن، هل هي العلق أو المدثر أو...

والأقوال في ذلك ثلاثة:

القول الأوّل: سورة العلق، ففي تفسير الإمام العسكري عليه السلام:

«هبط إليه جبرئيل وأخذ بضبعه وهزّه، فقال: يا محمّد، اقرأ، قال: وما أقرأ؟ قال: يا محمّد: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾».[1]

---

١. العلق: ١ ـ ٥. راجع: *بحار الأنوار*: ٢٠٦/١٨؛ *تفسير البرهان*: ٤٧٨/٢.

القول الثاني: سورة المدثّر، روي عن ابن سلمة، قال:

«سألت جابر بن عبد الله الأنصاري: أيّ القرآن أُنزل قبل؟ قال: ﴿ يا أيّها المدَّثِّر ﴾ قلتُ: أو ﴿ اقرأ باسم ربّك ﴾؟ قال: أُحدّثكم ما حدّثنا به رسول الله ﷺ: إنّي جاورت بحراء، فلمّا قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وشمالي ـ ولعلّه سمع هاتفاً ـ ثُمّ نظرتُ إلى السماء فإذا هو ـ يعني جبرئيل ـ فأخذتني رجفة، فأتيت خديجة، فأمرتهم فدثّروني، فأنزل الله ﴿يا أَيهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾».[1]

ولعلّ جابراً اجتهد من نفسه أنّها أوّل سورة نزلت، إذ ليس في كلامِ رسول الله ﷺ دلالة على ذلك، والأرجح أنّ ما ذكره جابر كان بعد فترة انقطاع الوحي فظنّه جابر بدء الوحي،[2] حيث روي جابر حديث فترة انقطاع الوحي أيضاً، قال:

«سمعت رسول الله ﷺ يحدّث عن فترة انقطاع الوحي، قال: فبينما أنا أمشي إذ سمعت هاتفاً من السماء، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالساً على كرسيّ بين السماء والأرض، فجئثت منه فرقاً ـ أي فزعت ـ فرجعت، فقلت: زمّلوني زمّلوني فدثّروني، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿يا أَيهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ ـ وهي الأوثان ـ قال ﷺ: ثمّ تتابع الوحي».[3]

القول الثالث: سورة الفاتحة، قال الزمخشري: «أكثر المفسّرين على أنّ الفاتحة أوّل ما نزل».[4]

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال:

«سألت النبيّ ﷺ عن ثواب القرآن، فأخبرني بثواب سورة سورة على نحو ما نزلت من السماء فأوّل ما نزل عليه بمكّة: فاتحة الكتاب، ثُمّ: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾، ثُمّ: ﴿ ن وَالْقَلَمِ ﴾...».[5]

---

١. *صحيح مسلم*: ٩٩/١.

٢. راجع: *البرهان*: ٢٠٦/١.

٣. *صحيح مسلم*: ٩٨/١.

٤. *الكشاف*: ٧٧٥/٤.

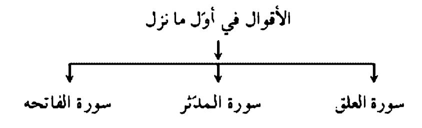
٥. مجمع *البيان*: ٤٠٥/١٠.

ولا شكّ أنّ النبيﷺ كان يصلّي منذ بعثته، وكان يصلّي معه علي وجعفر وزيد بن حارثة وخديجة[١] و «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[٢] فقد ورد في الأثر: أوّل ما بدأ به جبرئيل أن علّمه الوضوء والصلاة،[٣] فلا بدّ أنّ سورة الفاتحة كانت مقرونة بالبعثة.

الجمع بين الأقوال: نحن لا نرى تنافياً جوهريّاً بين الأقوال الثلاثة؛ لأنّ الآيات الثلاثة أو الخمسة من أوّل سورة العلق إنّما نزلت تبشيراً بنبوّتهﷺ وهذا إجماع أهل الملّة، ثُمّ بعد فترة جاءته آيات ـ أيضاً ـ من أوّل سورة المدّثر، كما جاء في حديث جابر ثانياً.

أمّا سورة الفاتحة فهي أوّل سورة نزلت بصورة كاملة وبسمة كونها سورة من القرآن كتاباً سماويّاً للمسلمين. ومن هنا صحّ التعبير عن سورة الحمد بسورة الفاتحة، أي: أوّل سورة كاملة نزلت بهذه السمة الخاصّة، إذ ليس المراد من الفاتحة أنّها كتبت في بدء المصاحف؛ لأنّ هذا الترتيب شيء حصل بعد وفاة النبيﷺ أو لا أقلّ في عهد متأخّر من حياته ـ فرضاً ـ في حين أنّها كانت تسمّى بفاتحة الكتاب منذ بداية نزولها، كما يشير إليه قولهﷺ:

«لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب».[٤]



---

١. *تفسير علي بن إبراهيم القمّي*: ٣٥٣.

٢. *مستدرك الحاكم*: ٢٣٨/١ ـ ٢٣٩.

٣. *سيرة ابن هشام*: ٢٦٠/١ ـ ٢٦١؛ *بحار الأنوار*: ١٨/ ١٨٤، الحديث ١٤ و /١٩٤، الحديث ٣٠.

٤. *صحيح مسلم*: ٩/٢.

آخر ما نزل من القرآن

ووقع الكلام أيضاً في تحديد آخر آية أو سورة نزلت من القرآن؟

والأقوال في ذلك أربعة:

الأوّل: سورة النصر، روي عن الصادقعليه السلام:

«وآخر سورة نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾».[1]

الثاني: سورة براءة، روي إنّها آخر سورة نزلت، نزلت في السنة التاسعة بعد عام الفتح عند مرجعهصلى الله عليه وآله من غزوة تبوك، نزلت آيات من أوّلها فبعث بها النبي مع عليعليه السلام ليقرؤها على ملأ من المشركين.[2]

الثالث: آية ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا...﴾: روي إنّ آخر آية نزلت هي آية: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ نزل بها جبرئيل، وقال: «وضعها في رأس المئتين والثمانين من سورة البقرة». وعاش الرسولصلى الله عليه وآله أحداً وعشرين يوماً، وقيل: سبعة أيام.[3]

الرابع: آية إكمال الدين، روي إنّ آخر آية نزلت هي آية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.[4]

قال اليعقوبي: كان نزلوها يوم النصّ على أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بغدير خم.[5]

الأقوال في آخر ما نزل

سورة النصر | سورة براءة | آية ﴿واتقوا يوماً...﴾ | آية إكمال الدين

---

١. تفسير *البرهان*: ٢٩/١.

٢. المصدر: ٦٨٠/١.

٣. *تفسير شبّر*: ٨٣.

٤. المائدة: ٣.

٥. *تاريخ اليعقوبي*: ٣٥/٢.

الجمع بين الأقوال: لا شكّ أنّ سورة النصر نزلت قبل براءة؛ لأنّها كانت بشارة بالفتح أو بمكّة عام الفتح[1] وبراءة نزلت بعد الفتح بسنة.

فطريق الجمع بين هذه الروايات: إنّ آخر سورة نزلت كاملة هي سورة النصر، فقال‌ﷺ: أمّا أنّ نفسي نعيت إليّ. وآخر سورة نزلت باعتبار مفتتحها هي سورة براءة. وأمّا آية: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ..﴾ فإن صحّ أنّها نزلت بمنى يوم النحر في حجّة الوداع ـ كما جاء في رواية الماوردي[2] ـ فآخر آية نزلت هي آية الإكمال ـ كما ذكرها اليعقوبي ـ لأنّها نزلت في مرجعه‌ﷺ من حجّة الوداع ثامن عشر ذي الحجّة. وإلّا فلو صحّ أنّ النبي‌ﷺ عاشر بعد آية: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ...﴾ أحداً وعشرين يوماً أو سبعة أو تسعة أيّام، فهذه هي آخر آية نزلت عليه‌ﷺ.

والأرجح ما ذهب إليه اليعقوبي، نظراً إلى أنّها آية الإعلام بكمال الدّين، فكانت إنذاراً بانتهاء الوحي عليه‌ﷺ بالبلاغ والأداء. فلعلّ تلك الآية كانت آخر آيات الأحكام، وهذه آخر آيات الوحي إطلاقاً.

الخلاصة

١. اختلفت الأقوال في تعيين أولّ سورة نزلت من القرآن الكريم فقيل: إنّها سورة العلق، وقيل: إنّها سورة المدّثر، وقيل: إنّها سورة الفاتحة.

٢. لا يوجد تنافي بين الأقوال الثلاثة على اعتبار أنّ أهل الملّة يجمعون على أنّ بعض آيات سورة العلق هي التي نزلت أولاً، ثُمّ بعدها بفترة نزلت الآيات الأولى من المدّثر، وأمّا الفاتحة فهي أوّل سورة كاملة نزلت على صدر النبي، وبذلك يرتفع التعارض.

---

١. *أسباب النزول بهامش الجلالين*: ١٦٥/٢.

٢. *البرهان*: ١٨٧/١.

٣. واختلفت الأقوال أيضاً في آخر سورة نزلت، هل هي النصر أو براءة أو آية ﴿وَاتَّقُوا يوْمًا...﴾ أو أنها آية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ...﴾؟ وقد عولجت هذه الأقوال بعدّة معالجات منها:

أ) إنّ آخر سورة نزلت كاملة هي النصر، وآخر سورة باعتبار مفتتحها هي سورة براءة.

ب) يرجح ان تكون آخر مانزل من الآيات هي آية اكمال الدين، كما ذهب إلى ذلك اليعقوبي؛ لأنها آية الإعلان عن إكمال الدين، وقد تكون آية ﴿وَاتَّقُوا يوْمًا...﴾ هي آخر آيات الإحكام.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. من الأقوال في تحديد أوّل مانزل من السور هو:

أ) أوّل مانزل هو سورة المدثر.

ب) أوّل مانزل هو سورة ق.

ج) أوّل مانزل هو سورة الفاتحة.

د) أ و ج.

٢. أوّل آيات نزلت هي آيات:

أ) النصر. ب) العلق.

ج) الفاتحة. د) المدثر.

٣. أوّل سورة كاملة نزلت:

أ) الغاشية. ب) براءة.

ج) العلق. د) الفاتحة.

٤. من الأقوال المذكورة في تحديد آخر ما نزل من القرآن:

أ) آخر مانزل سورة تبارك.

ب) آخر مانزل آية ﴿وَاتَّقُوا يوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ...﴾.

ج) آخر مانزل سورة براءة.

د) ب و ج.

٥. آخر سورة نزلت باعتبار مفتتحها هي:

أ) النصر. ب) العلق.

ج) المدثر. د) لاشيء من ذلك.

٦. الأرجح أنّ آخر آية نزلت هي:

أ) آية ﴿وَاتَّقُوا يوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ...﴾.

ب) آية براءة.

ج) إكمال الدين.

د) ﴿يا أَيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾.

الدرس الثاني عشر

المكّي والمدني

لقد رافق نزول القرآن وهبوط الوحي حركة الرسول الأكرم محمّدﷺ ولازمه أين ما حل وراح باعتباره محور الحركة الرسالية العظيمة، ولما كانت بداية دعوته في مكّة كانت الآيات الشريفة تنزل عليه في مكّة، وبعدما هاجر إلى المدينة انتقل نزولها من مكّة إلى المدينة، وبعدما عاد إلى مكّة ثانياً بعد فتحها عاد النزول معه إليها، فبرزت ظاهرة قرآنية عمدت الدراسات القرآنية إلى بحثها وتفسير مفاصلها، وهي ظاهرة المكّي والمدني.

فائدة المكّي والمدني

تعتبر دراسة بحوث المكّي والمدنيّ، ومعرفة خصائصهما ومداليهما ذات فائدة كبيرة ترتبط بأسباب النزول، وتمدّ المفسّر والفقيه في تعيين اتّجاه الآية وتنفع أيضاً في مجال معرفة الناسخ من المنسوخ، والخاصّ من العامّ، والقيد من الإطلاق، وما أشبه.

نظريات المكّي والمدني

طرحت في تعيين المكّي والمدنيّ ثلاث نظريات:

الأولى: ما نزل قبل الهجرة أو في أثناء الطريق قبل وصولهﷺ إلى المدينة فهو

مكّي، وما نزل بعد ذلك ولو في غير المدينة حتّى لو نزل في مكّة عام الفتح أو في حجّة الوداع فهو مدنيّ.

الثانية: ما نزل بمكّة وحواليها ـ ولو بعد الهجرة ـ فهو مكّي، وما نزل بالمدينة وحواليها فهو مدنيّ، وما نزل خارجاً عنهما فهو لا مكيّ ولا مدنيّ.

الثالثة: كلّ شيء نزل فيه «يا أيّها الناس» فهو بمكّة وكلّ شيء نزل فيه «يا أيّها الذين آمنوا» فهو بالمدينة.[1] قال الزركشي:

لأنّ الغالب على أهل مكّة الكفر، والغالب على أهل مدينة الإيمان.[2]

والمشهور الذي جرى عليه أكثر أهل القلم هو الاصطلاح الأوّل.[3]

الخلاصة

١. إنّ معرفة المكّي والمدني فيه فوائد جمة؛ لأنّها تنفع الفقيه والمفسّر وتساهم في معرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاصّ ونحوه.

٢. هناك ثلاث نظريات في تحديد المكّي والمدني:

الأُولى: ماكان قبل قبل الهجرة فهو مكّي، وما نزل بعدها فهو مدني.

الثانية: مانزل في المدينة وأطرافها فهو مدني، ومانزل في مكّة وأطرافها ولو بعد الهجرة فهو مكّي.

الثالثة: ما ابتدأ بـ «يا أيّها الناس» فهو مكّي، وما ابتدأ بـ «يا أيّها الذين آمنوا» فهو مدني.

٣. المناط في ترتيب السور هو فواتحها، فمن كانت آياتها الأُولى قد نزلت أوّلاً كانت هي المقدّمة، والسورة التي نزلت فواتحها لاحقاً تكون متأخّرة عنها.

٤. عمدة الروايات المعتمدة في تعيين وترتيب السور هي رواية ابن عبّاس.

---

١. *مستدرك الحاكم*: ١٨/٣. وهذا ما قاله ابن مسعود.

٢. *البرهان*: ١٨٧/١.

٣. *البرهان*: ١٨٧/١؛ *الإتقان*: ٩/١.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. من فوائد معرفة المكّي والمدني:

أ) تمييز الناسخ من المنسوخ. ب) إعانة المفسّر والفقية.

ج) معرفة الخاصّ والعام. د) الكلّ صحيح.

٢. مانزل قبل الهجرة وقبل وصوله إلى المدينة فهو:

أ) مكّي ومدني. ب) مكّي.

ج) لامكّي ولامدني. د) مدني.

٣. مانزل بعد الهجرة ولو بعد الفتح فهو:

أ) لامكّي ولامدني. ب) مدني ومكّي.

ج) مدني. د) مكي.

٤. مانزل خارج مكّة والمدينة فهو:

أ) مكّي. ب) مدني.

ج) مكّي ومدني. د) لامكّي ولامدني.

٥. السورة التي نزل فيها «يا أيّها الناس» هي........ والتي نزل فيها «يا أيّها الذين آمنوا» هي..........

أ) الأولى مكّية والثانية مدنية. ب) الأولى مدنية والثانية مكّية.

٦. اذكر النظريات التي طرحها العلماء في تعيين المكّي والمدني.

الدرس الثالث عشر

مراحل التعرّف على المكّي والمدني

ذكرنا في الدرس الماضي أنّ بعض المعاني الخاصّة بموضوع المكّي والمدني، وقلنا إنّ لهذا الموضوع دور كبير في معرفة طبيعة الآيات وفهمها وحدود التشريع ومميزاته، ولهذا اهتمّ الباحثون في علوم القرآن بهذين القسمين «المكّي والمدني»، وتعرّضنا أيضاً إلى النظريات التي طرحت لتحديد المناط فيما هو مكّي وماهو مدني، وفي هذا الدرس سنحاول التعرّف على المراحل التي مرّ بها ذلك التحديد والتشخيص لمعرفة ماينطبق عليه إطلاق هذين الاصطلاحين.

مرّت عملية التميز بين ما هو مكّي وما هو مدني بمرحلتين:

الأولى: كانت عملية تشخيص القرآن المكّي والمدني من خلال النقولات التاريخية والنصوص الروائية الواردة في هذا المجال بالإضافة إلى معرفة الأحداث وتسلسلها الزمني وما شابه ذلك.

الثانية: بعد التعرّف على ما هو مكّي وفق الطريقة السابقة تتكشف بعض الخصائص للمكّي والمدني من خلال طريقة الأداء وأسلوب البيان والمواضيع التي تتناولها الآيات، فعند التعرّف على مميزات كلّ من القرآن المكّي والمدني بدأ الاجتهاد في عملية التميز وفق تلك الضوابط وذهب إلى الطريقة الأولى المستشرق

الألماني (نولدكه) في كتابه *تاريخ القرآن*، وإلى الثانية بعض من كتب في هذا الموضوع ويمكن الجمع بين الطريقتين بأنّ الطريقة الأولى لم تكن النصوص فيها وافية بجميع القرآن.

النقل التاريخي و النصّ و الروائي	⟵	مراحل التعرّف على المكي و المدني	⟶	أسلوب البيان والمواضع التي تناولها الآيات

الخلاصة

١. هناك مرحلتان مر بهما التعرّف على المكّي والمدني:

الأولى: اعتماد النصّ الروائي والنقل التاريخي وتسلسل زمن الأحداث.

الثانية: اعتماد لحن الآيات وأُسلوب عرضها وطبيعة المواضيع التي تناولتها.

٢. ذهب إلى الطريقة الأولى المستشرق الألماني (نولدكه)، وإلى الثانية بعض من دون في هذا الموضوع.

٣. وقد يمكن الجمع بين المرحلتين على اعتبار أنّ المرحلة الأولى لم تكن النصوص فيها مستوفية جميع آيات القرآن.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. من ذهب إلى معالجة المكّي والمدني عن طريق البيان القرآني هو:

أ) السيّد الطباطبائي. ب) محمود البستاني.

ج) المستشرق الألماني (نولدكه). د) أ و ج صحيح.

٢. من مراحل التصرّف على المكي والمدني هو

أ) الاعتماد على النصّ الروائي والنقل التاريخي.

ب) الاعتماد على طبيعة النصّ القرآني.

ج) أ وب صحيح.

د) أ وب خطأ.

الدرس الرابع عشر

عدد السور المكّية والمدنية وترتيب نزولها

في الدرس تحدّثنا عن السور المكّية والسور المدنية، والآن نتحدث عن عدد السور القرآنية ومن ثُمَّ عن عدد السور المكّية وعدد السور المدنية، ولكن يبقى أن نذكر موضوعاً مهمّاً، وهو أنّ هذه السور الموجودة في المصحف الشريف من الفاتحة والبقرة وآل عمران إلى سورة الناس هل هي مرتبة بحسب نزولها على صدر نبينا الكريم أم لا؟ والجواب ـ دون شكّ ـ هو أنّ السور في المصحف غير مرتبة حسب النزول، وسنشاهد الترتيب في الجدول اللاحق.

الاعتماد على النصوص الروائية في ترتيب السور حسب النزول

اعتمدنا في هذا العرض على عدّة روايات متّفق عليها وثق بها أكثر العلماء، وعمدتها رواية ابن عبّاس بطرق وأسانيد اعترف بها أئمّة الفن.

قال الإمام بدر الدين الزركشي: «وعلى هذا الترتيب استقرّت الرواية من الثقات».[1]

وقد أخذنا الأصل الأوّل في العرض، وأكملنا ماسقط منها على رواية جابر بن زيد، وغيره، وكذا نصوص تاريخية معتمدة.[2] نعم، كان بينها بعض الاختلاف، أمّا

---

١. *البرهان*: ١/١٩٣ ـ ١٩٤.

٢. راجع: *الفهرست* ٢٨؛ *تاريخ اليعقوبي*: ٢/٢٨.

للاختلاف في تحديد المكّي والمدني أو في عدد المكيات من المدنيات، ومن ثَمّ جاء اختلافهم في نيف وثلاثين سورة: إنّها مكّيات أم مدنيات.

والنظر في هذا العرض كان إلى مفتتح السور، فالسورة إذا نزلت من أوّلها بضع آيات، ثُمّ نزلت أُخرى، وبعدها اكتملت الأُولى، كانت الأُولى متقدّمة على الثانية في ترتيب النزول، حسب هذا الاصطلاح، لكن هذا التحديد لم يكن متفقاً عليه عند الجميع.

أعداد السور وترتيب نزولها

يبلغ مجموع السور القرآنية مئة وأربع عشرة سورة والموجودة في المصحف الذي بين أيدينا، وأمّا الآن فإليك قائمة السّور المكّية، وعددها: ستّ وثمانون سورة، متقدّمة على السور المدنيّة، وعددها: ثمان وعشرون سورة، وستلاحظ الفرق بين ترتيبها من حيث النزول وترتيبها في المصحف الشريف، مع غضّ النظر عن السور المختلف فيها.

السور المكّية في القرآن الكريم (٨٦ سورة)

ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف
١	العلق	٩٦
٢	القلم	٦٨
٣	المزّمّل	٧٣
٤	المدثّر	٧٤
٥	الفاتحة[١]	١
٦	المسد	١١١
٧	التكوير	٨٧

١. سقطت الفاتحة من رواية ابن عبّاس، فأثبتناها على رواية جابر بن زيد: *الإتقان*: ٢٥/١؛ وعلى نصّ *تاريخ اليعقوبي*: ٢٦/٢.

ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف
٨	الأعلى	٨٧
٩	الليل	٩٢
١٠	الفجر	٨٩
١١	الضحى	٩٣
١٢	الشرح	٩٤
١٣	العصر	١٠٣
١٤	العاديات	١٠٠
١٥	الكوثر	١٠٨
١٦	التكاثر	١٠٢
١٧	الماعون	١٠٧
١٨	الكافرون	١٠٩
١٩	الفيل	١٠٥
٢٠	الفلق	١١٣
٢١	الناس	١١٤
٢٢	التوحيد	١١٢
٢٣	النجم	٥٣
٢٤	عبس	٨٠
٢٥	القدر	٩٧
٢٦	الشمس	٩١
٢٧	البروج	٨٥
٢٨	التين	٩٥
٢٩	قريش	١٠٦
٣٠	القارعة	١٠١

ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف
٣١	القيامة	٧٥
٣٢	الهمزة	١٠٤
٣٣	المرسلات	٧٧
٣٤	ق	٥٠
٣٥	البلد	٩٠
٣٦	الطارق	٨٦
٣٧	القمر	٥٤
٣٨	ص	٣٨
٣٩	الأعراف	٧
٤٠	الجنّ	٧٢
٤١	يس	٣٦
٤٢	الفرقان	٢٥
٤٣	فاطر	٣٥
٤٤	مريم	١٩
٤٥	طه	٢٠
٤٦	الواقعة	٥٦
٤٧	الشعراء	٢٦
٤٨	النمل	٢٧
٤٩	القصص	٢٨
٥٠	الإسراء	١٧
٥١	يونس	١٠
٥٢	هود	١١
٥٣	يوسف	١٢

ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف
٥٤	الحجر	١٥
٥٥	الأنعام	٦
٥٦	الصافّات	٣٧
٥٧	لقمان	٣١
٥٨	سبأ	٣٤
٥٩	الزمر	٣٩
٦٠	غافر	٤٠
٦١	فصّلت	٤١
٦٢	الشورى	٤٢
٦٣	الزخرف	٤٣
٦٤	الدخان	٤٤
٦٥	الجاثية	٤٥
٦٦	الأحقاف	٤٦
٦٧	الذاريات	٥١
٦٨	الغاشية	٨٨
٦٩	الكهف	١٨
٧٠	النحل	١٦
٧١	نوح	٧١
٧٢	إبراهيم	١٤
٧٣	الأنبياء	٢١
٧٤	المؤمنون	٢٣
٧٥	السجدة	٣٢
٧٦	الطور	٥٢
٧٧	الملك	٦٧

ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف
٧٨	الحاقّة	٦٩
٧٩	المعارج	٧٠
٨٠	النبأ	٧٨
٨١	النازعات	٧٩
٨٢	الانفطار	٨٢
٨٣	الانشقاق	٨٤
٨٤	الروم	٣٠
٨٥	العنكبوت	٢٩
٨٦	المطفّفين	٨٣

السور المدنيّة في القرآن الكريم (٢٨ سورة)

ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف
٨٧	البقرة	٢
٨٨	الأنفال	٨
٨٩	آل عمران	٣
٩٠	الأحزاب	٣٣
٩١	الممتحنة	٦٠
٩٢	النساء	٤
٩٣	الزلزال	٩٩
٩٤	الحديد	٥٧
٩٥	محمّد	٤٧
٩٦	الرعد	١٣
٩٧	الرحمن	٥٥
٩٨	الإنسان	٧٦

٩٩	الطلاق	٦٥
١٠٠	البيّنة	٩٨
١٠١	الحشر	٥٩
١٠٢	النصر	١١٠
١٠٣	النور	٢٤
١٠٤	الحجّ	٢٢
١٠٥	المنافقون	٦٣
١٠٦	المجادلة	٥٨
١٠٧	الحجرات	٤٩
١٠٨	التحريم	٦٦
١٠٩	الجمعة	٦٢
١١٠	التغابن	٦٤
١١١	الصف[١]	٦١
١١٢	الفتح	٤٨
١١٣	المائدة[٢]	٥
١١٤	براءة	٩

الخلاصة

١. من المتفق عليه هو تسلسل السور وترتيبها في المصحف ليس هو الترتيب والتسلسل الذي نزل على صدر النبيﷺ، فمثلاً نشاهد أنّ المصحف الشريف يبدأ بسورة الفاتحة إلّا أنّ هذه السورة لم تكن قد نزلت أوّلاً بل سورة العلق وهكذا، والجدول المتقدّم يوضح ذلك جلياً.

---

١. جعل الزركشي في *البرهان* سورة الصف بعد التحريم وقبل الجمعة.

٢. قدّم الزركشي براءة على المائدة وجعل هذا الأخير آخر السور.

٢. عمدة الروايات التي شرحت ترتيب النزول هي رواية ابن عبّاس وما سقط منها أكمل برواية جابر بن زيد وغيره.

٣. المناط في تقدّمِ السورة على غيرها هو نزول آياتها الأُول فتتقدّمِ عن الآيات التي نزلت بعدها.

٤. مجموع السور القرآنية مئة وأربع عشرة سورة، وعدد السور المكّية ست وثمانون سورة، وعدد السور المدنية ثمان وعشرون سورة.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. جعل مفتتح السور ملاكاً في تقديم السورة وتأخّرها:

أ) متفق عليه. ب) مختلف فيه.

ج) يجري في بعض السور دون أُخرى. د) يجري في جميع السور.

٢. مَن القائل: وعلى هذا الترتيب استقرّت الرواية من الثقات.

أ) اليعقوبي ب) الزمخشري

ج) الطبرسي د) الزركشي

٣. عدد السور المكية...... والمدنية.......

أ) ٨٦ـ٢٠ ب) ٢٨ـ٨٦

ج) ٨٦ ـ ٢٨ د) ٢٨ ـ ٨٧

٤. أكمل الجدول التالي مستعيناً بالجدول الموجود في الدرس:

ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف
	العلق	
		٦٨
	المزَمّل	
		٧٤
	الفاتحة	
		١١١

	التكوير	
		٨٧
	الليل	
		٨٩
	الضحى	
	العصر	
		١٠٠
	الكوثر	
		١٠٢
	الماعون	
	الكافرون	١٠٩
		١٠٥
		١١٣
	التوحيد	
		٥٣
		٨٠
	القدر	
	الشمس	
	البروج	
		٩٥
	قريش	
		١٠١

		٧٥
	الهمزة	
	ق	
	البلد	
		٨٦
		٥٤
	ص	
		٧
	الجنّ	

الدرس الخامس عشر

أسباب النزول (١)

لايخفى على المتتبع والمطالع لمباحث علوم القرآن ومفاصلها دور هذا الموضوع وأهمّيته في حلحلة الكثير من العقد التفسيرية وبسطها، وما تلعبه أسباب النزول في تسهيل فهم الكثير من المعاني والآيات القرآنية التي نزلت في واقعة أو حدث معين، وبداعي تلك الأحداث والوقائع تنزل تلك الآيات والكلمات الربانية لترشد نبينا الكريم إلى مايلزم فعله إزاء تلك الأحداث والمناسبات.

التعريف والتسمية

إذا كان القرآن ينزل تدريجيّاً ولمناسبات شتّى كانت تستدعي نزول آية أو آيات تعالج شأنها، فقد اصطلحوا على تسمية تلك المناسبات بأسباب النزول أو شأن النزول،[1] وهو علم

---

١. إن كانت هناك مشكلة حاضرة، سواء أكانت حادثة أبهم أمرها أم مسألة خفي وجه صوابها أم واقعة ضلّ سبيل مخرجها، فنزلت الآية لتعالج شأنها وتضع حلّاً لمشكلتها، فتلك هي أسباب النزول، أي السبب الداعي والعلّة الموجبة لنزول قرآن بشأنها. وشأن النزول هو الأمر الذي نزل القرآن ـ آية أو سورة ـ لتعالج شأنه بياناً وشرحاً أو اعتباراً بمواضع اعتباره، كما في أكثريّة قصص الماضين والإخبار عن أمم سالفين، أو عن مواقف أنبياء وقدّيسين، كانت مشوّهة وكادت تمسّ من كرامتهم أو تحطّ من قدسيّتهم، فنزل القرآن ليعالج هذا الجانب، ويبيّن الصحيح من حكاية

شريف ولمعرفته دور خطير في فهم معاني القرآن الكريم وحلّ معضلات التفسير.

مثلاً: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا...﴾.[١]

فقد أشكل على بعض المفسّرين تعبير «لا جناح عليه»، لأنّه لرفع الإثم وليس للإلزام، فالآية تكون دالّة على جواز السّعي بين الصّفا والمروة لا الوجوب مع أنّ الوجوب إجماعيّ. لكن إذا عرفنا سبب نزولها لم يبق مجال لهذا الإشكال.

وذلك أنّ مراسم الحجّ والعمرة كانت معهودة منذ العهد الجاهليّ غير أنّ العرب كانوا قد لوّثوا هذه المشاعر ببدع أبدعوها، من ذلك أنّهم كانوا قد وضعوا على الصّفا صنماً على صورة رجل يقال له: «أساف»، وعلى المروة صنماً آخر على صورة امرأة يقال لها: «نائلة»، زعموا أنّهما زنيا في الكعبة فمسخهما الله حجرين، فوضعا على الجبلين ليعتبر بهما. فلمّا طالت المدّة عبدتهما العرب جهلاً وسفهاً. فكانوا إذا طافوا بينهما مسحوهما تبرّكاً، ثُمّ لمّا جاء الإسلام وكسر الأصنام، تحرّج المسلمون عن الطواف بينهما، زعماً أنّه كان من بدع الجاهليّة تقرّباً إلى الصنمين. فنزلت الآية لترفع هذه الشبهة عن أذهان المسلمين.[٢]

وبما أنّ الغالب على أحاديث شأن النزول هو الضعف والجهالة والإرسال، لا بدّ

حالهم والواقع من سيرتهم بما يرفع الإشكال والإبهام. وعليه فالفارق بين السبب والشأن ـ اصطلاحاً ـ أنّ الأوّل يعني مشكلة حاضرة لحادثة عارضة. والثاني مشكلة أمر واقع، سواء أكانت حاضرة أم غابرة. وقولهم: نزلت في كذا... أعمّ، قد يراد السبب العارض، وقد يراد شأن أمر واقع في الغابر... وقال الزركشي: وقد عرف من عادة الصحابة والتابعين أنّ أحدهم إذا قال: نزلت هذه الآية في كذا... فإنّه يريد بذلك أنّ هذه الآية تتضمّن هذا الحكم، لا أنّ هذا كان السبب في نزولها... راجع: *البرهان*: ١/٣١ ـ ٣٢.

١. البقرة: ١٥٨.

٢. راجع: *أسباب النزول* للواحدي: ٢٥.

من تقييد الاستناد إلى شأن النزول بألّا يكون مخالفاً لضرورة دين أو متنافراً مع بديهة العقل.

مثلاً: روى البخاري ومسلم عن المسيّب، قال: لمّا حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبيّ صلى الله عليه وآله وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أميّة، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله:

«أي عمّ، قل: لا إله إلّا الله، أُحاجّ لك بها عند الله». فقال أبو جهل وعبد الله: «يا أبا طالب، أترغب عن ملّة عبد المطّلب؟» فقال النبي صلى الله عليه وآله: «لأستغفرنّ لك ما لم أُنْهَ عنك»، فنزلت ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.[1]

مع أنّ أبا طالب عليه السلام مات قبل الهجرة بثلاث سنين، وكان عضداً قويّاً لرسول الله صلى الله عليه وآله، أمّا آية براءة فإنّها نزلت في سنة التسع من الهجرة، أي بعد وفاة أبي طالب باثنتي عشرة سنة، هذا فضلاً عن الدلائل الوفيرة على إسلام أبي طالب، ولا يقول بكفره إلّا ذوو الأحقاد على الإسلام والمسلمين أحقاد بدر وحنين.

التنزيل والتأويل

روي عن النبي صلى الله عليه وآله إنّه قال:

«ليس من القرآن آي إلّا ولها ظهر وبطن».[2]

قال الإمام الباقر عليه السلام:

«ظهر القرآن الذين نزل فيهم، وبطنه الذين عملوا بمثل أعمالهم».[3]

وذلك أنّ للآية وجهاً مرتبطاً بالحادثة الواقعة ـ التي استدعت نزولها ـ ووجهاً آخر عامّاً تكون الآية بذلك دستوراً كلّياً يجري عليه المسلمون أبديّاً، وكما أنّ الآية عالجت

---

١. براءة: ١١٣؛ *صحيح البخاري*: ٨٧/٦.

٢. *بحار الأنوار*: ١٥٥/٣٣.

٣. *تفسير العياشي*: ١١/١، الحديث ٤.

ـ بوجهها الخاصّ ـ مشكلة حاضرة، فإنّها ـ بوجهها العامّ ـ تعالج مشاكل الأمّة على مرّ الأيّام، غير أنّ الوقوف على تأويل القرآن وفهم بطون الآيات، إنّما هو من اختصاص الراسخين في العلم.

مثلاً: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.[1] هذه الآية تبدو ـ في ظاهرها ـ متعارضة مع آيات التوجّه في الصلاة شطر المسجد الحرام،[2] ولكن مع ملاحظة سبب النزول، وأنّه دفع لشبهة اليهود ورفع لارتيابهم في تحويل القبلة، يتبيّن أنّ لا معارضة، ويرتفع الإبهام عن وجه الآية؛ لأنّ الاستقبال في الصلاة والعبادات أمر اعتباريّ محض، ينوط باعتبار صاحب الشريعة في مصالح يراها مقتضية حسب الأحوال والأوضاع، وليس وجه الله محصوراً في زاوية القدس الشريف أو الكعبة المكرّمة.

وقد فهم الأئمّة عليهم السلام أمراً آخر أيضاً، استخرجوه من باطن الآية، وأنّها تعني جواز التطوّع بالنوافل إلى حيث توجّهت به راحلتك، أو اشتبهت القبلة، فتصلّي إلى أيّ جهات شئت.

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص المورد

هذه قاعدة أُصوليّة مطرّدة في جميع أحكام الشريعة المقدسة، فما يصدر من منابع الوحي والرسالة بشأن بيان أحكام الله وتكاليفه للعباد، ليس يخصّ مورداً دون مورد، ولم يأت الشرع لمعالجة حوادث معاصرة فقط، وإنّما هو شرع للجميع. الأمر الذي دعا الفقهاء إلى إلغاء الخصوصيات الموردية والأخذ بإطلاق الحكم. نعم، هناك بعض

---

١. البقرة: ١١٥.

٢. البقرة: ١٤٤ و ١٤٩ و ١٥٠.

الخطابات مع فئات معهودة، صدرت على نحو القضية الخارجية،[١] فإنّها لا تعمّ بلفظها، وإن كانت قد تعمّ بملاكها، إذا كان قد أُحرز يقيناً.

مثلاً: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.[٢]

قال العلّامة الطباطبائي:

«لا يبعد أن يكون المراد هم الكفّار من صناديد قريش وكبراء مكّة الذين عاندوا ولجّوا في أمر الدّين ولم يألوا جهداً في ذلك، إذ لا يمكن استطراد هذا التعبير في حقّ جميع الكفّار، وإلّا لانسدّ باب الهداية. فالأشبه أن يكون المراد من «الذين كفروا» هاهنا وفي سائر الموارد من كلامه تعالى هم كفّار مكّة في أوّل البعثة، إلّا أن تقوم قرينة على خلافه... نظير ما سيأتي أنّ المراد من قوله «الذين آمنوا» فيما أُطلق في القرآن من غير قرينة على إرادة الإطلاق، هم السابقون الأوّلون من المؤمنين. خصّوا بهذا الخطاب تشريفاً».[٣]

نعم، هذا الحكم يسري فيمن شابه أُولئك في العناد واللّجاج مع الحقّ بعد الوضوح.

نزول القرآن «إيّاك أعني فاسمعي يا جارة»

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«نزل القرآن بـ«إيّاك أعني فاسمعي يا جارة».[٤]

---

١. من مصطلح علم المنطق، وهي عبارة عن معهودية الموضوع في القضية، كقولك: أكرم من في المسجد أو في المدرسة، تريد من هو في مسجد البلد أو مدرسته في الحال الحاضر، وليس في كلّ الأزمان وكلّ المساجد والمدارس على الإطلاق.

٢. البقرة: ٦ ـ ٧.

٣. *تفسير الميزان*: ١/ ٥٠.

٤. *تفسير العياشي*: ١/ ١٠؛ الحديث ٤.

وهذا مَثَل لمن يخاطب شخصاً أو يتكلّم عن أمر وهو يريد غيره وعلى سبيل الكناية والتعريض.

وقال عليه السلام أيضاً: «ما عاتب الله نبيّه فهو يعني به من قد مضى في القرآن، مثل قوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾،[1] عنى بذلك غيره صلى الله عليه وآله».[2] قوله «من قد مضى في القرآن» أي مضى ذكره إشارة أو تلويحاً وربّما نصّاً. والأكثر أن يراد أُمّته صلى الله عليه وآله بالعتاب، ولا سيّما المؤمنون صدر الإسلام، كانوا على قلقٍ واضطراب في مواضعهم مع الكفّار.

كيف نهتدي إلى معالم القرآن؟

خير وسيلة لفهم معالم القرآن هو اللّجوء إلى أبواب رحمة الله ومنابع فيضه القدسيّ، وهم أهل بيت الوحي؛ لأنّ أهل البيت أدرى بما فيه؛ لأنّ بيدهم مفاتيح هذه الأبواب، فإنّهم عدل القرآن وأحد الثقلين الذين أوصى بهما الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وفي كلماتهم الكثير من الإرشادات إلى معالم القرآن وفهم حقائقه، ممّا لا تجده في كلامِ غيرهم.

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ...﴾.[3] فلولا الامتناعية دلّت على أنّ الهمَّ من يوسف لم يقع... لكن ما المراد من «برهان ربّه» الذي منعه وعصمه من همّ المعصية؟ قيل: إنّه رأى صورة أبيه عاضّاً على إصبعه، وقيل: غير ذلك، ممّا يتنافى مع عصمة مقامِ النبوّة. والصحيح ما هدانا إليه الأئمّة الراشدون: إنّه الإيمان الصادق الذي هو منشأ العصمة في أنبياء الله عليهم السلام، بدليل تعقيبه بقوله: ﴿...كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾.[4] إشارة إلى مقامِ عصمة الأنبياء.[5]

---

١. الإسراء: ٧٤.

٢. *تفسير العياشي*: ١٠/١؛ الحديث ٥.

٣. يوسف: ٢٤.

٤. يوسف: ٢٤.

٥. راجع: *تفسير الميزان*: ١٤١/١١ و ١٨١.

الخلاصة

١. سمّيت أسباب النزول بذلك؛ لأنها نزول الآيات القرآنية كانت بداعي مناسبة معينة وحادثة خاصّة، فتأتي الآية لتعالج تلك الحادثة.

٢. بما أنّ الغالب على روايات شأن النزول هو الضعف والجهل فقد اشترط في الرجوع إلى أسباب النزل أمران: ألّا يكون مخالفاً لضرورة دينية و لا ينافر مع بديهة عقلية.

٣. إنّ ما رواه البخاري ومسلم، من أنّ قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.[1] نزل بحقّ أبي طالب غير صحيح من وجهين: الأوّل: إنّ أبا طالب توفّي قبل الهجرة بثلاث سنين ونزول هذه الآية كان في السنة التاسعة للهجرة، والثاني: توافر الدلائل الكثيرة على إسلام أبي طالب وموقفه من دعوة ابن أخيه محمدﷺ.

٤. إنّ للآيات القرآنية وجهاً مرتبطاً بالحادثة الواقعة ـ التي استدعت نزولها ـ ووجهاً آخر عامّاً تكون الآيات بذلك دستوراً كلّياً يجري عليه المسلمون فيما بعد، وهذا مايصطلح عليه بالتأويل والتنزيل.

٥. إنّما يصدر من منابع الوحي والرسالة بشأن بيان أحكام الله وتكاليفه للعباد، ليس يخصّ مورداً دون مورد، فعمل الفقهاء بإطلاق الحكم هنا، أجل لو كانت الخطابات على نحو القضية الخارجية، عندئذ يجري الخطاب في المورد الخاص.

٦. نبطق قول العرب المشهور «إيّاك أعني واسمعي ياجارة» على الكثير من الآيات القرآنية الكريمة من قبيل قوله:﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾،[2]

---

١. براءة: ١١٣؛ *صحيح البخاري*: ٨٧/٦.

٢. الإسراء: ٧٤.

فيكون المقصود بها غير النبي ﷺ، كالمسلمون الأوائل أو عموم الأمة، كما أشارت إليه بعض الروايات الشريفة.

٧. أفضل وسيلة للاهتداء إلى تعاليم القرآن ومفاهيمه هو اللّجوء إلى أبواب رحمة الله ومنابع فيضه القدسيّ، وهم أهل بيت الوحي؛ لأنّ أهل البيت أدرى بما فيه.

أسئلة الدرس

١. يشترط في العمل بأسباب النزول:

أ) أن تكون موافقة لقواعد المحكم والمتشابه.

ب) ألّاتكون مخالفة لضرورة عقلية ودينية.

ج) أ و ب صحيح.

د) أ و ب خطأ.

٢. لقد عالج سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.[1]

أ) شكّ اليهود في تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام.

ب) انحراف صلاة المسلمين عن شطر المسجد الأقصى.

٣. إنّ المراد بـ «الذين كفروا» في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ...﴾ هم:

أ) مشركو أُحد.

ب) مشركو بدر.

ج) أهل الطائف.

د) كفّار مكّة في أوّل البعثة.

٤. خير وسيلة لفهم القرآن هي:

أ) دراسة علوم اللغة.

ب) التركيز على أسباب النزول.

ج) الرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام.

د) قراءة القرآن بشكل مستمرّ.

---

١. البقرة: ١١٥.

الدرس السادس عشر

أسباب النزول (٢)

جاء القرآن الكريم هادياً للأمة من الضلالة من خلال برنامج واضح ومحدد ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فكلّ ما يرتبط بهذا الهدف قد دخل في حوزة هذا الكتاب المبارك، سواء كان ذلك داعياً إلى الإيمان بالله أو بأنبيائه أو من خلال شرح أحوال ووقائع الأمم السابقة أو بيان الأخبار المستقبلية أو توضيح وشرح وبيان الوقائع الحادثة في زمن النزول، فكلّ ذلك داخل في هدف القرآن، وتنقسم الآيات في ما يرتبط بسبب النزول إلى آيات تنزل بشكل ابتدائي ومن دون سؤال من قبل المسلمين وغيرهم، أو ينزّل نتيجة لسؤال من قبل المسلمين، أو بسبب حادثة حدثت استدعت نزول آيات بحقها. فهذه الأمور التي تنزل القرآن بسببها تسمّى أسباب النزول.

فأسباب النزول: ما نزل بسببه آية أو أكثر توضّحه أو تجيب عنه أو تبينه.

تقسيم آيات القرآن من جهة أسباب النزول

إذا نظرنا إلى آيات القرآن الكريم يمكن تقسيمها إلى أقسام من جهة أسباب النزول، وهذه الأقسام هي:

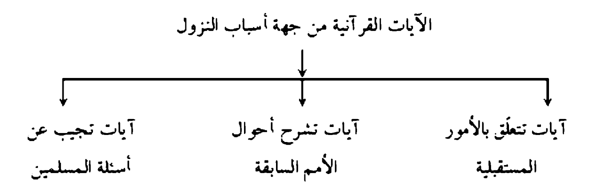
أولاً: آيات نزلت ابتداءً تتعلّق بالأمور المستقبلية.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.[1]

ثانياً: آيات نزلت ابتداءً تتعلّق بشرح أحوال الأمم الماضية وسلوكياتهم وتصرّفاتهم من قبيل شرح أحوال قومِ هود ونوح وصالح وغيرهم من الأنبياء.

ثالثاً: آيات نزلت بعد سؤال المسلمين أو بعد واقعة حدثت في المجتمع الإسلامي فمثلاً سألوا الرسول الأكرمﷺ عن الروح فحادث الآية تقول ﴿...قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.[2]

وهناك آيات أُخرى نزلت لبناء الإنسان من ناحية عقائدية وفكرية وآيات أُخرى تتعلّق بأحكامِ الإنسان العملية، ولكن تلك الآيات لا تتعلّق بجهة نزول بقدر تعلّقها بشكل مباشر بالهدف الأساس من إنزال القرآن.



المزايا والقواعد المترتبة على معرفة أسباب النزول

هناك جملة من القواعد التي تترتّب على معرفة أسباب النزول، منها:

١. العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، فالعلم بسبب نزول الآية يساعد كثيراً على فهم أبعاد الآية القرآنية فمثلاً قال تعالى:

---

١. التوبة: ٣٣.

٢. الإسراء: ٨٥.

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1] لو قرأنا الآية من دون التعرّف على سبب النزول لتبادر إلى أذهاننا حكماً يقول: إنّنا نستطيع أن نتجه بالصلاة إلى أي جهة كانت عملاً بظاهر الآية ولكن بعد الإطّلاع على سبب نزول الآية يتبدد ذلك التبادر؛ لأنّ الآية نزلت في ما يرتبط بنافلة السفر، فقد جاء في تفسير العياشي عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ...﴾.

قال عليه السلام: «أنزل الله هذه الآية في التطوع خاصّة، ﴿...فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، وصلى رسول الله صلى الله عليه وآله إيحاءً على راحلته أينما توجّهت به حيث خرج إلى خيبر وحين رجع من مكّة وجعل الكعبة خلف ظهره.»[2]

ونقل في ذلك أيضاً أنّها نزلت في مجموعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله صلوا مع النبي في ليلة مظلمة ولم يعرفوا القبلة وصلى كلٌّ منهم على حاله ونزلت الآية بذلك لتوافق على صلاتهم بهذه الحالة.[3]

فمعرفة السبب بدد الفهم الظاهري لألفاظ الآيات، بل إنّ عدم التعرّف على السبب يؤدّي إلى تبادر حدوث التضاد بين الآيات الكريمة؛ لأنّ قبال هذه الآية توجد آية أُخرى تقول: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾.[4]

ممّا تشير الآية إلى أنّ الفرائض لا تصلّى إلّا باتجاه القبلة فيحدث التنافي مع الآية المذكورة أعلاه لولا سبب النزول.

٢. هناك آيات جاءت فيها أحكام نزلت بصيغة العموم، لكن هذه الأحكام مخصصة بالسبب الذي نزلت الآية فيه فمثلاً قال تعالى:

---

١. البقرة: ١١٥.

٢. *وسائل الشيعة*: ٤/٣٣٣.

٣. *جامع الأصول*، ابن الأثير الجزري: ٨/٢.

٤. البقرة: ١٥٠.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[١]

فالآية المباركة فيها صيغة العموم من ناحية أنّ كلّ إنسان إذا فرح بما أوتي وأحب أن يُحمد على ما لم يفعل فسوف يُعذب، ولكن بمراجعة سبب النزول نجد أنّ الآية نزلت في اليهود وهو المروي عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«بأنّ اليهود قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وأهل الصلاة والصيام، وليسوا أولياء الله ولا أحباؤه ولا أهل الصلاة والصيام ولكنّهم أهل الشرك والنفاق.»[٢]

٣. إنّ معرفة السبب لنزول الآية يساعد على معرفة الزمان والمكان وحدود دائرة الحكم الوارد في الآية ومثاله:

قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾.[٣]

فعدم معرفة سبب نزول الآية والزمان قد يسبب مشكلة في فهم الآية، فمن الآية أعلاه فهم البعض أنّ الخمرة مباحة واحتجّ بها.[٤]

ولكن معرفة سبب نزول الآية يطرد هذا الاحتمال، والسبب هو أنّ الله تعالى لما أنزل تحريم الخمرة، وأنّها رجس من عمل الشيطان قال بعض المسلمين: كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربونها فنزلت الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح في... .

٤. معرفة السبب يساعد في معرفة نوعية الحكم الموجود في الآية فمثلاً قوله تعالى:

---

١. آل عمران: ١٨٨.

٢. مجمع *البيان*: ٤١٩/٢.

٣. المائدة: ٩٣.

٤. *البرهان في علوم القرآن*: ٢٨/١.

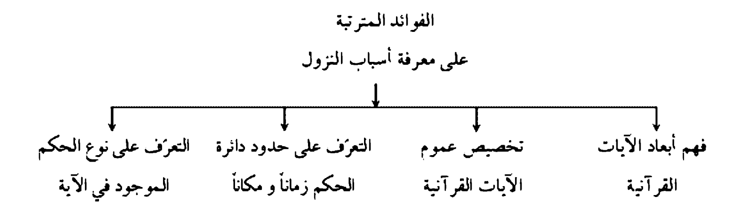
﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا...﴾.[1]

ظاهر الآية أنّ السعي بين الصفا والمروة ليس واجباً وإنّما هو سائغ وليس فيه حرمة، ويُستفاد ذلك من قوله (فلا جناح) ولكن بمعرفة سبب النزول يُستبعد ذلك الحكم فقد روي عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

«إنّه كان ذلك في عمرة القضاء وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله شرط عليهم أن يرفعوا الأصنام فتشاغل رجل من أصحابه حتّى أُعيدت الأصنام فجاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل له: إنّ فلاناً لم يطف، وقد أُعيدت الأصنام فنزلت الآية «فلا جناح عليه أن يطوف بهما» أي والأصنام عليها.»[2]

ومن خلال هذا السبب فهم أنّ التسويغ ليس مجرد، وإنّما بسبب معين ذكر في الآية.

فمعرفة أسباب النزول لها أهمّية كبيرة في معرفة أُمور كثيرة سواء ما تتعلّق بالحكمة الباعثة على تشريع الأحكام أو فيما يتعلّق بالمعنى وحدود ذلك المعنى وغير ذلك من أُمور تكتنف الآية.



الخلاصة

١. أسباب النزول: ما نزل بسببه آية أو أكثر توضحه أو تجيب عنه أو تبينه.

---

١. البقرة: ١٥٨.

٢. مجمع *البيان*: ٤٤٥/١

٢. تنقسم الآيات القرآنية من حيث أسباب النزول إلى:

أوّلاً: آيات تتعلّق بعرض الأمور المستقبيلة.

ثانياً: آيات تتعلّق بشرح أحوال الأمم السابقة.

ثالثاً: آيات تتعلّق بالإجابة عن أسئلة المسلمين.

٣. النتائج التي يمكن الحصول عليها من خلال دراستنا لأسباب النزول، هي:

أوّلاً: الإحاطة بأبعاد الآيات القرآنية ومعرفة مقاصدها.

ثانياً: تقييد عمومِ الآيات القرآنية وتخصيص عموماتها.

ثالثاً: تشخيص دائرة الأحكامِ من ناحية الزمان والمكان.

رابعاً: التعرّف على نوعِ الأحكامِ الموجودة في الآيات وطبيعة متعلّقاتها.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة صحيحة:

١. متعلّق الآية الكريمة: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾،[١] هو:

أ) بيان حال الأمم السابقة.

ب) جواب عن سؤال المسلمين.

ج) تتعلّق بحادثة قد وقعت.

د) الأمور المستقبيلة.

٢. الآية التي نزلت بعد سؤال المسلمين، هي:

أ) ﴿...قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.[٢]

ب) ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[٣]

ج) ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا...﴾.[٤]

د) لاشيء من ذلك.

---

١. التوبة: ٣٣.

٢. الإسراء: ٨٥.

٣. آل عمران: ١٨٨.

٤. البقرة: ١٥٨.

٣. إنّ سبب النزول في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١] هو:

أ) تحديد القبلة ب) نافلة السفر

ج) اليهود د) بعض الصحابة

٤. إنّ فائدة تحديد سبب النزول في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢] هو:

أ) التعرّف على نوع الحكم. ب) معرفة زمان ومكان الآية.

ج) معرفة ناسخ الآية. د) تقييد عمومِ الآية باليهود.

٥. نزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..﴾[٣] في:

أ) في المسلمين الذين ماتوا وكانوا قد تناولوا الخمر.

ب) فيمن قتل في معركة أُحد.

ج) أ و ب صحيح.

د) أ و ب خطأ.

---

١. البقرة: ١١٥.

٢. آل عمران: ١٨٨.

٣. المائدة: ٩٣.

الدرس السابع عشر

روايات أسباب النزول (١)

تبيّن من خلال الدروس الماضية التي تحدّثنا فيها عن أسباب النزول أنّ هذه البحث يعتمد بالدرجة الأساس على الروايات التي تتعرّض لمناسبات وأسباب نزول هذه الآية أو تلك، فحري بنا أن نطالع تلك الروايات وأن نعرف حالها و حقيقية الأسانيد التي وردت فيها، ونحاول في هذا الدرس تقصّي حال تلك الروايات، وهل يمكننا الاعتماد عليها أم لا؟

حجّية أحاديث أسباب النزول وعدمها

تواجه الروايات الواردة في أسباب النزول مشاكل عديدة من ناحية صحّتها وإمكانية الاعتماد عليها، وتنبع هذه المشاكل من زوايا متعددة منها:

١. وجود الدس والتزوير في الروايات المنسوبة إلى الرسول الأكرمﷺ وأهل بيته عليهم السلام ممّا يستوجب ذلك التوقّف ملياً قبل الأخذ بذلك الموروث.

٢. الكثير من أسباب النزول توقفت عند حدود الصحابة ولم ترفع إلى الرسول الأكرمﷺ أو إلى أحد الأئمة المعصومين ولا حجّية لقول لهؤلاء إلّا بعد القطع بأنّ هذا السبب المذكور لم يكن اجتهادياً أو نظرياً من قبلهم، ولهذا السبب قال الواحدي:

لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلّا بالرواية والسماع ممّن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب.[١]

٣. جاءت بعض أسباب النزول من قبل التابعين وهذه الأسباب تواجه جملة من الإشكالات ابتداءً من مدى حجّية أقوال التابعين وعدمها ومروراً بكيفية اطلاع التابعين على هذه الأسباب وغير ذلك.

٤. قلّة الروايات الواردة في أسباب النزول ولهذا يقول السيوطي:

الروايات التي لدينا عن الرسول الأكرم فيما يرتبط بالقرآن لا تتجاوز (٢٤٨) رواية وبين هذه الروايات عدد كبير من الروايات الضعيفة والمرسلة.

٥. الكثير من أسباب النزول هي اجتهادات شخصية، بل إنّ السيد الطباطبائي قال:

أسباب النزول كلّها أوجلها نظرية بمعنى أنّهم يرون غالباً الحوادث التاريخية، ثُمّ يشفعونها بما يقبل الانطباق عليها من الآيات الكريمة فيعدّونها أسباب النزول، وربّما أدّى ذلك إلى تجزئة آية واحدة أو آيات ذات سياق واحد، ثُمّ نسبة كلّ جزء إلى تنزيل واحد مستقل وإن أوجب ذلك اختلال نظم الآيات وبطلان سياقها، وهذا أحد أسباب الوهن في نوع الروايات الواردة في أسباب النزول.[٢]

٦. اختلاف المذاهب والتوجّهات الشخصية والميول المذهبية والطائفية كان له مدخل في توجيه أسباب النزول يقول السيّد الطباطبائي:

إنّ لاختلاف المذاهب تأثيراً في لحن هذه الروايات وسوقها إلى ما يوجه به المذاهب الخاصة.[٣]

٧. وهناك سبب آخر في بيان الأسباب الحقيقية للآيات أو عدم بيانها وهو السبب السياسي الذي أدّى إلى تشرذم الأمة وتمحورها حول أُطر ضيقة وجهت

---

١. *أسباب نزول القرآن*، للواحدي: ١٠.

٢. *تفسير الميزان*: ٤/٧٦.

٣. *المصدر*: ٤/٧٦.

الموروث الديني من خلالها يقول السيّد الطباطبائي:

> إنّ للأجواء السياسية والبيئات الحاكمة في كلّ زمان أثراً قوياً في الحقائق من حيث إخفائها أو إبهامها.[١]

فهذه الأسباب أدّت إلى ضعف الاهتمام بأسباب النزول مع أهمّيتها، ولكن هذا لا يعفي الباحث من جهة التقصّي والتحقيق الموضوعي المجرّد من النزعات النفسية والمذهبية للوصول إلى فهم دقيق للآيات من خلال أسباب النزول ولهذا تمّ البحث عن المرجّحات في هذا المجال فقيل: كثيراً ما يذكر المفسّرون لنزول الآية أسباباً متعددة نزلت في كذا، والآخر، نزلت في كذا وذكروا أُموراً أُخرى، فقد تقدّم أنّ هذا يراد به التفسير لا ذكر سبب النزول فلا منافاة بين قوليهما. وإن عبر واحد بقوله: نزلت بكذا وصرح آخر بذكر سبب خلافه فهو المعتمد وذاك استنباط وإن ذكر واحد سبباً وآخر سبباً غيره، فإن كان إسناد أحدهما صحيحاً دون الآخر فهو الصحيح المعتمد... الحال الرابع: أن يستوي الإسنادان في الصحّة فيرجّح أحدهما بكون رواية حاضر القصة أو نحو ذلك من وجوه الترجيحات... الحال الخامس: أن يمكن نزولها عقيب السببين والأسباب المذكورة بأن تكون معلومة التباعد فيحمل على ذلك.

الحال السادس: ألا يمكن ذلك فيحمل على تعدد النزول وتكرره.[٢]

فكلّ ما ذكره السيوطي قد لا يكون موضوعياً. نعم، هو طريق للجمع وعدم التفريط بما ذكر من أسباب، ولكن المفروض اتّباع طريقة معتبرة للوصول إلى السبب الصحيح وهذه الطريقة هي:

١. إذا كانت الروايات واردة عن طريق الرسول الأكرم أو أحد الأئمة المعصومين فيتم اخضاعها لشروط قبول الرواية وعدمها.

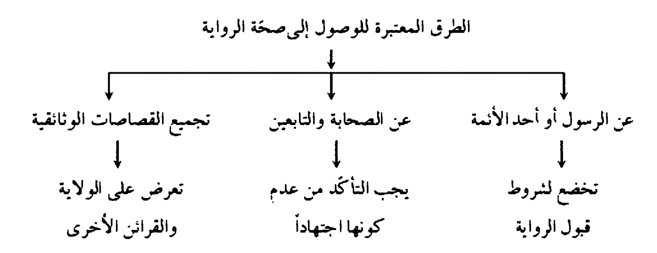
---

١. المصدر.

٢. *الإتقان في علوم القرآن*: ١٠١/١ ـ ١٠٦.

٢. إذا كانت الروايات واردة من طريق الصحابة أو التابعين فلا يكفي صحّة السند إليهما، وإنّما تحتاج إلى التأكّد أنّ ذلك ليس اجتهاداً منهم في فهم الآيات الكريمة.

٣. اتّباع طريقة تجميع القصاصات الوثائقية من خلال معرفة القرائن المختلفة للوصول إلى السبب الموضوعي العلمي من خلال العرض على الآية والمواقف وما شابه ذلك.



الخلاصة

١. إنّ حجّية أسباب النزول تواجه مشاكل عديدة منها: وجود الدس والتزوير فيها، وقوف الرواية على بعض الصحابة والتابعين، قلة الروايات الواردة في هذا المجال، دخول اللغط السياسي وتأثيره على تمحيص أسباب النزول و... .

٢. ذكر البعض مجموعة من المرجحات مثل: لو عبر واحد بقوله نزلت بكذا وصرح آخر بذكر سبب خلافه، فهو المعتمد، وذاك استنباط. وإن ذكر واحد سبباً وآخر سبباً غيره، فإن كان إسناد أحدهما صحيحاً دون الآخر فهو الصحيح المعتمد...، ولكن هذه المرجحات لايمكن الاعتماد عليها دائماً.

٣. الطرق الصحيحة للوصول إلى صحّة الرواية، هي:

أوّلاً: إخضاع الرواية لقواعد الحديث لو كانت مروية عن النبي وأهل بيته﵈.

ثانياً: التأكّد من عدم اجتهاد الصحابة لو كانت مروية عنهم.

ثالثاً: جمع القصاصات الوثائقية وعرضها على الآيات والقرائن الأخرى.

أسئلة الدرس

١. اختر الإجابة الصحيحة:

أ) روايات أسباب النزول تواجه مشاكل عديدة.

ب) تواجه مشاكل قليلة تخصّ دلالتها فقط.

ج) تواجه مشاكل ترتبط بالسند فقط.

د) أ و ب صحيح.

٢. يمكن الأخذ بقول الصحابة والتابعين في تفسير القرآن بشرط:

أ) كونهم من المهاجرين.
ب) انسجامها مع منطوق الآية.
ج) علمنا بأنّها ليست اجتهاداً منهم.
د) كونهم من الأنصار.

٣. اختر الجواب الصحيح:

أ) الكثير من أسباب النزول هي قواعد عامة.

ب) الكثير من أسباب النزول اجتهادات شخصية.

ج) بعض أسباب النزول قواعد عامة و بعضها اجتهادات شخصية.

د) أ و ب صحيح.

٤. من المشاكل التي تواجهها روايات أسباب النزول، هي:

أ) تعدد المذاهب والميول الشخصية

ب) قلّة الروايات الواردة في أسباب النزول

ج) صعوبة النصّ القرآني

د) أ و ج خطأ

٥. من أهمّ الأسباب التي أدّت إلى إخفاء الحقائق وإبهامها هو...

أ) اجتهادات

ب) الفاصلة الزمنية بيننا وبين عصر النصّ

ج) الجهل بأسباب النزول

د) العامل السياسي

٦. اختر الجواب الصحيح:

أ) من الطرق المعتبر ة في معالجة روايات أسباب النزول هي إخضاع الحديث إلى قواعد قبول الرواية.

ب) جمع القصاصات الو ثائقية ليست من الطرق المعتبرة في معالجة روايات أسباب النزول.

الدرس الثامن عشر

روايات أسباب النزول (٢)

من المواضيع التي وقع فيها الخلط والاشتباه، والذي وقع فيه بعض الذين تعرّضوا للدراسات القرآنية هو عدم التمييز بين سبب النزول وشأن النزول، فتجد الخلط بينهما في تعريفات الكثير من الباحثين في هذا المجال، بينما هناك فارق بين المصطلحين، والفارق يكمن في لحاظ كلٍّ من سبب النزول وشأن النزول للواقعة التي يعالجها.

الفرق بين الاصطلاحين

سبب النزول هو الحوادث والوقائع التي تستدعي نزول القرآن الكريم، وتكون سبب لعملية النزول من قبيل: ﴿وَيِسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾.[1]

فالقوم سألوا النبيﷺ عن الروح فأنزل الحقّ تبارك وتعالى الآية جواباً لهم، فالسبب موافق لعملية النزول.

أمّا شأن النزول هي الآيات النازلة لشرح وبيان وتوضيح الحوادث السابقة لغرض الاعتبار والتوضيح، فمثلاً جاءت في القرآن الكريم مجموعة من الآيات المباركة تبين كيفية غزو الكعبة من قبل أصحاب الفيل.

---

١. الإسراء: ٨٥.

فواقعة الفيل لم تكن في زمن الرسول الأكرم ﷺ، وإنّما في فترات سابقة، ولكن جاءت الآيات المباركة لتوضيح هذه الأحداث وتشرحها للمسلمين، لكن الواحدي في أسباب النزول عمم شأن النزول إلى أكثر من ذلك وذكر ما معناه: إنّ شأن النزول بمعنى بيان الآية في أي مطلب نزلت، ولكن سبب النزول يعني السبب الموجب لنزول الآية وسبب النزول غالباً مقارناً لنزول الآية أمّا شأن النزول أعم من ذلك.[1]

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

قد يُطرح هنا تساؤل مهمّ وهو أنّ الآيات النازلة بسبب حادثة أو واقعة معينة هل تبقى في حدود تلك الحوادث والوقائع أو أنّها عامة لا تتخصص في حدود وقائع وحوادث معينة، فإذا ما قلنا: إنّ الآيات النازلة بسبب معيّن تنحصر في حدود ذلك السبب فسوف يصبح القرآن كتاباً تاريخياً ليس فيه طراوة تواكب التطوّرات الزمانية والمكانية مع أنّنا نجد خلاف ذلك، ولهذا يقول الإمام الباقر عليه السلام:

«يجري كما تجري الشمس والقمر...».[2]

فهو ليس كتاب للماضين فقط وليس المخاطب فيه فقط من كان سبباً لنزوله أو معاصراً لذلك السبب وإلّا لتعطلت أحكام القرآن إذا ما خصصنا أحكام السرقة والقذف والظهار بخصوص السبب فمثلاً قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.[3]

ولفظ المحصنات يشمل الزوجات وغيرهنّ، فالصحابة تعجبوا من ذلك ووقعوا في حيرة وتردد فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ وسألوه: يا رسول الله إذا رأى أحد منّا رجلاً

---

١. *أسباب النزول*، الواحدي٣٠٦.

٢. *بصائر الدرجات*: ١٩٦/١.

٣. النور: ٤.

مع امرأته إن أخبر بما يرى جلد ثمانين جلده وإن التمس أربعة شهداء قضى الرجل منها حاجته وانصرف... فأنزل الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.[1]

فإذا ما خصصنا هذا الحكم بخصوص السائلين لرسول الله ﷺ فسوف تتوقّف أحكام القرآن عن التطبيق لعدم العمومية فيها وهذا يخالف الرسالة التي جاء بها القرآن بأنّها بيان للناس كافّة.

تعدد الأسباب والنازل واحد وبالعكس

توجد بعض الآيات قد تعددت أسباب نزولها، فالسبب يتكرر ممّا يستدعي نزول الآية مرّتين والذي يبرر ذلك تعظيم ورفع شأن الآية النازلة أو السورة.

ولهذا يقول الزركشي:

> ونزول الشيء أكثر من مرّة قد يكون تعظيماً لشأنه وتذكيراً به عند حدوث سببه خوف نسيانه.[2]

ومثال ذلك سورة الإخلاص يقال: إنّها نزلت مرّتين، مرّة في مكّة وأُخرى في المدينة، كانت الأولى جواباً للمشتركين من أهل مكّة، والثانية جواباً لأهل الكتاب من أهل المدينة.[3]

وقد يحدث العكس تعدد النازل والسبب واحد، وهذا ما قيل في سؤال أُم سلمة لرسول الله ﷺ: يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء فأنزل الله تعالى:

١. النور: ٦ ـ ٧.

٢. *البرهان في علوم القرآن*، الزركشي: ٢٩/١.

٣. *الإتقان*، السيوطي: ٣٥/١.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾.[1]

وأنزل أيضاً جواباً لأم سلمة: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.[2]

الخلاصة

١. سبب النزول هو الحوادث الواقعة التي تنزل الآية لعلاجها، وشأن النزول هو الآيات الشارحة لحال الأمم السابقة.

٢. إنّ الآيات الناظرة لحادثة معينة لا يمكن أن تنحصر بها فقط، بل تكون عامّة لجميع الحوادث المشابهة، فلو قلنا: إنّ الآية ينحصر دورها في السبب الذي نزلت فيه لأصبح القرآن كتاباً تاريخياً.

٣. قد يحدث تكرر نزول الآية تبعاً لتكرر سببه فيتعدد السبب، ولكن يبقى النازل واحداً، ووجه ذلك هو تعظيم ورفع لمنزلة تلك الآية، ومثال ذلك سورة الإخلاص.

٤. وقد يتعدد النازل ويتّحد السبب، مثاله ما قيل في سؤال أم سلمة لرسول الله ﷺ: يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء.

---

١. آل عمران: ١٩٥.

٢. الأحزاب: ٣٥.

أسئلة الدرس

١. اختر الإجابة الصحيحة:

أ) سبب النزول هو الحوادث والوقائع التي تؤدّي إلى نزول الآية.

ب) سبب النزول هو الآيات التي تخبر عن الأُمم السابقة.

ج) أ وب صحيح.

د) أ وب خطأ.

٢. نستنتج من قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾:

أ) سبباً نزولياً. ب) شأناً نزولياً.

ج) عمارة الكَعبة. د) أ وب خطأ.

٣. يشير قول الإمام الباقر عليه السلام: يجري كما تجري الشمس والقمر... إلى:

أ) حركة الشمس والقمر.

ب) عظمة القرآن.

ج) عدمِ اختصاص الآيات بالوقائع التي نزلت فيها.

د) تعدد أسباب النزول.

٤. يلزمِ من تخصيص الأحكامِ بمن سأل رسول الله صلى الله عليه وآله:

أ) ضياع الكثير من الآيات.

ب) توقّف احكامِ القرآن عن التطبيق وبالتالي مخالفة هدف الرسالة الأساسي.

ج) إيذاء النبي.

د) عدول المسلمين عن إسلامهم

٥. الذي يبرر نزول الآية مرّتين عند تعدد سببها هو:

أ) طلب رسول الله لذلك. ب) رفع شأن الآية.

ج) تعظيم الآية النازلة. د) ب وج.

٦. اختر الجواب الصحيح:

أ) إنّ ما نتج عن سؤال أُم سلمة لرسول الله هو من باب تعدد السبب واتّحاد النازل.

ب) إنّ ما نتج عن سؤال أُم سلمة لرسول الله هو من باب تعدد النازل واتّحاد السبب.

الدرس التاسع عشر

تدوين القرآن

تدوين القرآن في شكله الحاضر ـ في نظم آياته وترتيب سوره، وكذلك في تشكيله وتنقيطه وتفصيله إلى أجزاء ومقاطع ـ لم يكن وليد عامل واحد، ولم يكتمل في فترة الوحي الأولى. فقد مرّت عليه أدوار وأطوار، ابتدأت بالعهد الرسالي، وانتهت بدور توحيد المصاحف على عهد عثمان، ثمّ إلى عهد الخليل بن أحمد النحويّ الذي أكمل تشكيله بالوضع الموجود. والمهمّ الآن هو العناية بدراسة القرآن من زاوية جمعه وتأليفه مصحفاً بين دفّتين، والبحث عن الفترة التي حصل فيها هذا الجمع والتأليف وعن العوامل التي لعبت هذا الدور الخطير.

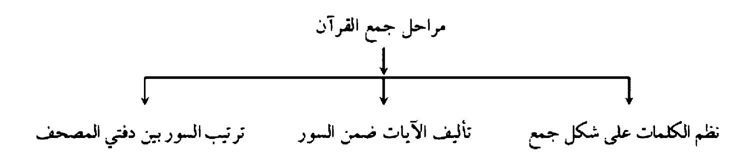
المراحل التي تمّ فيها جمع القرآن

وهذا البحث يكتمل في ثلاث مراحل أساسية:

أوّلاً: نظم كلماته بصورة جمل وتراكيب كلاميّة ضمن الآيات.

ثانياً: تأليف آياته ضمن السّور.

ثالثاً: ترتيب السور بين دفّتين على صورة مصحف كامل.



نظم كلماته

لا شكّ أنّ نظم الكلمات والجمل والتعابير في القرآن، كلّها كانت بفعله تعالى، لم يحدث فيها أيّ تغيير أو تبديل، لا بزيادة ولا بنقص ولا بتغيير موضعي أصلاً: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾،[1] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.[2]

ولمزيد من التوضيح نقول:

أوّلاً: إسناد الكلام إلى متكلّم خاصّ يستدعي أن يكون هو العامل في تنظيم كلماته وأسلوبه التعبيري الخاصّ، وبما أنّ القرآن المجيد هو كلام الله العزيز الحميد، فلا بدّ أن يكون الوحي هو العامل الوحيد في تنظيم كلماته جملاً وتراكيب كلاميّة بعدية.

ثانياً: كان القسط الأوفر من إعجاز القرآن كامناً وراء هذا النظم البديع. وقد تحدّى القرآن فصحاء العرب وأرباب البيان ـ بصورة عامّة ـ لو يأتون بمثل هذا القرآن و﴿...لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.[3] وتجويز إمكان تدخّل يد بشريّة في نظم القرآن، كان بمعنى إبطال هذا التحدّي الصارخ.

ثالثاً: اتّفاق كلمة الأمّة في جميع أدوار التاريخ على أنّ النظم الموجود في الآيات الكريمة هو من صنع الوحي السماوي، الأمر الذي التزم به جميع الطوائف الإسلاميّة،

---

١. فصّلت: ٤٢.

٢. الحجر: ٩.

٣. الإسراء: ٨٨.

على مختلف آرائهم في سائر المواضيع، ومن ثَمّ لم يتردّد أحدٌ من علماء الأدب والبيان في آية قرآنيّة جاءت مخالفة لقواعد رسموها، في أخذ الآية حجّة قاطعة على تلك القاعدة وتأويلها إلى ما يلتئم وتركيب الآية، وذلك علماً منهم بأنّ النظم الموجود في الآية وحيٌ لا يتسرّب إليه خطأ البتّة، وإنّما الخطأ فيما استنبطوه من قواعد مرسومة.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ...﴾.[1] فزعموا أنّ الحال لا تتقدّم على صاحبها المجرور بحرف، والآية جاءت مخالفة لهذه القاعدة. ولجأ ابن مالك إلى نبذ القاعدة؛ لأنّها مخالفة للآية، قال:

وَسَبقَ حالٍ ما بحرفٍ جُرَّ قَدْ أبَوا ولا أمنَعُهُ فَقَدْ وَرَدَ

تأليف آياته

تأليف الآيات ضمن كلّ سورة، على الترتيب الموجود، قد تحقّقَ ـ في الأكثر ـ وفق ترتيب نزولها، كانت السورة تبدأ بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» فتسجّل الآيات التي تنزل بعدها من نفس هذه السورة، واحدة تلو أُخرى تدريجيّاً حسب النزول، حتّى تنزل بسملة أُخرى، فيعرف أنّ السورة قد انتهت وابتدأت سورة أُخرى. قال الإمام الصادق عليه السلام:

«كان يعرف انقضاء السورة بنزول «بسم الله الرحمن الرحيم» ابتداءً لأُخرى».[2]

وهذا الترتيب نسمّيه بالترتيب الطبيعي.

وهناك عامل آخر عمل في نظم قسم من الآيات على خلاف ترتيب نزولها، وذلك بنصٍّ من رسول الله صلى الله عليه وآله. كان يأمر ـ أحياناً ـ بثبت آية في موضع خاصٍّ من سورة سابقة كانت قد ختمت من قبل. روي إنّ آخر آية نزلت، قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا

---

١. سبأ: ٢٨.

٢. *تفسير العيّاشي*: ١/١٩، الحديث ٥.

تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ..﴾ فأشار جبرئيل أن توضع بين آيتي الربا والدين من سورة البقرة.[١]

وربّما كانت السورة تفتتح، وقبل أن تكتمل، تفتتح سورة أُخرى وتكتمل الأخيرة قبل أن تكتمل الأُولى، وذلك كان بأمر النبيﷺ وبإشارته، كما في سورة البقرة، هي أوّل سورة ابتدئ نزولها بالمدينة بعد الهجرة، لكنّها استمرّ نزولها سنوات، إذ فيها الكثير من الآيات نزلن في هذه الفترات المتأخّرة، منها: آية ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا..﴾.[٢] إنّها نزلت عندما تحرّج المسلمون من السعي بين الصفا والمروة لمكان أساف ونائلة عليهما، وكان المشركون وضعوهما على الجبلين يطوفون بهما ويلمسونهما. فنزلت الآية دفعاً لتوهّم الحظر. الأمر الذي يستدعي نزولها بعد صلح الحديبية في عمرة القضاء،[٣] وهو عام الستّ من الهجرة، أو لعلّ النبيﷺ أمر بوضع الآية في هذا الموضع من السورة. والله العالم.

الخلاصة

١. لقد مرّ على جمع القرآن أدوار عديدة، ابتدأت بالعهد الرسالي، وانتهت بدور توحيد المصاحف على عهد عثمان، ثُمّ إلى عهد الخليل بن أحمد النحويّ الذي أكمل تشكيله بالوضع الموجود.

٢. الأشكال المتصوّرة في تأليف النصّ القرآني ثلاثة:

أوّلاً: نظم كلماته بصورة جمل وتراكيب كلاميّة ضمن الآيات.

ثانياً: تأليف آياته ضمن السّور.

ثالثاً: ترتيب السور بين دفّتين على صورة مصحف كامل.

---

١. *الإتقان*: ١/ ٦٢.

٢. البقرة: ١٥٨.

٣. روي ذلك عن الإمام الصادقعليه السلام، راجع: *تفسير العياشي*: ١/ ٧٠ و ١٣٣.

٣. إنّ نظم الكلمات والجمل والتعابير في القرآن، كلّها كانت بفعله تعالى؛ لأنّ القسط الأوفر من إعجاز القرآن كامناً وراء هذا النظم البديع.

٤. تأليف الآيات ضمن كلّ سورة، على الترتيب الموجود، يرجع على الأرجح إلى نزول «بسم الله الرحمن الرحيم» فعندما تنزل يعلم أنّ السورة السابقة انتهت وقد بدأت سورة أُخرى.

٥. هناك عامل آخر يساهم في ضم الآيات إلى سورة معينة، وهو أمر النبي أو جبرئيل فتوضع الآية في السورة التي أُمرا بها.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. من أكمل المصحف على وضعه الموجود هو:

أ) عثمان بن عفان ب) الخليل بن أحمد النحوي

ج) الخليل بن أحمد الفراهيدي د) م و ب صحيح

٢. من مراحل جمع القرآن:

أ) تأليف آياته ضمن السّور.

ب) ترتيب السور بين دفّتين على صورة مصحف كامل.

ج) أ وب خطأ.

د) أ وب صحيحان.

٣. الدليل على نظم كلمات المصحف من قبله تعالى:

أ) اتفاق كلمة الأُمة. ب) جمع المصحف في زمن أبي بكر.

ج) إملاء جبرئيل على النبي. د) لاشيء من ذلك.

٤. أوّل سورة ابتدأ نزولها في المدينة:

أ) التين ب) النور

ج) البقرة د) الحديد

الدرس العشرون

ترتيب السور القرآنية وتسلسلها

لاحظنا في الدرس الماضي كيف أنّ الكلمات قد نظمت والجمل قد تآلفت والآيات قد وضعت، واتّضح لدينا أيضاً أنّه لاخلاف ظاهر في ذلك، بل اتفق الجميع أنّ كلّ ذلك حصل بفعل الله سبحانة، أو بإشراف النبي أو جبرئيل فيما يتعلّق بتحديد مكان الآيات، ولكن يبدو أنّ الخلاف وتعدد الآراء موجود هنا، وتجدر الإشارة إلى أنّ ترتيب السور هو الحلقة الأساسية في بحث جمع القرآن وتأليفه.

هل رتبت السور على عهد رسول الله أو بعد رحلته؟

لقد كانت سور القرآن مكتملة على عهد الرسول الكريمﷺ مرتّبة آياتها وأسماؤها، غير أنّ جمعها بين دفّتين لم يكن حصل بعد، نظراً لترقب نزول القرآن في عهدهﷺ، فما دام لم ينقطع الوحي لم يصحّ تأليف السور مصحفاً إلّا بعد الاكتمال وانقطاع الوحي، الأمر الذي لم يكن يتحقّق إلّا بانقضاء عهد النبوّة واكتمال الوحي. قال الإمام الصادقعليه السلام: قال رسول اللهﷺ لعليّعليه السلام:

«يا عليّ، القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس، فخذوه واجمعوه ولا تضيّعوه».[1]

---

١. *بحارالأنوار*: ٤٨/٩٢، الحديث٧ عن تفسير علي بن إبراهيم.

هذا هو المعروف عن رواة الآثار وعند الباحثين عن شؤون القرآن، منذ الصدر الأوّل إلى يومنا هذا، ولكن مع ذلك نجد من ينكر ذلك التفصيل في جمع القرآن، ويرى أنّ القرآن بنظمه القائم وترتيبه الحاضر كان قد حصل في حياة الرسولﷺ.

وقد ذهب إلى هذا الرأي جماعة من علماء السلف ووافقهم علم الهدى السيّد المرتضى واستدلّ على ذلك بأنّ القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتّى عيّن جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنّه كان يعرض على النبيﷺ ويتلى عليه. وأنّ جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأُبيّ بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبيﷺ عدّة ختمات. وكلّ ذلك يدلّ بأدنى تأمّل على أنّه كان مجموعاً مرتّباً.[١]

لكن حفظ القرآن هو بمعنى حفظ جميع سوره التي اكتملت آياتها، سواء كان بين السور ترتيب أم لا. وهكذا ختم القرآن هو بمعنى قراءة جميع سوره من غير لحاظ ترتيب خاصّ بينها. أو الحفظ كان بمعنى الاحتفاظ على جميع القرآن النازل لحدّ ذاك والتحفظ عليه من الضياع والتفرقة، وهو لا يدلّ على وجود ترتيب خاصّ بين سوره كما هو الآن.

الخلاصة

١. هناك قولان في زمان ترتيب السور:

الأوّل: إنّها رتبت بعد رحلة الرسولﷺ لعدم انقطاع والوحي في حياته، وهو المشهور.

الثاني: إنّها رتبت في حياتهﷺ، وقد ذهب إلى هذا القول السيّد المرتضى.

---

١. مجمع *البيان*: ١٥/١.

٢. واستدلّ على القول الأوّل بقول الامام الصادق:

«يا علي، القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس، فخذوه واجمعوه ولا تضيّعوه».[١]

وعلى القول الثاني القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان.

٣. قد يناقش القول الثاني بأنّ الحفظ بمعنى حفظ جميع سوره التي اكتملت آياتها، أو بمعنى المحافظة على مانزل من القرآن من التلف والضياع.

---

١. *بحارالأنوار*: ٤٨/٩٢، الحديث٧ عن تفسير علي بن إبراهيم.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. يذهب السيّد المرتضى إلى أنّ ترتيب السور قد حصل...

أ) على عهد علي بن أبي طالب عليه السلام ب) على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله

ج) بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله د) على عهد أبي بكر

٢. يستدلّ بقوله صلى الله عليه وآله: «يا علي، القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس، فخذوه واجمعوه ولا تضيّعوه»

أ) على جمع القرآن في حياة النبي.

ب) على ضرورة المحافظة على القرآن.

ج) على ترتيب السور بعد وفاته.

د) لاشيء من ذلك.

٣. ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة:

أ) فما دامَ الوحي غير منقطع لا يصحّ تأليف السور مصحفاً إلّا بعد الاكتمال وانقطاع الوحي(   ).

ب) المشهور عند الباحثين في علوم القرآن أنّ ترتيب السور وقع في زمن النبي(   ).

الدرس الحادي والعشرون

مراحل الجمع ومصاديقه

لا شكّ في أنّ الاضطّلاع بتأليف أي كتاب أو تصنيفة يتطلّب جهداً ووقتاً كبيرين ويلزم من يؤلّفه عملاً دؤوباً ومتواصلاً، والسؤال الذي يطرح هنا: ما هو حجم الجهد وما هو الزمان الكافي، و ما هي الظروف الملائمة التي يتطلبها أعظم كتاب نزل على الأرض؟ أجل إنّه القرآن الكريم الذي نسعى في هذا الدرس إلى الاطّلاع على المراحل التي مرّ بها جمع هذا الكتاب العزيز، وهو جواب عن السؤال التالي: كيف جمع القرآن الكريم؟

تنّوع المراحل التي جمع بها القرآن الكريم

لو تتبعنا الأحاديث المتقدّمة لوجدنا هناك قرائن كثيرة تشير إلى أنّ لفظة جمع القرآن مرّت بمراحل متعددة ومتنوعة، ومن هذه المراحل:

المرحلة الأولى: حفظ القرآن، فعملية الحفظ على القلوب تسمّى عملية جمع القرآن، ولهذا يقال لحفاظ القرآن: جماعة، وبهذا المعنى، كما قيل: جاء قول الحقّ تبارك وتعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[1] بمعنى أنّ الله تعالى تعهد جمع القرآن في صدر نبيه.

---

١. القيامة: ١٦ ـ ١٧.

المرحلة الثانية: كتابة الآيات على ألواح من اللخاف[١] أو العسيب[٢] أو الرقاع[٣] أو الأكتاف[٤] أو الأقتاب،[٥] وهذه الألواح تبقى مبعثرة غير مجموعة، فهذه العملية أيضاً تسمّى عملية جمع القرآن، ويشهد لذلك ما ورد عن مصعب بن سعد، قال: قام عثمان يخطب الناس فقال: أيّها الناس عهدكم بنبيكم منذ ثلاثة عشرة وأنتم تمترون في القرآن تقولون قراءة أبي وقراءة عبد الله... فاعزم على كلّ رجل منكم كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به فكان الرجل يجيء بالورق والأديم فيه القرآن حتّى جمع من ذلك كثير،[٦] فالرواية تشير إلى أنّ القرآن كان مجموعاً عند الناس، و أنّه مكتوب على الورق والأديم.

المرحلة الثالثة: جمع القرآن يطلق على القرآن المجموع بين دفتين بحيث جمعت كلّ آياته في سور منتظمة وجُمعت سورة في مصحف واحد، ولعلّ ما ورد في الأحاديث من أنّ عثمان أرسل إلى حفصة ليأخذ المجموع عندها لينسخه دليل على ذلك.

المرحلة الرابعة: تطلق عملية جمع القرآن على مسألة توحيد المصحف على قراءة واحدة بعد أن كان يقرأ بقراءات متعددة ومتنوعة، وهذا ما تشير إليه الروايات الواردة في اختلاف الصحابة في القراءة، بحيث دفع حذيفة بن اليمان إلى أن يراجع عثمان في ذلك ليوحد ويجمع القرآن، ولهذا نجد أنّ عثمان أمر اللجنة المكلفة بالجمع على هذا المعنى في حالة حدوث اختلاف بينهم فليكتُب بلغة قريش؛ لأنّه نزل بلسانهم.

---

١. وهي صفانح الحجارة الرقيقة.

٢. جريد النخل بعد تجريده من الخوص بحيث يكتب على الجزء العريض منه.

٣. رقعة من جلد أو ورق.

٤. وهو عظم بعير أو شاة كانوا سابقاً يستخدمونه للكتابة فإذا جف كتبوا عليه.

٥. الأقتاب هو: الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليكتب عليه.

٦. *تاريخ مدينة دمشق*: ٢٤٣/٣٩.

هذه المراحل الأربعة كلّها تطلق عليها لفظة جمع القرآن، وسنحاول تتبع هذه المراحل منذ زمن الرسول الأكرمﷺ إلى عصر الخلفاء لنرى معنى الجمع في كلّ فترة زمنية معينة.

مراحل جمع القرآن:
- حفظ القرآن في الصدور
- كتابة الآيات على الألواح
- جمع الآيات و السور بين دفتين
- توحيد المصحف على قراءة واحدة

الخلاصة

١. لقد مرّ جمع القرآن الكريم بأربعة أدوار:

الأوّل: حفظ القرآن في قلوب المسلمين، أو في صدر نبيه.

الثاني: تدوين آياته وسوره على الألواح والقراطيس.

الثالث: جمع الآيات والسور بين دفتين.

الرابع: توحيد القرآن بقراءة واحدة.

٢. إنّ مصدر وسند كلّ مرحلة من المراحل المتقدّمة هو الروايات والنقل التاريخي.

٣. يطلق على كلّ مرحلة من هذه المراحل: جمع القرآن.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. من مراحل جمع القرآن:

أ) تعليمه للصحابة ب) توحيده بقراءة واحدة

ج) كتابته على الألواح د) ب وج

٢. قوله تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ...﴾ يشير إلى:

أ) حفظ القرآن في صدر النبي.

ب) الحفاظ على نصّ الآيات القرآنية.

ج) النهي عن اللحن في قراءة الآيات.

د) لاشيء من ذلك.

٣. ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة:

أ) كان المصحف يقرأ بقراءة واحدة(   ).

ب) أمرت السلطة الحاكمة آنذاك بأن يكتُب القرآن بلغة قريش؛ لأنه نزل بلسانهم(   ).

الدرس الثاني والعشرون

جمع علي بن أبي طالب عليه السلام

إنّ أوّل من تصدّى لجمع القرآن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله مباشرة وبوصيّة منه هو علي بن أبي طالب عليه السلام. قعد في بيته مشتغلاً بجمع القرآن وترتيبه على ما نزل، مع شروح وتفاسير لمواضع مبهمة من الآيات وبيان أسباب النزول ومواقع النزول بتفصيل، حتّى قال عليه السلام:

«ما نزلت آية على رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا أقرأنيها وأملأها عليّ فأكتبها بخطّي. وعلّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها. ودعا الله لي أن يعلّمني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علماً أملاه عليّ فكتبته منذ دعا لي ما دعا».[1]

إعلان الإمام علي عليه السلام عن جمعه للمصحف

ثُمّ إنّ القوم بعثوا إليه ليبايع فاعتذر باشتغاله بجمع القرآن، فسكتوا عنه أيّاماً حتّى جمعه في ثوب واحد وختمه، ثُمّ خرج إلى الناس وهم مجتمعون حول أبي بكر في المسجد وخاطبهم قائلاً:

«إنّي لم أزل منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله مشغولاً بغسله وتجهيزه ثُمّ بالقرآن حتّى جمعته كلّه في هذا الثوب الواحد ولم ينزل الله على نبيّه آية من القرآن إلّا وقد

---

١. *تفسير البرهان*: ١٦/١، الحديث ١٤.

جمعتها، وليس منه آية وقد أقرأنيها رسول الله ﷺ وعلّمني تأويلها، أن تقولوا غداً: إنّا كنّا عن هذا غافلين!». فقام إليه رجل من كبار القوم ـ وفي رواية أبي ذرّ: فنظر فيه فلان وإذا فيه أشياء[١] ـ فقال يا عليّ، اُردده فلا حاجة لنا فيه، ما أغنانا بما معنا من القرآن عمّا تدعونا إليه فدخل عليّ عليه السلام بيته.[٢]

وهذا المصحف يتوارثه أوصياؤه الأئمّة من بعده، واحداً بعد واحدٍ لا يرونه لأحدٍ.[٣] وفي عهد عثمان حين اختلفت المصاحف وأثار ضجّة بين المسلمين، قال طلحة للإمام عليه السلام:

ما يمنعك ـ يرحمك الله ـ أن تخرج كتاب الله إلى الناس؟ قال عليه السلام: «يا طلحة، عمداً كففت عن جوابك. فأخبرني عمّا كتبه القوم أقرآن كلّه أم فيه ما ليس بقرآن؟»، قال طلحة: بل قرآن كلّه. قال عليه السلام: «إن أخذتم بما فيه، نجوتم من النّار ودخلتم الجنّة»، قال طلحة: حسبي، أمّا إذا كان قرآناً فحسبي.[٤]

جمع زيد بن ثابت

إنّ الإنكار الشديد لمصحف علي عليه السلام يستدعي التفكير في القيام بجمع القرآن مهما كلّف الأمر، بعد أن أحسّ الناس بضرورة جمع القرآن، ولا سيّما كانت وصيّة نبيّهم ﷺ بجمعه لئلّا يضيّع، كما ضيّعت اليهود توراتهم،[٥] مضافاً إلى أنّه قد استحرّ القتل بكثير من حامليه ويوشك أن يذهب القرآن بذهاب حامليه، فقد قتل منهم سبعون في واقعة يمامة. وفي رواية: أربعمئة.[٦]

---

١. *الاحتجاج*، الطبرسي: ٨٢.
٢. كتاب *سليم بن قيس*: ٧٢.
٣. *بحار الأنوار*: ٤٢/٩٢، الحديث ١.
٤. كتاب *سليم بن قيس*: ١١٠؛ *بحار الأنوار*: ٤٢/٩٢، الحديث ١.
٥. *تفسير القمّي*: ٧٤٥.
٦. *فتح الباري*: ٤٤٧/٧.

وهذه الفكرة أبدها عمر بن الخطّاب، واقتراح على أبي بكر ـ وهو ولي المسلمين يوم ذاك ـ أن ينتدب لذلك من تتوفر فيه شرائط القيام بهذه المهمّة الخطيرة، فوقع اختيارهم على زيد بن ثابت، وهو شابّ حدث وله سابقة كتابة الوحي أيضاً، فقد ملك الجدارة الذاتيّة من غير أن يخشى منه على جوانب الخلافة الفتيّة في شيء، كما كان يخشى من غيره من كبار الصحابة، وفيهم شيء من الجموح وعدم الانقياد التامّ لميول السلطة وأهدافها آنذاك.

دعودة زيد لجمع المصحف

وجّه زيد نداء عاماً إلى ملأ الناس: من كان تلقّى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأت به. وألّف لجنة من خمسة وعشرين عضواً ـ كما جاء في رواية اليعقوبي[1] ـ وكان عمر يشرف عليهم بنفسه، وكان اجتماعهم على باب المسجد يوميّاً والناس يأتونهم بآي القرآن وسوره، كلّ حسب ما عنده من القرآن.

ومن غريب الأمر أنّ عمر جاء بآية الرّجم وزعمها من القرآن: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتّة نكالاً من الله، لكنّه واجه بالرفض، ولم تقبل منه؛ لأنّه لم يستطع إثبات أنّها من القرآن. وبقي أثر ذلك في نفس عمر، فكان يقول ـ أيّام خلافته ـ: لولا أن يقول الناس: زاد عمر في كتاب الله، لكتبتها بيدي ـ يعني آية الرّجم ـ.[2]

منهج زيد في جمع المصحف

ثُمّ إنّ جمع زيد لم يكن مرتّباً ولا منظّماً كمصحف، وإنّما كان الاهتمام في ذلك الوقت على جمع القرآن عن الضياع، وضبط آياته وسوره حذراً عن التلف بموت

---

١. *تاريخ اليعقوبي*: ١١٣/٢.

٢. *تفسير ابن كثير*: ٢٦١/٣؛ *البرهان*: ٣٥/٢؛ *الإتقان*: ٢٦/٢.

حامليه، فدوّنت في صحف وجعلت في إضبارة، وأودعت عند أبي بكر مدّة حياته، ثُمّ عند عمر بن الخطّاب حتّى توفّاه الله، فصارت عند ابنته حفصة، وهي النسخة التي أخذها عثمان لمقابلة المصاحف عليها، ثُمّ ردّه عليها، وكانت عندها إلى أن ماتت، فاستلبها مروان من ورثتها حينما كان والياً على المدينة من قبل معاوية، فأمر بها فشقّت.[١]

مصاحف أُخرى للصحابة

في الفترة بعد وفاة النبي ﷺ قامت جماعة من كبار الصحابة بتأليف القرآن وجمع سوره بين دفّتين، كلّ بنظم وترتيب خاصّ، وكان يسمّى مصحفاً، وحاز بعض هذه المصاحف مقاماً رفيعاً في المجتمع الإسلامي آنذاك، فكان أهل الكوفة يقرؤون على مصحف عبد الله بن مسعود وأهل البصرة على مصحف أبي موسى الأشعري. وأهل الشام على مصحف أُبيّ بن كعب و... .[٢]

لكن كان أمد هذه المصاحف قصيراً جدّاً انتهى بزمن توحيد المصاحف على عهد عثمان، فذهبت مصاحف الصحابة عرضة التمزيق والحرق. أرسل عثمان إلى كلّ أُفق بمصحف ممّا نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كلّ صحيفة أو مصحف أن يحرق.[٣] نعم حظيت بعضها عمراً أطول، كالصحف التي كانت عند حفصة.

وكان الوصف العامّ الذي تتّسم به مصاحف الصحابة في ذلك الزمان، هو تقديم السور الطوال على القصار نوعاً ما في ترتيب منهجيّ خاصّ، يقرب من الترتيب الموجود في القرآن الآن.

---

١. *إرشاد الساري*: ٤٤٩/٧.

٢. *الكامل في التاريخ*: ٥٥/٣؛ راجع: *صحيح البخاري*: ٢٢٥/٦؛ *المصاحف* للسجستاني: ١١ ـ ١٤؛ *البرهان*: ٢٣٩/١ ـ ٢٤٣.

٣. *صحيح البخاري*: ٢٢٦/٦.

الخلاصة

أوّل من تصدّى لجمع المصحف وشرحه وتريبه بعد وفاة النبي هو علي بن أبي طالب عليه السلام بوصية وأمر من الرسول صلى الله عليه وآله.

أ) اعتذر الإمام علي عن المبايعة بسبب جمعه للقرآن، ولما أعلن عن جمعه له لم يقبلوه منه. وبقي مصحف علي يتوارثه الأئمة واحداً بعد واحد.

ب) بعد أن رفض مصحف علي وقتل الكثير من الحفاظ والقراء لزم التفكير الجدي بضرروة جمع القرآن، فاقترح عمر على أبي بكر ذلك حتّى وقع اختيارهم على زيد بن ثابت.

ج) انتدب زيد بن ثابت لجنة مكونة من خمسة وعشرين لجمع القرآن فيلتقون في باب المسجد فيجمعون ما بأيديهم من أيات قرانية، وكان عمر يشرف على ذلك بنفسه.

د) إنّ منهج زيد في جمع القرآن لم يكن مرتباً أو منظماً، بل كلّ همه هو حفظ القرآن من التلف والضياع.

هـ) كان يتسم المصحف الذي جمعه الصحابة بطابع منهجي واضح وهو تقديم السور الطوال على القصار، وهو قريب من المصحف الموجود بأيدينا.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. من القائل: ما نزلت آية على رسول الله ﷺ إلّا أقرأنيها وأملأها عليّ فأكتبها بخطّي...

أ) زيد بن ثابت ب) على بن أبي طالب عليه السلام

ج) عمر بن الخطاب د) حفصة بنت عمر

٢. اعتذر الامام علي عن المبايعة بـ.......... فسكتوا عنه أياماً.

أ) تأبين النبي والحزن عليه ب) مرض فاطمة عليها السلام

ج) جيش أُسامة د) جمع القرآن

٣. الذي اقترح على أبي بكر انتداب جماعة لجمع القرآن هو:

أ) سعد بن أبي وقاص ب) على بن أبي طالب عليه السلام

ج) عمر بن الخطاب د) ليس واحد من هؤلاء.

٤. النسخة التي اعتمدها عثمان لمقابلة المصاحف عليها:

أ) النسخة التي جمعها زيد بن ثابت.

ب) النسخة التي جمعها علي بن أبي طالب عليه السلام.

ج) النسخة التي كانت محفوظة لدى حفصة.

د) أ و ج.

٥. ضع علامة (✓) أمامِ العبارة الصحيحة:

أ) كان أهل الكوفة يقرؤون على مصحف عبد الله بن مسعود وأهل البصرة على مصحف أبي موسى الأشعري. وأهل الشامِ على مصحف أُبيَّ بن كعب(   ).

ب) كان أهل الكوفة يقرؤون على مصحف أبي موسى الأشعري وأهل البصرة على مصحف أُبيَّ بن كعب. وأهل الشامِ على مصحف عبد الله بن مسعود(   ).

الدرس الثالث والعشرون

معنى الجمع في عصر الرسول الأكرمﷺ

ذكرنا في الدروس الماضية معاني أربعة للجمع، ولا يشكّ عاقل بأنّ المعنى الأوّل للجمع وهو بمعنى حفظ القرآن على القلوب قد تمّ في عصر الرسولﷺ؛ لأنّ القرآن قد نزل على صدر نبيه وكانﷺ حافظاً للقرآن بنصّ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾.[1] وقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾.[2] وذهب إلى هذا المعنى المفسّرين لهذه الآية.[3]

وهناك آيات قرآنية أُخرى تشير إلى هذا المعنى من قبيل: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾.[4]

حفظ القرآن في صدور الأصحاب

وبعد أن كان الرسول هو الحافظ الأوّل لكتاب الله الكريم الذي نزل على صدره الشريف، نرى أنّ ذلك الأمر يتعداه إلى صحابته الذين أطلق عليهم حُفّاظ للقرآن وجُماعة الحفاظ، الذين قتل منهم في معركة بئر معونة سبعون رجلاً في عام ٤هـ.

---

١. طه: ١١٤.

٢. القيامة: ١٦ ـ ١٧.

٣. تفسير شبر: ٥٤١.

٤. الأعلى: ٧.

بل إنّ الرسول كان يشجع على حفظ القرآن بحيث شاع حفظه بين الرجال والنساء حتّى وصل الأمر أنّ المرأة تجعل مهرها سورة من القرآن، ولهذا ينقل ابن كثير عن سهل بن سعد قال:

إنّ امرأة أتت النبيﷺ ووهبت نفسها إليه، فقال: مالي من النساء من حاجة، فقام رجل فقال: زوجنيها يا رسول الله؟ فقال: أعطها ثوباً، قال: لا أجد.

قال: أعطها ولو خاتماً من حديد فاعتل له.

فقال: ما معك من القرآن.

قال: كذا وكذا.

قال النبي: زوجتكها بما معك من القرآن.[1]

وكان الرسولﷺ يحث المسلمين على تعلم القرآن وحفظه، بل إنّ هناك أسباباً أُخرى تدفع المسلمين إلى حفظ القرآن، منها:

١. يُعتبر القرآن بالنسبة للمسلمين منهجاً عاماً لهم في حياتهم يتعلمون منه الحلال والحرام في عباداتهم ومعاملاتهم.

٢. الحالة الاجتماعية التي يتميز بها حفاظ القرآن قد تكون عامل مهمّ تدفع المسلمين الأوائل إلى حفظ القرآن.

فمسألة جمع القرآن بمعنى الحفظ كان على عهد رسول اللهﷺ.

أمّا الجمع للآيات في داخل السور، والسور في داخل المصحف الشريف، فقد ورد لدينا الكثير من الأحاديث والروايات تشير إلى أنّ هذه العملية تمّت في زمن الرسولﷺ.

فهنا أمران:

الأوّل: جمع الآيات داخل السورة الواحدة في زمن الرسولﷺ.

وردت لدينا الكثير من المنقولات التأريخية تؤكّد لنا أنّ وضع الآيات داخل

---

١. *فضائل القرآن*، ابن كثير: ٤٠

سورها كان يتمّ من قبل الرسول الأكرمﷺ، وبعضها كان يُصرح فيه بأنّ وضع الآية في السورة الفلانية هو بتوجيه من جبرئيل أمين الوحي إلى النبي الأكرمﷺ فمثلاً نقل عن الإمام عليعليه السلام في خلو سورة براءة من «بسمِ الله الرَحمنِ الرَحيم» قال:

«بأنّ البسملة أمان وهذه السورة نزلت لرفع الأمان بالسيف بعد نقض المشركين للعهد»[1]

وورد عن عثمان بن أبي العاص قال:

كنت جالساً عند رسول اللهﷺ إذ شخص ببصره، ثُمّ صوبه، ثُمّ قال: أتاني جبرئيل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة ﴿إِنَّ اللَّهَ يأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى..﴾ فجعلت في سورة النحل بين آيات الاستشهاد وآيات العهد.[2]

وورد أيضاً أنّ جبرئيل أشار على النبي الأكرمﷺ في وضع قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ...﴾ بين آيات الربا والدَين من سورة البقرة.[3]

ولهذا السبب ذهب العلماء إلى أنّ ترتيب الآيات داخل السور توقيفي ولا شبهة في ذلك.[4]

وقال الباقلاني:

ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم فقد كان جبرئيل يقول ضعوا آية كذا في موضع كذا.[5]

فما ورد من نقولات تاريخية حول مسألة جمع الآيات القرآنية سواء في عهد أبي بكر أو غيره لا يمكن الوثوق به خصوصاً، وأنّ الطريقة المستخدمة من قبول شاهدين

---

١. *عمدة القاري*، العيني: ٢٥٣/١٨.

٢. *التمهيد*: ٢٧٦/١.

٣. *الإتقان في علوم القرآن*: ٦٢/١.

٤. *المصدر*: ١٨٩/١.

٥. *المصدر*: ١٦٩/١.

وما شابه ذلك تؤدّي إلى الوقوع بالتحريف، فكلّ ما ورد في مسألة جمع الآيات داخل السورة الواحدة في غير زمن الرسولﷺ لا يمكن قبوله.

الثاني: جمع السور في زمن الرسول الأكرمﷺ.

هذه المسألة من المسائل التي وقع فيها خلاف بين الأعلام، والذي يجب أن نركز عليه هنا أنّ الرأي في هذه المسألة لا يؤثّر على القرآن من ناحية التحريف، فوجدت هنا اتجاهات متعددة:

الاتجاه الأوّل: يقول: إنّ القرآن بصورته الحالية جمع في زمن رسول اللهﷺ ورتبت على شكل مصحف منذ ذلك الزمان.

الاتجاه الثاني: إنّ القرآن رتبت آياته داخل السور في زمن الرسولﷺ إلّا أنّ ترتيب السور وجعله مصحفاً حصل بعد وفاة الرسول الأكرمﷺ سواء أكان الجمع حاصل من قبل الإمام عليعليه السلام أو من قبل الخليفة الأوّل أو الثاني أو الثالث أو من غيرهم من الصحابة.

وذهب السيّد الطباطبائي إلى أنّ مسألة جمع القرآن تمّ بعد وفاة الرسول الأكرمﷺ فقال:

إنّ جمع القرآن مصحفاً واحداً إنّما كان بعد ما قبض النبيﷺ بلا إشكال.[1]

والذي يمكن أن يقال هنا: إنّ جمع القرآن بهذا المعنى كان على عهد رسول اللهﷺ للأدلّة التالية:

١. ورد عن أبي بكر الحضرمي عن الإمام الصادقعليه السلام أن رسول اللهﷺ قال لعليعليه السلام:

يا علي، إنّ القرآن خلف فراشي في المصحف والحرير والقراطيس فخذوه واجمعوه ولا تضيعوه كما ضيعت اليهود التوراة.[2]

---

١. *الميزان في تفسير القرآن*: ١٢/١٢٨.

٢. *بحار الأنوار*: ٨٩/٥٣.

فالألفاظ في هذا الحديث صادرة من معصوم وهذه الألفاظ هي «القرآن» و«خلف فراشي» وما شابه ذلك تشير إلى أنّ القرآن كان بأجمعه موجود عند النبي ومجموع بشكل كامل وطلب من الإمام علي عليه السلام أن يجمعه بمعنى أن يجعله بين الدفتين وكان ذلك في زمن الرسول الأكرم ﷺ.

٢. سأل قتادة أنس بن كعب:

مَن جَمَع القرآن على عهد رسول الله ﷺ؟

فقال: أربعة كلّهم من الأنصار: أُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد.[١]

٣. نقل المجلسي في البحار:

مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد.[٢]

ما يواجه هذه الروايات التاريخية أنّ الجمع هنا بمعنى الحفظ وليس جمع السور، وحصر الجامعين له بعدد معين ضعيف؛ لأنّ الرسول ﷺ قبض وعشرات بل مئات المسلمين يحفظون القرآن وليس فقط هؤلاء الأشخاص الأربعة، أضف إلى ذلك من أين للراوي أن يتعرّف على حفاظ القرآن في البلاد الإسلامية ويحصرهم في أربعة أشخاص فقط وهم منتشرون في بلاد الله العريضة.

ويواجه هذا الرأي أيضاً أنّه إذا كان الجمع في عصر الرسول فما معنى ما ورد: إنّ الإمام علي عليه السلام لم يرتدِ رداء إلّا للصلاة حتّى جمع القرآن بعد وفاة الرسول الأكرم ﷺ.

ويمكن أن يجاب على ذلك من خلال التعرّف على مواصفات مصحف الإمام علي عليه السلام، إذ إنّ الإمام علي عليه السلام بعد أن أخذ القرآن مجموعاً من النبي ﷺ وفق ترتيب

---

١. *صحيح البخاري*: ٤/٩.

٢. *بحار الأنوار*: ٧٧/٨٩.

النزول، ولهذا عد البعض من مواصفات مصحف علي أنّه مجموع وفق ترتيب النزول، وفي الحقيقة هذه ليست خصيصة لمصحف الإمام علي عليه السلام وإنّما خصيصة للمصحف الذي أخذه الإمام علي عليه السلام من الرسول صلى الله عليه وآله، وأمّا معنى جمع الإمام علي عليه السلام بقرينة قول الرسول الذي أمر الإمام بجمع القرآن حتّى لا يضيع كما ضيع اليهود التوراة، بهذه القرينة نجد أنّ الإمام كتب هوامش لهذا المصحف حتّى لا يقع التلاعب بالنصّ الأصلي وتحريف معانيه، وهذه الهوامش كانت عبارة عن أسوار لحفظ النصّ من قبيل أسباب النزول ومكان النزول والمصاديق التي نزلت فيهم، ولهذا نجد أنّ هذا المصحف استقرّ بعد الإمام بيد أئمة أهل البيت العلوي فلقد جاء في الرواية: إنّ طلحة سأل علياً عن مصحفه وإلى من يكون من بعده؟ قال له:

إلى الذي أمرني رسول الله أن أدفعه إليه وصيي وأولى الناس بعدي بالناس ابني الحسن ثُمّ يدفعه ابني الحسن إلى ابني الحسين ثُمّ يصير إلى واحد بعد واحد من ولد الحسين عليه السلام.

فالقرآن مجموع على عهد الرسول صلى الله عليه وآله

والذي يواجه هذا الرأي النقولات التاريخية التي تقول: إنّ المصحف جُمع في زمن أبي بكر أو عمر وعثمان كما تشير إلى ذلك المصادر الحديثة والتاريخية.

ويمكن أن يجاب هنا:

إنّ جمع القرآن في زمن أبي بكر أمر لا بدّ منه بعد رفض مصحف الإمام علي عليه السلام، وهذا الجمع يجب ألّا ينصرف إلى جمع الآيات داخل السورة الواحدة وما ورد في هذا المعنى فهو مردود، وإنّما الجمع للسور القرآنية داخل المصحف الواحد خصوصاً وإنّ الخلافة تعتبر القرآن الدستور الإسلامي الأوّل فلا بدّ من الاهتمام به، فجمعه في زمن أبي بكر لا يدلّ على عدم وجوده في زمن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، أضف إلى ذلك أنّ الروايات والنقولات التاريخية التي أشارت إلى جمعه في زمن أبي

بكر أو عمر كان فيها نوع من التضارب الواضح والخلط بين جمع الآيات داخل السورة الواحدة الذي أثبت الدليل أنّه تمّ في زمن النبيﷺ وبين جمع السور القرآنية.

الخلاصة

١. لا شكّ في أنّ جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور قد تحقّق في زمن النبي ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾.

٢. كان الرسول يشجع على حفظ القرآن عن ظهر قلب حتّى حفظ القرآن مجموعة كبيرة من الصحابة أطلق عليهم اسم: الحفاظ.

٣. هناك روايات كثيرة تشير إلى أنّ وضع الآيات في داخل السور كان في زمن النبيﷺ وبإشراف منه وبرعاية من جبرئيل.

٤. وقع الكلام في ترتيب السور وجعلها مصحفاً هل وقع في زمن رسول اللهﷺ أو بعدوفاته، اتجاه ذهب إلى الأوّل، وآخر إلى الثاني، وهو ما يراه العلّامة الطباطبائي.

٥. استدلّ على الاتجاه الأوّل بمجموعة من الروايات نوقشت بأنّ المقصود منها الحفظ من التلف وليس ترتيب السور، والروايات التي حدد الحفاظ بأربعة هي روايات ضعيفة.

مصحف الإمام علي هو المصحف الذي كان عند رسول الله المرتب بحسب النزول، ولكن أضاف إليه الإمام مجموعة من الهوامش شملت: أسباب النزول ومكانه والناسخ والمنسوخ و.... .

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. إنّ حفظ القرآن في الصدور لا شكّ في وقوعه في:

أ) زمن أبي بكر ب) زمن عثمان

ج) زمن النبي وأصحابه د) بعد الفتح

٢. ترتيب السور داخل المصحف:

أ) أمر متفق عليه

ب) أمر مختلف فيه

ج) غير مبحوث في علوم القرآن

د) لاشيء من ذلك

٣. قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى...﴾ وضعت في سورة:

أ) الدخان ب) آل عمران

ج) الحجّ د) النحل

٤. ذكرت بعض الروايات أنّ الذين جمعوا القرآن هم أربعة:

أ) أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد.

ب) أبوزيد، معاذ بن جبل، و علي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت.

ج) أبوبكر، وأبي بن كبعب، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد.

د) لاشيء من ذلك.

٥. ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة.

أ) ذهب العلماء إلى أنّ ترتيب الآيات داخل السور توقيفي.(   )

ب) ذهب العلماء إلى أنّ ترتيب الآيات داخل السور والسور داخل المصحف توقيفي.(   )

الدرس الرابع والعشرون

فكرة توحيد المصاحف

قلنا في الدروس السابقة أنّه بعد وفاة النبي وبعد أن رد المصحف الذي جمعه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فكر المسلمون بجمع القرآن، لكن يبدو أنّه لم يجمع مرّة واحدة ولم يتفق المسلمون على مصحف واحد، حتّى كان المسلمون يقرؤون القرآن بقراءات متعددة حسب المصاحف الموجودة بأيديهم، فرأى بعض المسلمين خطأ ذلك وضرورة جمع المصاحف في مصحف واحد، وفي هذا الدرس نحاول التركيز على هذه الفكرة، ومتى نشأت وكيف؟

أوّل من فكر في جمع المصحف

إنّ أوّل من فكّر في توحيد المصاحف هو حذيفة بن اليمان، فإنّه في سفره إلى غزو أرمينية ـ آذربيجان ـ شاهد اختلاف الناس في القراءات، فلمّا رجع إلى الكوفة حلف ليأتيّن الخليفة وليأمرنّه بجعلها قراءة واحدة، كما استشار هو من كان بالكوفة من صحابة الرسول صلى الله عليه وآله فوافقوه على ما عزمه،[1] سوى عبد الله بن مسعود، ثُمّ سار إلى المدينة يستحثّ عثمان على إدراك أُمّة محمد صلى الله عليه وآله قبل تفرّقها فجمع عثمان الصحابة

---

1. *الكامل في التاريخ*: ٥٥/٣.

وأخبرهم الخبر، فأعظموه ورأوا جميعاً ما رأى حذيفة.[١]

وهكذا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أبدى رأيه موافقاً لهذا الأمر، قال عليه السلام:

«فوالله ما فعل عثمان الذي فعل في المصاحف إلّا عن ملأ منّا. استشارنا في أمر القراءات... قلنا: فماذا رأيت؟ قال: أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف. قلنا: فنعم ما رأيت».[٢]

وفي رواية أُخرى قال:

«لو ولّيت في المصاحف ما ولّي عثمان لفعلت كما فعل».[٣]

وكان عليه السلام ـ بعد ما تولّى الخلافة ـ أحرص الناس على الالتزام بالمصحف المرسوم ـ حتّى ولو كانت فيه أخطاء إملائيّة ـ حفظاً على كتاب الله من أن تمسّه يد التحريف فيما بعد باسم الإصلاح، وهكذا سار على منهجه عليهم السلام الأئمّة من ولده.

روي إنّه قرأ رجل عند الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤه الناس! فقال له الإمام عليه السلام:

«مه مه! كُفّ عن هذه القراءة واقرأ كما يقرأ الناس».

ومن ثمّ وقع إجماع أصحابنا الإماميّة على أنّ ما بأيدينا هو قرآن كلّه،[٤] لم تمسّه يد تحريف أصلاً. وأنّ القراءة المشهورة هي القراءة الصحيحة، التي تجوز القراءة بها في الصلاة وغيرها من أحكام أجروها على النصّ الموجود، واعتبروه القرآن الذي أُوحي إلى النبي صلى الله عليه وآله ولم يعتبروا شيئاً سواه.

وأمّا ابن مسعود فلا أظنّ مخالفته كانت جوهريّة، وإنّما أغضبه انتداب أشخاص غير أكفاء لهذا الأمر الخطير كان أمثاله جديرين له، كما يظهر من كلامه، حيث قال:

---

١. *المصدر*: ٥٥/٣.

٢. *المصاحف* السجستاني: ٢٢.

٣. *النشر*: ٨/١؛ *المصاحف* السجستاني: ٢٣.

٤. راجع: حديث طلحة مع الإمام عليه السلام. *بحارالأنوار*: ٤١/٩٢ ـ ٤٢، الحديث ١.

يا معشر المسلمين أأعزل عن نسخ المصاحف ويتولّاها رجلٌ، والله لقد أسلمت وإنّه لفي صلب رجل كافر ـ يريد زيد ابن ثابت ـ.[١]

لجنة توحيد المصاحف

ندب عثمان أربعة للقيام بهذا الأمر، وهم: زيد بن ثابت ـ وهو أنصاري ـ وسعيد بن العاص، وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ـ وهم قرشيّون ـ.[٢] وكانت الرئاسة لزيد بن ثابت كما يظهر من كلام ابن مسعود المتقدّم آنفاً.

لكن هؤلاء الأربعة لم يستطيعوا القيام بصميم الأمر، ومن ثَمّ استعانوا بجماعة أُخرى مثل عبد الله بن عباس وأُبيّ بن كعب وغيرهما. وفي هذه المرحلة كانت الرئاسة مع أُبيّ بن كعب فكان هو يملي ويكتب الآخرون.[٣] وكان هذا في سنة خمس وعشرين، في السنة الثالثة أو الثانية من خلافة عثمان، كما قال ابن حجر.[٤]

لقد اتّخذت لجنة توحيد المصاحف في عملها ثلاث خطوات أساسيّة:

١. جمع المصاحف أو الصحف التي فيها قرآن من أطراف البلاد الإسلاميّة وإنحائها. فقد أرسل عثمان إلى كلّ أُفق من يجمع المصاحف أو الصحف التي فيها قرآن وأمر بها أن تحرق.[٥] فلم يبق مصحف إلّا فعل به ذلك خلا مصحف ابن مسعود فامتنع أن يدفع مصحفه إلى عبد الله بن عامر، فأمر بن عثمان فجرّ برجله حتّى كسر له ضلعان.[٦]

---

١. *فتح الباري*: ١٧/٩.

٢. *صحيح البخاري*: ٢٢٦/٦.

٣. *المصاحف* السجستاني: ٣٠.

٤. *فتح الباري*: ١٥/٩. والترديد باعتبار الاختلاف في أنّ يوم البيعة لعثمان هو العشرة الأخيرة من ذي الحجّة عام ٢٣ أو العشر الأوّل من محرّم عام ٢٤. راجع: *تاريخ الطبري*: ٣٠٣/٣.

٥. *صحيح البخاري*: ٢٢٦/٦.

٦. *تاريخ اليعقوبي*: ١٥٩/٢ ـ ١٦٠.

٢. البحث عن النسخ الصحيحة لغرض النسخ عليها مصاحف متعدّدة وبثّها بين المسلمين، ففي هذه المرحلة كان عثمان في بدء الأمر زعمها هيّنة، ومن ثَمّ اختار لها جماعة غير أكفاء، ثُمّ لجأ إلى جماعة آخرين وفيهم الأكفاء، مثل سيّد القرّاء الصحابي الكبير أُبيّ بن كعب. وأرسل إلى الصحف التي جمع فيها القرآن أيّام خلافة أبي بكر ـ وهي كانت في بيت حفصة ـ للمقابلة عليها فأبت حفصة لأوّل أمرها أن تدفع إليه حتّى عاهدها عثمان ليردّنّها فبعث بها إليه.[١]

٣. مقابلة هذه المصاحف الموحّدة لغرض التأكّد من صحّتها أوّلاً وعدم وجود اختلاف بينها ثانياً. ففي هذه المرحلة كان التساهل أوضح.

حدّث ابن أبي داوود عن بعض أهل الشام، كان يقول:

> مصحفنا ومصحف أهل البصرة أحفظ من مصحف أهل الكوفة؛ لأنّ عثمان لمّا كتب المصاحف بلغه قراءة أهل الكوفة على حرف عبد الله. فبعث إليهم بالمصحف قبل أن يعرض ـ أي: قبل مقابلته على سائر النسخ ـ وعرض مصحفنا ومصحف أهل البصرة قبل أن يبعث بهما.[٢]

وروي أيضاً: إنّهم عندما فرغوا من نسخ المصاحف أتوا به إلى عثمان، فنظر فيه فقال: قد أحسنتم وأجملتم. أرى فيه شيئاً من اللحن ـ لكن ـ ستقيمه العرب بألسنتها، ثُمّ قال: لو كان المملي من هذيل والكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا.[٣]

قلت: ألم يكن كتاب الله العزيز الحميد جديراً بالاهتمام به ليكون خالياً من كلّ خطأ أو لحن؟! ثمّ ما هذا التمنّي الكاذب، وفي استطاعته بدء الأمر أن يختار مملياً من هذيل وكتبة من ثقيف، وهو يعلم أنّ فيهم الجدارة والكفاءة.

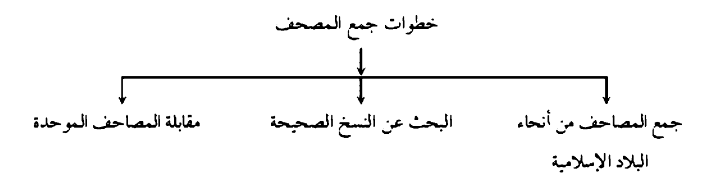
---

١. *المصاحف*، السجستاني: ٩.

٢. *المصدر*: ٣٥.

٣. *المصدر*: ٣٤.

وهذا التساهل أحد أسباب الاختلاف في القراءة فيما بعد كما سيأتي.



الخلاصة

١. أوّل من فكّر في توحيد المصاحف هو حذيفة بن اليمان، عندما شاهد في سفره إلى غزو أرمينية ـ آذربيجان ـ اختلاف الناس في القراءات.

٢. وافق أكثر الصحابة ومنهم الإمام علي عليه السلام على توحيد المصاحف، وخالف في هذا الأمر ابن مسعود؛ لعدم اختيار الناس الأكفاء للقيام بهذه المهمّة.

٣. انتدب الخليفة عثمان أربعة رجال للقيام بمهمّة توحيد المصاحف، وهم: زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

٤. لقد مرّ توحيد المصاحف بخطوات ثلاث:

أ) جمع المصاحف المنتشرة في الأقطار الإسلامية.

ب) البحث عن النسخ الصحيحة.

ج) مقابلة المصاحف الموحدة للتأكّد من صحّتها، وعدم اختلافها.

د) التساهل في أمر توحيد المصاحف جعل إمكانية حدوث الخطأ واللحن وارد جداً، وهو الأمر الذي اعترف به عثمان نفسه.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. أوّل من اقترح توحيد المصاحف:

أ) زيد بن ثابت. ب) أبي بن كعب.

ج) أبو زيد. د) حذيفة بن اليمان.

٢. وافق أكثر الأصحاب على توحيد المصاحف سوى:

أ) ابن مسعود. ب) عمر بن الخطاب.

ج) علي بن أبي طالب. د) عبد الرحمان بن عوف.

٣. ترأس لجنة توحيد المصاحف:

أ) عبدالله بن الزبير. ب) أُبي بن كعب.

ج) زيد بن ثابت. د) ب و ج.

٤. عندما أُتي بالمصحف الموحد إلى الخليفة عثمان...

أ) اعتبره ملفقاً ومزوراً. ب) اعترف بخلوه من أي نقص.

ج) اعترف بوجود لحن في آياته. د) سكت ولم يتحدث.

الدرس الخامس والعشرون

المصاحف العثمانية

بعد أن تحقّق ما أراده أكثر الصحابة من ضرورة توحيد القرآن الكريم على قراءة واحدة جهزت مجموعة من النسخ للمصحف الموحد، والتي عرفت بالمصاحف العثمانية نسبة إلى الخليفة عثمان وبعثت إلى المراكز الإسلامية المهمّة، ولكن لم يخلو عدد تلك المصاحف والبلدان التي أُرسلت إليها من الاختلاف بين المؤرخين، وفي هذا الدرس سنعرف على عدد و صفات المصاحف العثمانية.

عدد المصاحف العثمانيّة

قال ابن أبي داوود:

كانت ستّة حسب الأمصار المهمّة ذوات المركزيّة الخاصّة: مكّة والكوفة والبصرة والشام والبحرين واليمن. وحبس السابعة ـ وكانت تسمّى الأُمّ أو الإمام ـ بالمدينة.[1]

وزاد اليعقوبي: مصر والجزيرة.[2] وكان المصحف المبعوث إلى كلّ قطر يحتفظ

---

١. *المصاحف*، السجستاني: ٣٤.

٢. *تاريخ اليعقوبي*: ١٦٠/٢.

عليه في مركز القطر، يستنسخ عليه ويرجع إليه عند اختلاف القراءة. ويكون هو حجّة. ومصحف المدينة كان مرجعاً للجميع بصورة عامّة. وروي:

إنّ عثمان بعث مع كلّ مصحف قارئاً يقرئ الناس على قراءة ذلك المصحف.[١]

مزايا المصاحف العثمانيّة

١. **الترتيب**: كانت المصاحف العثمانيّة ـ بصورة عامّة ـ ذات ترتيب خاصّ ـ وهو الترتيب الحاضر في المصحف الكريم ـ يقرب من ترتيب مصاحف الصحابة مع اختلاف يسير.

٢. **النقط والتشكيل**: كانت المصاحف العثمانيّة خاليةً من النقط والتشكيل وكان على القارئ بنفسه أن يميّز بين الحروف المتشابهة ـ مثل الباء والياء والتاء والثاء ـ عند القراءة حسب ما يبدو له من قرائن، كما كان عليه أن يعرف هو بنفسه وزن الكلمة وكيفية إعرابها أيضاً، ومن ثَمّ كانت قراءة القرآن في الصدر الأوّل موقوفة على مجرّد السماع والنقل فحسب.

وهذا كان منشأ اختلاف القراءات إذ بطول الزمان ربّما كان يحصل اشتباه في النقل أو خلط في السماع مضافاً إلى تخلّل الأُمم غير العربيّة في الجزيرة وتضخّم جانبهم مطّرداً مع التوسعة في القطر الإسلامي العريض.

ضبط الخط الذي دون به المصحف الشريف

كان الخطّ عندما اقتبسه العرب من السريان والأنباط، خالياً من النقط ولا تزال الخطوط السريانيّة بلا نقط إلى اليوم، ولمّا كثر التصحيف في القراءات بازدحام القطر الإسلامي بالأعاجم قام نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر تلميذا أبي الأسود الدؤلي

---

١. *مناهل العرفان*: ٣٩٦/١ ـ ٣٩٧.

بتنقيط المصحف، وذلك في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق من قبل عبد الملك بن مروان (٧٥ ـ ٨٦ هـ).[١]

ثُمّ إنّ القرآن في الصدر الأوّل كان محفوظاً في صدور الرّجال ومأموناً عليه من الخطأ واللّحن بسبب أنّ العرب كانت تقرؤه صحيحاً حسب سليقتها الفطرية التي كانت محفوظة لحدّ ذاك الوقت مضافاً إلى شدّة عنايتهم بالأخذ والتلقي عن مشايخ كانوا قريبي العهد بعصر النبوة. ولكن بعد منتصف القرن الأوّل حيث كثر الأعاجم ـ وهم أجانب عن اللغة العربيّة ـ مسّ الحاجة إلى وضع علامات تؤمن عليهم الخطأ واللحن، من ثَمّ عزم أبو الأسود الدؤلي على تشكيل المصحف وذلك في زمن ولاية زياد بن أبيه على الكوفة (٥٠ ـ ٥٣ هـ).

قال جلال الدين السيوطي:

كان الشكل في الصدر الأوّل نقطاً، فالفتحة نقطة على أوّل الحرف والضمة نقطة على آخره والكسرة تحت أوّله.[٢]

وفي الأغلب يكتبونها بلون غير لون خطّ المصحف والأكثر يكتبونها بلون أحمر. والظاهر أنّ تبديل النقط السود إلى نقطة ملوّنة حدث بعد وضع الإعجام للفرق بين النقطة التي هي علامة الحركة والتي هي علامة الإعجام. وأوّل من وضع الهمز والتشديد و... الخليل بن أحمد الفراهيدي.[٣]

وهكذا كلّما امتدّ الزمان بالناس ازدادت عنايتهم بالقرآن وتيسير رسمه من طور إلى طور حتّى إذا كانت نهاية القرن الثالث الهجري بلغ الرّسم ذروته في الجودة والحسن.

وأمّا وضع علامات التحزيب والتجزئة فقيل: إنّ المأمون العباسي هو الذي أمر بذلك. وقيل: إنّ الحجّاج فعل ذلك.[٤]

---

١. *دائرة المعارف القرن العشرين*: ٧٢٢/٣؛ *مناهل العرفان*: ٣٩٩/١؛ *تاريخ القرآن*: ٦٨.

٢. *الإتقان*: ١٧١/٢.

٣. *الإتقان*: ١٧١/٢؛ كتاب *النقط*؛ أبو عمرو الداني: ١٣٣.

٤. راجع: *البرهان*، الزركشي: ٢٤٩/١ـ٢٥٢.

وينتصف القرآن على الفاء من قوله تعالى: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾.[١]

وعدد آياته ـ في قول علي ﷺ: ٦٢١٨ آية وفي رواية: ٦٢٣٦ آية.

وقد اشتهر تحزيب القرآن وتجزءته إلى ثلاثين جزءاً تسهيلاً لقراءته في المدارس وغيرها.

وأطول سورة في القرآن هي: البقرة، وأقصرها الكوثر.

وأطول آية في القرآن: آية الدين[٢] وأقصرها: ﴿وَالضُّحَى﴾،[٣] ثُمّ ﴿وَالْفَجْرِ﴾.[٤]

وأطول كلمة في القرآن: ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾.[٥]

الخلاصة

١. إنّ عدد المصاحف العثمانية كانت كما ذكرها ابن أبي داوود: كانت ستّة حسب الأمصار المهمّة ذوات المركزيّة الخاصّة: مكّة والكوفة والبصرة والشام والبحرين واليمن. وحبس السابعة ـ وكانت تسمّى الأمّ أو الإمام ـ بالمدينة.[٦]

٢. اتصفت المصحف العثماني بصفتين أساسيتين:

الأولى: إنّ ترتيبه ونظمه كان خاصّاً وهو قريب من الترتيب الموجود في المصحف الآن.

الثانية: خلوه من التنقيط والتشكيل، فكان على القارئ معرفة الفرق بين الأحرف وحركات آخر الكلمات.

---

١. الكهف: ١٩.

٢. البقره: ٢٨٢.

٣. الضحَى: ١.

٤. الفجر: ١.

٥. الحجر: ٢٢.

٦. *المصاحف*، السجستاني: ٣٤.

٣. أوّل من نقط المصحف هما: نصر بن عاصم ويحيى بـن يعمـر، فـي زمـن ولايـة الحجاج على العراق.

٤. إنّ أبا الأسود الدؤلي هو أول من ضبط شكل المصحف في زمن ولاية زياد بن أبيه على الكوفة.

٥. أوّل وضع الهمز والتشديد هوالخليل بن أحمد الفراهيدي.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. أضاف اليعقوبي إلى الأمصار التي أُرسل إليها المصحف العثماني:

أ) مكّة والمدينة. ب) مصر والجزيرة.

ج) سمرقند وبلاد الشام. د) أ و ب صحيح.

٢. إنّ منشأ اختلاف القراءات:

أ) تعدد القراء.

ب) قلّة المصاحف.

ج) توقّف القراءة على النقل والسماع.

د) لاشيء من ذلك.

٣. كان الخطّ الذي اقتبسه العرب من السريان والأنباط...

أ) منقطاً ومضبوط الشكل. ب) بعضه منقطاً.

ج) خالياً من التشكيل. د) خالياً من النقط.

٤. كانت العرب تقرأ القرآن:

أ) حسب ما موجد من حروف المصحف.

ب) حسب سليقتها الفطرية.

ج) على ضوء مانزل على صدر النبي.

د) بصورة خاطئة.

الدرس السادس والعشرون

الشكل والإعجام

كان الخطّ عندما اقتبسه العرب من السريان والأنباط، خالياً من النقط والإشكال، ولا تزال الخطوط السريانيّة بلا نقط إلى اليوم. ولمّا كثر التصحيف في القراءات بازدحام القطر الإسلامي بالأعاجم قام نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر تلميذا أبي الأسود الدّؤلي بتنقيط المصحف، وذلك في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق من قبل عبد الملك بن مروان (٧٥ ـ ٨٦ هـ).[١]

تطوّر الخطّ العربي ودوره في الرسم القرآني

ثُمّ وبعد أن كان القرآن محفوظاً في الصدر الأوّل كان في صدور الرّجال ومأموناً عليه من الخطأ واللّحن؛ وذلك لأنّ العرب كانت تقرؤه صحيحاً حسب سليقتها الفطرية والتي كانت محفوظة لحدّ ذاك الوقت، مضافاً إلى شدّة عنايتهم بالأخذ والتلقي عن مشايخ كانوا قريبي العهد بعصر النبوة، ولكن بعد منتصف القرن الأوّل حيث كثر بالأعاجم ـ وهم أجانب عن اللغة العربيّة ـ مسّ الحاجة إلى وضع علامات تؤمن عليهم الخطأ واللحن، من ثَمّ عزم أبو الأسود الدّؤلي على تشكيل المصحف وذلك في زمن

---

١. *دائرة المعارف القرن العشرين*: ٧٢٢/٣؛ و*مناهل العرفان*: ٣٩٩/١؛ *تاريخ القرآن*: ٦٨.

ولاية زياد بن أبيه على الكوفة (٥٠ ـ ٥٣ هـ).

قال جلال الدين السيوطي: كان الشكل في الصدر الأوّل نقطاً، فالفتحة نقطة على أوّل الحرف والضمة نقطة على آخره والكسرة تحت أوّله.[١]

وفي الأغلب يكتبونها بلون غير لون خط المصحف والأكثر يكتبونها بلون أحمر.

والظاهر أنّ تبديل النقط السود إلى نقطة ملوّنة حدث بعد وضع الإعجام للفرق بين النقطة التي هي علامة الحركة والتي هي علامة الإعجام.

وهكذا كلّما امتدّ الزمان بالناس ازدادت عنايتهم بالقرآن وتيسير رسمه من طور إلى طور حتّى إذا كانت نهاية القرن الثالث الهجري بلغ الرّسم ذروته في الجودة والحسن.

والمهمّ فإنّ الكتابة والقراءة كانت معروفة عند العرب وإن كانت بشكل بسيط، ولكن كان الخطّ الذي تكتبه وتقرؤه العرب عار عن الشكل والاعجام، ولكن بعد اختلاط العرب بغيرهم من بالأعاجم أخذت عملية اللحن في كلامهم تسري بشكل واضح، ويروي لنا التاريخ أنّ أبا الأسود الدؤلي (ت٦٩هـ) دخل على ابنته يوماً فقالت له:

يا أبت ما أشدُّ الحر (رفعت دال أشد)

فتصور أنّها تسأل عن أي زمان يشتدّ فيه الحر؟

فقال لها: شهر ناجر يعني شهر صفر حيث كانت الجاهلية تسمّى شهور السنة بهذه الأسماء.

فقالت يا أبت: إنّما أخبرتك ولم أسألك.

فجاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: ذهبت لغة العرب لما خالطت العجم فسأله عن الخبر فقص له خبر ابنته.

وهناك رواية أُخرى تقول:

إنّ أبا الأسود الدؤلي قد سمع قارئاً يقرأ القرآن وهو يقول: ﴿...أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ

١. *الاتقان*: ١٧١/٢.

﴿الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ..﴾ (بكسر اللام في رسوله، فقال أبو الأسود: عزّ وجه الله أن يبرأ من رسوله: فذهب إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فأمره أن يشتري صحفاً بدراهم وأملي عليه... وقال له أكتب: الكلام كلّه لا يخرج من اسم وفعل وحرف... ثُمّ رسم أصول النحو... وقيل لأبي الأسود الدؤلي: من أين لك هذا العلم ـ يعني النحو ـ فقال: أخذت حدوده عن علي بن أبي طالب عليه السلام.[1]

ويتّضح ممّا تقدم أنّ أوّل من نقّط القرآن، حيث وضع نقاطاً مدورة على الحروف بدل الحركات بالشكل التالي:

١. علامة الفتحة نقطة فوق الحرف.

٢. علامة الكسرة نقطة أسفل الحرف.

٣. علامة الضمة نقطة آخر الحرف أو بين أجزاء الحرف.

٤. علامة التنوين جعلها نقطتين.

ومن ثَمّ قام نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر تلميذا أبي الأسود الدؤلي بتنقيط المصحف، وذلك في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق من قبل عبد الملك بن مروان (٧٥ ـ ٨٦ هـ).[2] بعد ذلك جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٥٧هـ) حيث استبدل النقط المدورة بعلامات وهي الفتحة والكسرة والضمة والسكون.

وأمّا وضع علامات التحزيب والتجزئة فقيل:

إنّ المأمون العباسي هو الذي أمر بذلك. وقيل: إنّ الحجّاج فعل ذلك.[3]

وينتصف القرآن على الفاء من قوله تعالى: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾.[4]

---

١. *الأغاني*: ١٢ /٢٩٨ وما بعدها.

٢. *دائرة المعارف القرن العشرين*: ٣/٧٢٢؛ *مناهل العرفان*: ١/٣٩٩، *تاريخ القرآن*: ٦٨.

٣. راجع: *البرهان*، الزركشي: ١/٢٤٩ـ٢٥٢.

٤. الكهف: ١٩.

وعدد آياته ـ في قول علي عليه السلام: ٦٢١٨ آية وفي رواية: ٦٢٣٦ آية.

وقد اشتهر تحزيب القرآن وتجزءته إلى ثلاثين جزءاً تسهيلاً لقراءته في المدارس وغيرها.

وأطول سورة في القرآن هي: البقرة، وأقصرها الكوثر.

وأطول آية في القرآن: آية الدين[1] وأقصرها: ﴿وَالضُّحَى﴾،[2] ثمّ ﴿وَالْفَجْرِ﴾.[3]

وأطول كلمة في القرآن: ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾.[4]

الخلاصة

١. أوّل من نقط المصحف هما نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر، في زمن ولاية الحجاج على العراق.

٢. إنّ أبا الاسود الدؤلي هو أوّل من خلال تنقيط شكل المصحف بالدوائر في زمن ولاية زياد بن أبيه على الكوفة.

٣. كان الخط الذي تكتبه وتقرؤه العرب عار عن الشكل والإعجام، ولكن بعد اختلاط العرب بغيرهم من الأعاجم أخذت عملية اللحن تسري في كلامهم بشكل واضح، فاضطروا إلى وضع قواعد الشكل والإعجام.

٤. يحدّثنا التاريخ عن انتشار اللحن في الكلام العربي، فاضطر أبو الأسود بمساعدة الإمام علي إلى وضع علم النحو.

---

١. البقره: ٢٨٢.

٢. الضحى: ١.

٣. الفجر: ١.

٤. الحجر: ٢٢.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. لو قرأت «رسوله» في قوله تعالى: ﴿...أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ...﴾ بالكسر لأصبح معنى الآية:

أ) الله ورسوله يتبرئان من المشركين.

ب) الله يتبرأ من المشركين دون الرسول.

ج) الله يتبرأ من المشركين و من الرسول.

د) المشركون يتبرؤون من الله والرسول.

٢. اشتهر تحزيب القرآن:

أ) لتوحيد المصاحف.

ب) لتسهيل تفسيره.

ج) تسهيلاً لقراءته.

د) لاشيء من ذلك.

٣. من هو واضع علم النحو؟

الدرس السابع والعشرون

المخالفات في رسم الخطّ القرآني

قال تعالى: ﴿لَا يأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَينِ يدَيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.[1]

من الأبحاث التي عنت بها علومٍ هو رسم الخطّ القرآني وشكله، حيث إنّ الخطّ بصورة عامة وضع ليعبّر عن المعنى بنفس اللفظ الذي ينطق به، وعليه فيجب أن تكون الكتابة مطابقة للّفظ المنطوق به تماماً ليكون الخطّ مقياساً للّفظ من غير زيادة أو نقصان، غير أنّ أساليب الإنشاء والكتابة تختلف عن هذه القاعدة بكثير، ولكن لا بأس بذلك ما دامِ الاصطلاح العامّ جارياً عليه، فلا يسبّب اشتباهاً أو التباساً في المراد.

اختلاف الخطّ القرآني عن قواعد الخطّ العامة

لقد تخلف رسم الخط في المصحف الشريف حتّى عن المصطلح العامِ. ففيه كثير من الأخطاء الإملائيّة والتناقضات المتعددة في رسم الكلمات، ولو لم يكن هناك سماع وتواتر في قراءة القرآن ـ والتي لم يزل المسلمون يتوارثونها بدقّة وعناية بالغة جيلاً بعد جيل ـ لأصبح قراءة كثير من كلمات القرآن مستحيلة. ويرجع السّبب ـ كما تقدّم ـ إلى عدمِ تسلّط العرب على فنون الخطّ وأساليب الكتابة في ذلك العهد، بل لم

---

١. فصّلت: ٤٢.

يكونوا يعرفون الكتابة سوى عدد قليل منهم يجيدون الخط البدائي الرديء، كما يبدو من الخطوط الباقية من صدر الأوّل.[١] ولم يمسّوا القرآن بيد إصلاح بعد ذلك قطّ، لئلّا يقع القرآن عرضة تحريف أهل الباطل بعدئذٍ بحجّة الإصلاح.

والأخطاء الإملائية الموجودة في المصحف لاتمسّ كرامة القرآن وصيانته وذلك لوجوه:

أوّلاً: القرآن ـ في واقعه ـ هو الذي يقرأ لا الّذي يكتب، فما دامت القراءة باقية على سلامتها الأُولى لا تضرّ الكتابة، ولا شكّ أنّ المسلمين احتفظوا على نصّ القرآن بلفظه المقروء صحيحاً.

ثانياً: تخطئة الكتاب هي استنكار على الكتبة الأوائل وليست قدحاً في نفس الكتاب الّذي: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.[٢]

ثالثاً: إنّ بقاء الأخطاء على حالها ظلّت باقية، يفيد المسلمين في احتجاجهم بها على سلامة كتابهم من التحريف عبر القرون. إذ إنّ الأخطاء الإملائية لا شأن لها بذلك، وإن كان تلك الاخطاء بالإصلاح، لكنّها أُبقيت سليمة عن التغيير، تكريماً لمقام السلف فيما كتبوه، فأجدر بنصّ الكتاب العزيز أن يبقى بعيداً عن احتمال التحريف والتبديل رأساً.

نماذج من مخالفات الرّسم

١. ﴿يَأْتِيهِمْ أَنبَؤُا﴾.[٣] والصحيح: أَنبَاء.

٢. ﴿يَنْؤَنَ عَنْهُ﴾.[٤] والصحيح: يَنْأَوْنَ عَنْهُ.

٣. ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاىْءٍ﴾.[٥] والصحيح: لِشَيْءٍ.

---

١. راجع: *مقدّمة ابن خلدون*: ٤١٩ ـ ٤٣٨.

٢. فصّلت: ٤٢.

٣. الأنعام: ٥.

٤. الأنعام: ٢٦.

٥. الكهف: ٢٣.

٤. ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥ﴾.[١] والصحيح: لَأَذْبَحَنَّهُ.

٥. ﴿وَجِاْىٓءَ بِالنَّبِيِّـۧنَ﴾.[٢] والصحيح: وَجِيءَ...

التناقضات في الرسم العثماني

والشيء الأغرب وجود تناقضات في رسم المصحف، بينما الكلمة مثبتة في موضع برسم خاصّ وإذا هي بذاتها مرسومة في موضعٍ آخر بما يخالفها، وإليك نموذجاً من ذلك التناقض الغريب:

الكلمة برسمها الملحون	الكلمة برسمها الصحيح
﴿لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ﴾[٣]	﴿إِذًا لَاتَّخَذُوكَ﴾[٤]
﴿فَقَالَ الضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾[٥]	﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَآءِ﴾[٦]
﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ﴾[٧]	﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ﴾[٨]
﴿عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾[٩]	﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾[١٠]
﴿فَقَالَ الْمَلَؤُاْ﴾[١١]	﴿وَقَالَ الْمَلَأُ﴾[١٢]

---

١. النمل: ٢١.

٢. الزمر: ٦٩.

٣. الكهف: ٧٧.

٤. الإسراء: ٧٣.

٥. إبراهيم: ٢١.

٦. التوبة: ٩١.

٧. فاطر: ٤٣.

٨. الفتح: ٢٣.

٩. فاطر: ٤٠.

١٠. محمد: ١٤.

١١. المؤمنون: ٢٤.

١٢. المؤمنون: ٣٣.

الموقف من الشكل والإعجام

نتيجة لموقع القرآن في قلوب المسلمين ومكانته بينهم واجهت عملية التنقيط والشكل آراء ومواقف متعددة سنذكرها بشكل إجمالي.

أوّلاً: رفض هذه العملية حتّى لا يختلط بالقرآن ما هو ليس منه فمثلاً عبد الله بن مسعود قال:

جردوا القرآن ولا تخلطوه بشيء.[١]

بل إنّ الحسن البصري ومحمد بن سيرين قالا بكراهة النقط في القرآن، وكذلك مالك لم يجوّز النقط في المصاحف التي تقرأ وجوّز ذلك في المصاحف التي معدة للتعليم.[٢]

ثانياً: قال آخرون: إنّ الحفاظ على القرآن من اللحن أهمّ من مسألة التنقيط في القرآن خصوصاً وأنّها لا تمس القرآن بشيء، يقول الجرجاني (ت٤٠٣هـ):

وأمّا النقط فيجوز؛ لأنّه ليس له صورة فيتوهم لأجلها ما ليس بقرآن قرآناً وإنّما هي دلالات على هيئة المقروء فلا يضر إثباتها لمن يحتاج إليها.[٣]

ثالثاً: ذهب آخرون إلى أبعد من ذلك وقالوا: باستحباب التنقيط قال النووي (٦٧٦هـ)

نقط المصحف وشكله مستحب؛ لأنّه صيانة له من اللحن والتحريف.[٤]

الموقف من التشكيل و الإعجام
- رفض هذه العملية
  - القول بالكراهة
  - يجوز فيما يقرأ ولا يجوز فيما يكون للتعليم
- القول بجوازها
- القول باستحبابها

---

١. مجمع *الزوائد*: ١٥٨/٧.

٢. *الإتقان*: ٢٩١/١.

٣. *الإتقان*: ٢٩١/١.

٤. المصدر.

الخلاصة

١. إنّ أساليب الإنشاء والكتابة قد تختلف القاعدة القاضية بضرورة مطابقة المنطوق للمكتوب، ولكن يبدو أنّ أهل الفن وافقوا بذلك في بعض الأحيان ما دام الاصطلاح العامّ جارياً عليه، ولم يسبّب اشتباهاً أو التباساً في المراد.

٢. ذكروا عدّة وجوه لتبرير الأخطاء الإملائية في المصحف:

أوّلاً: القرآن ـ في الواقع ـ يقرأ ولايكتب فما دامت القراءة محفوظة فلاضير في ذلك.

ثانياً: إنّ الإنكار واقع على الكتبة الأوائل وليس على النصّ القرآني؛ لأنّه محفوظ بنصّ الكلام الالهي.

ثالثاً: إنّ غض الطرف عن الأخطاء الإملائية تكريماً للكتبة الأوائل، وينفع أيضاً في تأييد صيانة القرآن من التحريف.

٣. هناك ثلاث مواقف من عملية التنقيط والإعجام وهي: رفض هذه العملية، والقول بجوازها، والقول باستحبابها.

أسئلة الدرس

١. صحح مايلي:

أ) ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُ﴾.

ب) ﴿وَجِاْىٓءَ بِالنَّبِيِّينَ﴾.

٢. اذكر الرسم الصحيح لقول تعالى:

أ) ﴿فَقَالَ المَلؤُا﴾.

ب) ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ﴾.

٣. اختر الإجابة الصحيحة:

١. الذي رفض علمية التشكيل والإعجام هو....

أ) مالك ب) النووي

ج) الجرجاني د) ابن مسعود

٢. من القائل: نقط المصحف وشكله مستحب؛ لأنّه صيانة له من اللحن والتحريف:

أ) ابن سيرين ب) أبو الحسن البصري

ج) النووي د) لا أحد من هؤلاء.

الدرس الثامن والعشرون

الإناقة والتجويد

لم يزل القرآن ـ منذ الصدر الأوّل ـ في طور التجويد والتحسين، لا سيّما في ناحية كتابته وتجميل خطّه من جميل إلى أجمل. وقد أسهم الخطّاطون الكبار في تجويد خطّ المصاحف وتحسين كتابتها. وأوّل من تنوّق في كتابة المصحف وتجويد خطّها، هو خالد بن أبي الهياج ـ صاحب أمير المؤمنين علي‏ـ (م ح ۱۰۰ ه) وكان مشهوراً بجمال خطّه وكمال ذوقه. ويقال: إنّ سعداً ـ مولى الوليد وحاجبه ـ اختاره لكتابة المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك (۸٦ ـ ۹٦ه) فكان هو الذي خطّ قبلة المسجد النبويّ بالمدينة بالذهب من سورة الشمس إلى آخر القرآن.[1]

أنواع الخطوط التي دوّن بها المصحف الشريف

لقد تعددت الخطوط التي كتب بها القرآن الكريم، فكان الخطّاطون يكتبون المصاحف بالخطّ الكوفي حتّى أواخر القرن الثالث ثُمّ حلّ محلّه خط النسخ الجميل في أوائل القرن الرابع على يد الخطّاط الشهير محمد بن علي بن الحسين بن مُقْلَة (۲۷۲ـ۳۲۸ه). وقد بلغ الخطّ العربي ذروته في الجودة والحسن في القرن السابع على

---

١. *تاريخ اليعقوبي*: ٣٠/٣و٣٦.

يد الخطّاط المستعصمي ياقوت بن عبد الله الموصليّ (٦٨٩م).

وهكذا صارت المصاحف تكتب على أُسلوب خطّ ياقوت حتّى القرن الحادي عشر، ومنذ مفتتح القرن الثاني عشر اهتمّ الأتراك العثمانيّون بالخطّ العربي الإسلامي، فجعل الخطّ العربي يتطوّر على أيدي الخطّاطين الفرس الّذين استخدمهم العثمانيُّون في امبراطوريّتهم. وقد نقل السلطان سليم جميع الخطّاطين إلى عاصمته، وأضافوا للخطّ العربيّ أنواعاً جديدة لا زالت تستعمل في الكتابات الدارجة كالخطّ الرقعي والخطّ الديواني والخطّ الطغرائي والخطّ الإسلامبولي وغيرها.

أمّا طباعة المصحف الشريف فقد مرّت ـ ككتابته خطاً ـ بأطوار التجويد والتحسين، وأوّل دولة إسلاميّة قامت بطبع القرآن، هي إيران.[١] طبعت طبعتين حجريّتين ومنقّحتين في حجم كبير مع ترجمة موضوعة تحت كلّ سطر من القرآن ومفهرستين بعدّة فهارس. إحداهما كانت في طهران سنة١٢٣٤هـ والأُخرى في تبريز سنة١٢٤٨هـ

الخلاصة

١. أوّل من كتب القرآن هو خالد بن أبي الهياج ـ صاحب أمير المؤمنين عليﷺ، وكان مشهوراً بجمال خطّه وكمال ذوقه.

٢. لقد كتب القرآن بخطوط عديدة منها الخط الكوفي والنسخ، وقد بلغ ذروة حسنه وجماله على يد الخطاط ياقوت بن عبد الله الموصلي.

٣. وقد تطوّر الخطّ العربي أيضا على أيدي الخطّاطين الفرس الّذين استخدمهم العثمانيُّون في امبراطوريّتهم.

٤. أوّل دولة طبعت القرآن هي إيران، حيث قام بطباعته مرّتين: الأولى في طهران، والثانية في تبريز.

---

١. *مباحث في علوم القرآن*: ٩٩.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. لقد كان الخطاط المشهور بخطِّ النسخ هو:

أ) ياقوت بن عبد الله الموصليّ
ب) خالد بن أبي الهياج
ج) محمد بن علي بن الحسين بن مُقْلَة
د) سعد مولى الوليد

٢. الذي قام بنقل الخطاطين إلى عاصمته هو...

أ) السلطان سليم
ب) الوليد بن عبد الملك
ج) الحجاج الثقفي
د) لا أحد منهم

الدرس التاسع والعشرون

نشوء القراءات وتطوّرها

ذكرنا سابقاً أنّ الجماعة الّذين انتبدهم عثمان لمسألة توحيد المصاحف، لم يكونوا أكفاء لهذا الأمر الخطير، ومن ثَمّ وقعت في نفس تلك المصاحف أخطاء إملائية وحصل فيها وبعض الاختلاف والتناقض، الأمر الذي أعاد على المسلمين اختلافهم في قراءة القرآن، ورغم ماقامٍ به عثمان من إرسال مقرئ مع كلّ مصحف ليقرأه على الناس على ضوء الثبت الموحّد في تلك المصاحف، على اعتبار أنّها كانت موحّدة، إلّا أنّه لم يمنع من حصول محذور الاختلاف واللحن في آيات القرآن نظراً لوجود الاختلاف في ثبت تلك المصاحف، مضافاً إلى عوامل أُخرى ساعدت على هذا الاختلاف.[1]

عوامل نشوء الاختلاف

لا شكّ في أنّ اختلاف مصاحف الأمصار كان أهمّ عوامل نشوء الاختلاف في القراءة؛ لانّ اختلاف قراءة الأمصار كان قبل اختلاف القرّاء، فكانوا يقولون: قراءة مكّة، قراءة الشام، قراءة المدينة، قراءة الكوفة، قراءة البصرة، وهكذا.

---

١. راجع: *تهذيب الأسماء*، النووي: ١/٢٥٧.

إلى جانب ذلك كانت هناك عوامل أُخرى ساعدت على هذا الاختلاف نذكر منها ما يلي:

١. **بداءة الخطّ**: كان الخطّ عند العرب في ذلك الزمان في مرحلة بدائيّة، ومن ثَمّ لم تستحكم أُصوله ولم تتعرّف العرب إلى فنونه والإتقان من رسمه وكتابته الصحيحة، وكثيراً ما كانت الكلمة تكتب على غير قياس النطق بها. كانوا يكتبون الكلمة وفيها تشابه، فالنون الأخيرة كانت تكتب بشكل لا يفترق عن الراء وكذا الواو عن الياء، كما كانوا يفكّكون بين حروف كلمة واحدة فيكتبون الياء منفصلة عنها كما في «يَسْتَحْيِ ي» أو يحذفونها رأساً كما في «إيلافهم» كتبوها «إلافهم» بلا ياء. الأمر الذي أشكل على بعض القرّاء فاختلفت القراءات؛ ولذلك قرأ بعضهم: «لِيْلاف قريش» بحذف الهمزة وإثبات الياء. و«إلافهم رحْلةَ الشّتاء والصَّيف» بإثبات الهمزة وحذف الياء. وقرأ بعضهم: «أَلْفهم» بالهمزة وسكون اللام.

٢. **الخلوّ عن النقط**: كان الحرف المعجم يكتب كالحرف المهمل بلا نقط فلا يفرّق بين السين والشين في الكتاب ولا بين العين والغين أو الراء والزاي و... فكان على القارئ نفسه أن يميّز بحسب القرائن الموجودة أنّها باء أو ياء...

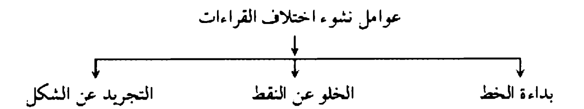
من ذلك قراءة ابن عامر وحفص: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم﴾[1] وقرأ الباقون: ﴿نُكَفِّرُ﴾.

٣. **التجريد عن الشكل**: كانت الكلمة تكتب عارية عن علامات الحركات القياسيّة في وزنها وفي إعرابها وربّما يحتار القارئ في وزن الكلمة وفي حركتها فيما إذا كانت الكلمة محتملة لوجوه، مثلاً: لم يكن يدرى «اعلم» فعل أمر أو فعل مضارع للمتكلم. قرأ حمزة والكسائي: ﴿قالَ اعْلَمْ أنّ الله على كلّ شيءٍ قديرٌ﴾[2] بصيغة الأمر، وقرأ الباقون بصيغة المتكلّم.

---

١. البقرة: ٢٧١.

٢. البقرة: ٢٥٩.



الخلاصة

١. رغم ما قام به عثمان من إرسال مقرئين مع كلّ مصحف إلّا أنّ ذلك لم يمنع من وقوع الاختلاف في القرآن؛ لأنّه في نفس المصحف الموحد لحن وتفاوت.

٢. إنّ الاختلاف في مصاحف الأمصار هو السبب الرئيسي الذي كان وراء اختلاف القراءات، حتّى تعددت القراءات بتعدد الأمصار، فيقال: قراءة المدينة وقراءة الشام وقراءة البصرة... .

٣. من الأسباب الأُخرى التي أدّت إلى حدوث الاختلاف بين قراءة وأخرى، هي: بداءة الخطّ و أساليب الكتابة، و خلو النصّ القرآني من التنقيط، وتجرده عن الشكل.

أسئلة الدرس

١. ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة

أ) قرأ حمزة والكسائي: ﴿قَالَ اعْلَمْ أنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ﴾ بصيغة الأمر وقرأ الباقون بصيغة المتكلّم( ).

ب) قرأ حمزة والكسائي: ﴿قالَ اعْلَمْ أنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ﴾ بصيغة المتكلم، وقرأ الباقون بصيغة الأمر( ).

٢. اختر الإجابة الصحيحة

السبب الأساسي في نشوء تعدد القراءات:

أ) بداءة الخط. ب) التجرد عن الشكل.

ج) تجرد النصّ عن النقط. د) اختلاف مصاحف الأمصار.

الدرس الثلاثون

أسباب أُخرى في تعدد القراءات

بيّنا في الدرس السابق ظاهرة نشوء الاختلاف في القراءات وتعددها، ولأهمّية هذا البحث أفرد المتعرضون للدراسات القرآنية مباحث عديدة من أجل معالجة هذه الظاهرة أو التسليم بها كلون من ألوان عذوبة النصّ القرآني وطراوته، وكيف كان رأيهم فإنّ هناك مجموعة من الأسباب والدوافع التي كانت وراء ظهور هذا التفاوت ذكرنا ثلاثة منها وإليك باقي الأسباب:

٤. **إسقاط الألفات**: كان الخطّ العربيّ الكوفيّ منحدراً عن خطّ السريان وكانوا لايكتبون الألفات الممدودة في ثنايا الكلم، وقد كتبوا القرآن بالخطّ الكوفي على نفس المنهج. الأمر الذي أوقع الاشتباه في كثير من الكلمات. قرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير: ﴿وما يُخادِعُونَ إلاّ أَنْفُسَهُم﴾،[1] نظراً إلى أنّ يخادعون في صدر الآية قد كتب بلا ألف فزعموهما من باب واحد.

أضف إلى ذلك بعض الزيادات المخلّة بالمقصود إذا لم يكن القارئ عارفاً بأصل النصّ من سماع خارج، كما في قوله تعالى: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُ﴾.[2] فزادوا

---

١. البقرة: ٩.

٢. النمل: ٢١.

ألفاً أثناء كلمة واحدة فربّما يحسب القارئ الجاهل بالواقع أنّها لا النافية في حين أنّها لام تأكيد والهمزة حرف المتكلّم والألف زائدة.

٥. **تأثير اللهجة:** لا شكّ أنّ كلّ أمّة ـ وإن كانت ذات لغة واحدة ـ فإنّ لهجاتها تختلف حسب تعدّد القبائل المتشعبة. وهكذا كانت القبائل العربيّة تختلف مع بعضها في اللهجة وفي التعبير والأداء. من ذلك اختلافهم في الحركات، مثل «نستعين» ـ بفتح النون وكسرها ـ قال الفرّاء:

> هي مفتوحة في لغة قيس وأسد. وغيرهم يقولونها بكسر النون.[١]

واختلافهم في الحركة والسكون، مثل قولهم: «معكم» بفتح العين وسكونها. واختلافهم في الإعراب نحو «ما» النافية، فإنّها غير عاملة عند تميم وعاملة عمل ليس عند الحجازيين. وغير ذلك من موارد الاختلاف.

٦. **تحكيم الرأي والاجتهاد:** هذا أكبر العوامل تأثيراً في اختيارات القرّاء، كان لكلّ قارئ رأي يعتمده في القراءة التي يختارها وكانوا ـ أحياناً ـ مستبدّين بآرائهم ولو خالفهم الجمهور أو أهل التحقيق. قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾[٢] بالتنوين والرفع. وقرأ الباقون بالفتح من غير تنوين. قال مكّي:

> وجه القراءة الأولى: إنّ «لا» بمعنى «ليس» والخبر محذوف. ووجه الثانية: أنّ «لا» نفي للجنس دلالة على النفي العامّ؛ لأنّ التي بمعنى ليس لا تنفي إلاّ واحدة والمقصود في الآية العموم.[٣]

٧. **غلوّ في الأدب:** من العوامل التي كانت تبعث على اختيار قراءة ـ ولو كانت شاذّة خارجة على المشهور أو مخالفة لرسم الخطّ ـ هو غلّو القارئ فيما اختصّ به من الأدب العربي معجباً بنفسه فيزعم الصحيح فيما رآه، وفقاً للقواعد العربية التي تسلّمها كلّيات لا

---

١. راجع: *كتاب سيبويه*: ٢٥٧/٢.

٢. البقرة: ١٩٧.

٣. *الكشف عن وجوه القراءات السبع*: ٢٨٥/١ ـ ٢٨٦.

ينخر من بوجه. من ذلك ما نجده في أبي بكر العطار المقرئ النحوي (٢٦٥ ـ ٣٥٥). كان أعلم دهره بالنحو والقراءة ومن ثَمّ لم يكن يتوجّه بالمأثور من القراءات وكان يختار لنفسه قراءة يراها صحيحة ومناسبة في سياق معنى الآية ففي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾.[١] قرأ «نَجباً»[٢] جمع «نجيب». فكان مآل أمره أن ثارت عليه ضجّة الفقهاء وحاكمه الأمير، فلم يستطع الدّفاع فأراد ضربه لكنّه استسلم أخيراً فاستتيب.[٣]

٨. الشذوذ النفسي: وهو ما يرجع إلى علل روحيّة، يروم أصحابها الاشتهار بمخالفة المشهور، أو عُقَد نفسيّة تنفجر في وجه الأعراف التقليديّة، فتتمثل في قالب الاختيارات الشاذّة، كما ذكرنا في أبي بكر العطّار.

٩. عوامل أُخرى: زعموها ذات صلة بتكييف قراءة القرآن أو اختيار قراءة غير قراءة الآخرين:

أ) زعم خطأ النسخة: زعم بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾[٤] أنّها كانت «وَوَصّى رَبُّكَ» فاستمدّ الكاتب مداداً كثيراً فالتزقت الواو بالصّاد.[٥]

ب) تخليط التفسير بالنصّ: كأكثر القراءات المنسوبة إلى ابن مسعود وأُبيّ بن كعب وغيرهما، ممّا فيها زيادة ـ تفسيريّة ـ نحو قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً [فاختلفوا] فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾.[٦] هذه الزيادة ترفع إبهاماً عن الآية: هل كانت بعثة الأنبياء سبباً للاختلاف أم كان العكس؟ وذيل الآية يعيّن هذا الأخير. وجاءت الزّيادة توضّح هذا

١. يوسف: ٨٠.
٢. *إعجاز القرآن*، الرافعي: ٥٧.
٣. *النشر*: ١/ ١٧.
٤. الإسراء: ٢٣.
٥. *الإتقان*: ١/ ١٨٠؛ *الدر المنثور*: ٧/ ١٧٠.
٦. البقرة: ٢١٣.

الجانب أكثر وربّما جاء متأخّر فزعمها قراءة خاصّة.

ج) أهداف سياسيّة: قرأ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ـ بالرّفع ـ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾[١] ـ بإسقاط الواو ـ كان يعتقد اختصاص المهاجرين بالسابقيّة، وأنّ فضل الأنصار في متابعتهم، وبذلك صرّح لمن أنكر عليه قراءته هذه.[٢]

د) نظرات كلاميّة: قرأ بعض المعتزلة: ﴿...وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[٣] بنصب لفظ الجلالة،[٤] زاعماً أنّه تعالى لا يتكلّم على حقيقته.

هـ) عدم معرفة القارئ بقواعد اللّغة والأدب: فربّما يلحن في قراءة القرآن ويعدّ ذلك قراءة، نظراً لموقعه الاجتماعي المعروف، كقراءات منسوبة إلى أبي حنيفة ـ وهو مشهور باللّحن في كلامه ـ يحكي عنه: أنّه قرأ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ ـ بالرّفع ـ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ﴾ ـ بالنصب ـ.[٥] وتنسب إلى عمر بن عبد العزيز ـ أيضاً ـ.[٦] وربّما توجّه بأنّ معنى الخشية ـ في هذه القراءة ـ هو التعظيم والتكريم. وهي محاولة لتوجيه قراءة شاذّة.[٧]

والقراءات من هذا القبيل ساقطة رأساً. والمراد من القراءة في موضوع بحثنا هي التي تبتني على اجتهاد صاحبها، ولو عن خطأ في استنباطه يراه صحيحاً في نظره.

الخلاصة

الأسباب الأخرى التي ذكرت لتعدد القراءات هي:

---

١. التوبة: ١٠٠.

٢. راجع: *تفسير الطبري*: ٧/١١

٣. النساء: ١٦٤.

٤. *الإشارات*، القسطلاني: ٦٦/١.

٥. فاطر: ٢٨.

٦. راجع: *تفسير القرطبي*: ٣٤٤/١٤.

٧. راجع: *البرهان*: ٣٤١/١.

أ) إسقاط الألفات.

ب) تأثّر اللهجة.

ج) تحكيم الرأي والاجتهاد.

د) غلوّ في الأدب.

هـ) الشذوذ النفسي.

و) زعم خطأ النسخة.

ز) تخليط التفسير بالنصّ.

ح) أهداف سياسيّة.

ط) نظرات كلاميّة.

ي) عدم معرفة القارئ بقواعد اللّغة والأدب.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. الخط الذي كان يسقط الألفات هو:

أ) الخطّ الديواني ب) خطّ النسخ

ج) الخطّ الكوفي د) خطّ ياقوت

٢. إنّ أكبر العوامل المؤثّرة في اختيارات القرّاء هو:

أ) تحكيم الرأي والاجتهاد ب) غلوّ في الأدب

ج) الشذوذ النفسي د) زعم خطأ النسخة

٣. كان أبو بكر العطار المقرئ النحوي يتّصف بـ:

أ) كثرة الاجتهاد ب) بالعجب والغلو في الأدب

ج) عدم معرفته بقواعد الأدب د) اللحن في التلاوة

٤. يرجع الاختلاف بين ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾ و «ووصى ربك» إلى:

أ) اختلاف مصاحف الأمصار ب) تلوين المصاحف

ج) زعم اختلاف النسخ د) فقدان التشكيل

٥. يشير قوله تعالى: ﴿...وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ بنصب لفظ الجلالة إلى:

أ) أهداف سياسية ب) رؤية كلامية

ج) موضوع يخصّ النطق د) لاشيء من ذلك

الدرس الحادي والثلاثون

ضوابط قبول القراءة

اتّضح للطلاب الأعزاء ما مرّ به النص القرآني من أدوار ومراحل عديدة سواء من ناحية الرسم القرآني ونوع الخط الذي دون به وكيفية القراءة التي قرأ بها، وبما أنّ هذه القراءات مختلفة ومتغيرة لها ارتباط وثيق بنفس الأسماع لكلمات الله سبحانه وتعالى، حاول المهتمين بالدراسات القرآنية أن يضعوا مجموعة الضوابط والشروط لتلك القراءات وهذا الدرس وما بعده يتكفّل بهذه المهمّة.

شروط قبول القراءة

ذكر أئمّة الفنّ لقبول القراءة شروطاً ثلاثة: صحّة السند، وموافقة الرسم، واستقامة وجهها في العربية.

وإذا فقد أحد هذه الشروط تصبح القراءة شاذّة، لا تصحّ القراءة بها، لا في صلاة ولا في غيرها وتسقط عن اعتبارها قرآناً رأساً، سواء كانت من السبعة أم من غيرهم.

ونحن إذ كنّا نعتبر القرآن ذا حقيقة ثابتة، مستقلاً بذاته، متغايراً عن القراءات جملة، فإنّ مسألة «اختيار القراءة الصحيحة» عندنا منحلّة. والقراءة الصحيحة: هي التي تتوافق مع النصّ المتواتر بين المسلمين، منذ الصدر الأوّل إلى الآن.

هذا ولم يكن اختلاف القراءات سوى الاختلاف في كيفيّة التعبير عن هذا النّص المحفوظ كاملاً على يد الأمّة عبر الأجيال. وهكذا تعاهد المسلمون نصّ القرآن أمّة عن أمّة، نقلاً متواتراً في جميع خصوصيّاته الموجودة، نظماً وترتيباً، ورسماً وقراءة، بكلّ أمانة وإخلاص عبر العصور، معجزة قرآنية خالدة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾،[1] أي: على يد هذه الأمّة مع الأبدية.

وتوضيح ذلك يتوقّف على تمهيد مقدّمة نستوضح فيها مسألة «تواتر النصّ القرآني» ثمّ التعريج إلى مسألة «اختيار القراءة الصحيحة» نظراً للعلاقة القريبة بين المسألتين في هذا البحث، وإليك بإيجاز:

تواتر القرآن

ممّا يبعث على اعتزاز هذه الأمّة، هو تحفّظهم على كتاب الله نصّاً واحداً ـ كما أنزل على النبيّ ﷺ ـ على طول التاريخ المسلمين ـ على اختلاف آرائهم ومذاهبهم ـ اتّفقوا، منذ الصدر الأوّل ـ عهد الصحابة الأوّلين ـ إلى العصر الحاضر على نصّ القرآن الأصيل، في جميع حروفه وكلماته ونظمه وترتيبه وقراءته. تلقّوه من الرسول الأعظم ﷺ وتوارثوه يداً بيد. وما نقرؤه اليوم هو الذي كان يقرؤه المسلمون في العهد الأوّل. حدّث محمّد بن سيرين (١١٠م) عن عبيدة السلماني (٧٣م) قال:

> القراءة الّتي عرضت على النبيّ ﷺ في العام الذي قبض فيه، هي القراءة التي يقرؤها الناس اليوم.[2]

ومن راجع الروايات يشهد بوضوح أنّها تجعل المعيار لمعرفة القراءة الصحيحة هو «قراءة الناس»، وتجعل غيرها شاذّة لا تجوز قراءته بتاتاً أو يضرب عنق قارئها ـ كما هو

---

١. الحجر: ٩.

٢. الإتقان: ١/٥٠.

التعبير في بعضها ـ وليس لسوى أنّه خارج عن قراءة الناس.[1]

ويدلّ ـ أيضاً على تواتر النصّ الموجود ـ من غير أن يؤثّر عليه شيء من اختلاف القراءات ـ تلك المخالفات في رسم الخطّ وربّما كتبت وفق قراءة العامّة وتثبت رغم تقلّبات الدّهور ومرّ العصور، من ذلك قوله تعالى: ﴿لَمْ يتَسَنَّهْ﴾،[2] الهاء زائدة للوقف. كتبت وقرئت هكذا منذ العهد الأوّل وثبتت مرّ الدّهور، قال عبد الله بن هاني البريزي ـ مولى عثمان ـ:

> كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف، فأرسلني بكتف شاة إلى أُبي بن كعب فيها: «لَمْ يَتَسَنَّ». وفيها «لا تَبْدِيْلَ لِلْخَلْقِ الله». وفيها «فأمْهِل الكافرينَ». فدعا بدواة فمحا اللامين وكتب «لِخَلْقِ الله». ومحا «فأمْهِلْ» وكتب «فمَهِّلْ». وكتب «لَمْ يَتَسَنَّه» فألحق الهاء».[3]

ولولا أنّه السماع من رسول الله ﷺ لم يكتبها أُبي بالهاء، كما أنّ اختلاف القرّاء فيما بعد وتطّور الكتابة والخطّ كليهما لم يؤثّر على تغيير الكلمة عمّا كتبها الأوائل وقرأها السلف، ومن ورائهم عامّة المسلمين عبر الأجيال.

وأيضاً فإنّ قضية تشكيل المصحف على يد أبي الأسود، وتنقيطه على يد تلميذيه نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر دليل على أنّ القرآن كان ذا حقيقة ثابتة في صدور المسلمين فجاء تقييدها في المصحف على يد زعماء الأُمّة خشية تحريف من لا عهد له بالقرآن. والمصاحف المرسومة وفق المصطلح الأوّل باقية لا تختلف عن النصّ الموجود.

كما أنّ المخالفات التي جرت على ألسن بعض السلف، وقعت موضع إنكار العامّة وعرفت منذ العهد الأوّل أنّها غير نصّ الوحي، كقراءة أبي بكر لما احتضر: «وجاءت

---

١. راجع: *المرشد الوجيز*: ١٨٠ ـ ١٨١؛ *مناهل العرفان*: ٤٥٢/١.

٢. البقرة: ٢٥٩.

٣. *الإتقان*: ١٨٣/١.

سكرةُ الحَقِّ بالموتِ».[١] وأرباب التاريخ ـ المفسرون والمحدّثون ـ رموا ـ منذ ذلك العهد ـ هذه القراءة بالشذوذ المخالف للرسم.[٢]

فلولا أنّ للقرآن حقيقة ثابتة معهودة عند الجميع لما كان لهذا الغوغاء سبب واضح.

وعليه فالملاك في تعيين القراءة هو:

موافقتها مع النصّ الأصل المحفوظ لدى عامّة المسلمين بشروط نذكر بعضها الآن.

ملاك صحّة القراءة

موافقة القراءة مع النصّ الأصل تتحقّق إذا توفّرت فيها الشروط التالية:

أوّلاً: موافقتها مع الثبت المعروف بين عامّة المسلمين، في مادة الكلمة وصورتها وموضعها من النظم القائم، حسب تعاهد المسلمين خلفاً عن سلف. ففي مثل قوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾[٣] من التبيّن و«فَتَثَبَّتُوا» من التثبّت،[٤] لا شكّ أنّ الصحيح هو إحدى القراءتين والأُخرى باطلة؛ لأنّ المصحف أوّل ما شكّل ونقّط كان تشكيله وتنقيطه على أحد الأمرين وهو الذي كان معروفاً ومتعاهداً بين عامّة المسلمين، ولم يكن أبو الأسود ولا تلميذاه متردّدين في وضع العلامات المذكورة، وثبت الكلمات والحروف وفق مرتكزهم العامّ، كما تلقّوها يداً بيد من غير ترديد أصلاً. وإنّما الاختلاف جاء من قبل اجتهاد القرّاء المتأخّرين، شيئاً خارجاً عن النصّ الأصل المعروف عند عامّة الناس. ومن ثَمّ فلمّا سأل فضيل بن يسار، الإمام الصادق عليه السلام عن حديث: «نزل القرآن على سبعة أحرف» قال:

«كذبوا ـ أعداء الله ـ ولكنّه نزل على حرف واحد».

---

١. راجع: *تفسير القرطبي*: ١٢/١٧ ـ ١٣. في أشهر الروايتين.

٢. راجع: *البرهان*: ١/٣٣٥.

٣. الحجرات: ٦.

٤. قرأ حمزة والكسائي بالثاء وقرأ الباقون بالباء. *الكشف عن وجوه القراءات السبع*: ١/٣٩٤.

ثُمّ لتعيين هذا الحرف الواحد جعل الإمام ﷺ المقياس معهود عامّة المسلمين، قال: «اقْرَأ كما يَقْرأُ الناسُ». وفي رواية أُخرى: «اقْرَأُوا كَما عُلِّمْتُم».[1] فجعل المقياس «كما يَقْرَأُ الناسُ» أي: عامّة المسلمين، ولم يعتبر من قراءة القراء شيئاً، والرواية الأخرى أصرح، «كما عُلِّمْتُمْ» أي: تعاهدتموه جيلاً عن جيل وأُمّة عن أُمّة لا قراءة أفرادهم آحاد. فالصحيح من القراءتين هي «فَتَبَيَّنوا»؛ لأنّ ثبت المصحف قديماً وحديثاً والذي تعاهدته الأمّة هو بالباء والقراءة الأخرى ساقطة عندنا وغير جائزة إطلاقاً.

وفي مثل قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾[2] ـ ثلاثياً بمعنى انقطاع الدم، أو «يَطَّهَّرْنَ» مزيداً فيه من باب التفعّل على معنى التطهّر بالماء[3] ـ نرجّح التخفيف؛ لأنّ شرط جواز إتيانهنّ بلا كراهة أمران: انقطاع الدم والاغتسال. وأمّا على قراءة التشديد فيبقى أمر انقطاع الدم مسكوتاً عنه.

وفي مثل قوله تعالى: ﴿وَجَاءتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالحَقِّ﴾،[4] الذي قرأه أبو بكر: «وجاءت سكرةُ الحقِّ بالموت». نرجّح الأُولى لأنّها مشهورة والأُخرى باطلة، لمخالفتها الرسم والمتعاهد بين عامّة المسلمين جميعاً.

الخلاصة

١. ذكر العلماء ضوابط ثلاثة لقبول القراءة: صحّة السند، وموافقة الرسم، واستقامة وجهها في العربية، وإذا فقد أحد هذه الشروط تكون القراءة شاذة.

---

١. راجع: *وسائل الشيعة*: ٨٢١/٤ ـ ٨٢٢.

٢. البقرة: ٢٢٢.

٣. قرأ الحرميّان وأبو عمرو وابن عامر وحفص مضموم الهاء مخفّفاً. وقرأ الباقون بفتح الهاء مشدّداً. *الكشف عن وجوه القراءات السبع*: ٢٩٤/١.

٤. ق: ١٩.

٢. مايدلّ على تواتر النصّ القرآني أُمور:

أ) اتفاق المسلمين وتظافرهم على نقله واهتمامهم الكبير به.

ب) المخالفات في رسم الخط القرآني.

ج) تشكيل المصحف وتنقيطه.

٣. إنّ المخالفات التي جرت على ألسن بعض السلف، وقعت موضع إنكار العامّة وعرفت منذ العهد الأوّل أنّها غير نصّ الوحي.

٤. الملاك في صحّة القراءة هو: موافقتها مع النصّ الأصل المحفوظ لدى عامّة المسلمين بشروط أحدها أن يتفق مع الثبت الموجود لدى المسلمين.

٥. اقرأ كما يقرأ الناس شعار رفعه الإمام الصادق لتصحيح القراءة، وجعل ماهو المعروف لدى الناس من قراءة هو المعيار.

أسئلة الدرس

١. ضع علامة (✓) أمامَ العبارة الصحيحة:

أ) القراءة الصحيحة هي التي تتوافق مع النصّ المتواتر بين المسلمين، منذ الصدر الأوّل إلى الآن( )

ب) القراءة الصحيحة هي التي تتوافق مع القواعد التي اوردها القراء الاوائل( )

٢. اختر الإجابة الصحيحة

١. قراءة أبي بكر: «وجاءت سكرةُ الحَقِّ بالموت»

أ) قراءة صحيحة. ب) اعترف بها بعض الصحابة.

ج) كان يقرؤها في زمن الرسول. د) شاذة.

٢. أرجع الإمامُ الصادق فضيل بن يسار في تصحيح القراءة إلى:

أ) قراءة الناس. ب) أ و ج صحيح.

ج) قراءة أُبي بن كعب. د) لم يرجعه إلى أحد.

٣. الصحيح قراءة ﴿فَتَبَيَّنوا﴾؛

أ) لأنّ الرسول هكذا قرأها.

ب) لموافقتها مع ما وضعه الكتبة الأوائل.

ج) أ و ب صحيحة.

د) لأنّها موافقة لثبت المصحف.

الدرس الثاني والثلاثون

تتمة الشروط الخاصّة بتوافق القراءة مع الثبت

كنّا قد تعرّضنا في الدرس السابق لبحث القراءة الصحيحة وتواترها، وقلنا: إنّ هناك شروطاً وضوابط لمعرفة القراءة الصحيحة، وذكرنا أنّ القراءة الصحيحة حتّى تكون كذلك فلا بد تتفق مع النصّ القرآني والثبت الأصل، وهو يتحقّق بعدّة أُمور ذكرنا في الدرس الماضي واحداً منها، وفي هذا الدرس سنحاول إكمال ما تبقى منها.

تتمة الشروط

ثانياً: موافقتها مع الأفصح في اللّغة والأفشى في العربية ويعرف ذلك بالمقارنة مع القواعد الثابتة يقيناً من لغة العرب الفصحى، والدليل على ذلك هو أنّ القرآن نزل على أعلى درجة من البلاغة، ويستحيل أن يستعمل كلمة يمجّها الذوق العربي السليم، أو يخالف قياساً تسلّمته العرب الفصحى عادة طبيعيّة متعارفة. فقراءة الحسن: «وما تَنَزّلَتْ به الشَّياطُونَ» غلط بلا ريب.[1] توهّم أنّ الشيطانَ يجمع بالواو والنون.

ثالثاً: ألّا يعارضها دليل قطعيّ، سواء كان برهاناً عقليّاً أم سنّة متواترة أم رواية

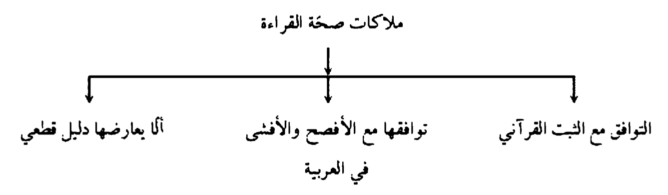
---

١. راجع: *البحر المحيط*: ٤٦/٧، *الكشّاف*: ١٢٩/٣، *القراءات الشاذّة*: ١٠٨. قال أبو حاتم: «هي غلط منه أو عليه». وقال النحاس: «هو غلط عند جميع النحويين».

صحيحة الإسناد مقبولة عند الأئمّة. فمثل «أرجلكم» ـ بالخفض ـ وإنْ قرأ بها بعض كبار القرّاء لكنّها مرفوضة حيث كانت معارضة للدليل الأقوى، كما رفضها جمهور المسلمين، وكانت علامة الثبت الأولى والّتي كان عليها ثبت المصاحف هي علامة النصب. أمّا الدليل الأقوى الذي يرجّح النصب على الخفض، فهو اعتبار الاستيعاب ـ طولاً ـ في مسح الأرجل، نظراً لذكر الحدّ ـ بدءاً ومنتهىً ـ في الآية الكريمة «من رؤوس أصابع الأقدام إلى الكعبين».

ولتوضيح هذا الجانب ـ من المسألة الفقهيّة المستنبطة من الآية الكريمة ـ لا بدّ من تمهيد مقدّمة هي: إنّ مادّة «مسح» يتعدّى بنفسه إلى المفعول به، ولا يحتاج في تعديته إلى إضافة حرف في مدخوله لكن زيادة الباء في هذا الموضع من الآية كانت لنكتة، وهي أنّها لو لم تزد هنا لاستدعى إضافة «مسح» إلى متعلّقه، استيعاب المسح لمحلّه استدعاءً بالطبع، كما في كلّ فعل أُطلق بالنسبة إلى متعلّقه، كما في «فاغسلوا وجوهَكم» استدعى استيعاب الغَسل لجميع صفحة الوجه طولاً وعرضاً، ومن ثَمّ لو لم يقيّد الغَسل في اليدين بقوله «إلى المرافق» لاستدعى استيعاب جميع اليد حتّى المنكب. وعليه فلو لم تزد الباء، وقيل: «وامسحوا رؤوسَكم» لاستدعى مسح الرأس كلّه نظير الوجه، حرفاً بحرف. فزيدت الباء لتكون دليلاً على كفاية مجرّد المسح الملصق بالرأس، ولو وضع المتوضّي رأس إصبعه على رأسه وجرّها جرّاً خفيفاً، فقد صدق «لصوق المسح بالرأس». والامتثال يقتضي الإجزاء ـ كما في الأُصول ـ ولا امتثال عقيب الامتثال هذا في الرأس. أمّا في الرِّجل، فلمّا جاء ذكر الحدّ للمسح، كان ذلك دليلاً على إرادة استيعاب ما بين الحدّين «رؤوس أصابع القدم، الكعبين» طولاً، ومن ثَمّ فإنّه معطوف على مدخول «وامسحوا» بلا زيادة الباء، أي محلّ المجرور وهو النصب. نعم، ليس النصب عطفاً على مدخول «فاغسلوا» ـ كما زعمه القائل بوجوب غَسل الأرجل ـ استناداً إلى قراءة النصب في الآية، وهو فهم خاطئ واستنباط معوجّ،

بعد ملاحظة أنّ العطف مع الفصل بالأجنبي مرفوض أو مرجوح في اللغة ولا يحمل عليه القرآن الكريم.



القراءة المختارة

أمّا القراءة التي نختارها ـ والتي تجمّعت فيها شرائط القبول أجمع ـ فهي:

قراءة عاصم برواية حفص بالخصوص؛ لأنّها القراءة التي كان عليها جماهير المسلمين وتلقّوها يداً بيدٍ منذ الصدر الأوّل حتّى توالي العصور. وستأتي مزايا أُخرى حوتها هذه القراءة بالذات دون غيرها من سائر القراءات.

لكن الشائع بين الفقهاء هو جواز القراءة بالسبع في الصلاة وغيرها، الأمر الذي يمكن توجيهه على مشارب فقهاء العامّة، إمّا لأجل تواترها عندهم ـ كما يراه البعض ـ أو لانطباق حديث الأحرف السبعة عليها، حسبما زعمه آخرون، لكن الأمر يشكل على مباني فقهائنا الإماميّة الّذين يرون القرآن واحداً نزل من عند واحد، إذاً فما وجه تجوزيهم القراءة بالسبع وغيرها؟

عمدة الاستدلال على جواز الأخذ بالقراءات المعروفة تتلخّص في:

١. سيرة المسلمين على الأخذ بها.

٢. إجماع الفقهاء على جواز ذلك.

٣. تظافر النصوص الواردة عن الأئمةعليهم السلام في الأمر بالعمل بما عند الناس والمعروف لدى المسلمين.

الخلاصة

١. ملاكات صحّة القراءة ثلاثة: أن توافق الثبت القرآني، موافقتها للأفصح في العربية، ألّا تخالف دليلا قطعيا.

٢. القراءة الصحيحة هي قراءة عاصم برواية حفص بالخصوص؛ لأنّها القراءة التي كان عليها جماهير المسلمين وتلقّوها يداً بيدٍ منذ الصدر الأوّل حتّى توالي العصور.

٣. المشهور بين الفقهاء قبولهم للقراءات السبعة، وهذه الموافقة لاتخلو من ثلاثة أسباب: سيرة المسلمين، إجماع الفقهاء، تظافر النصوص.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. قراءة «أرجلِكم» ـ بالخفض قراءة خاطئة لأنّها:

أ) تخالف الأفشى في العربية.
ب) غير موافقة للثبت القرآني.
ج) تخالف دليلاً قطعياً.
د) لم ترد في القراءات أصلاً.

٢. القراءة المختارة هي قراءة:

أ) عاصم برواية حفص.
ب. الكسائي الكوفي.
ج) نافع المدني.
د) أبو عمرو البصري.

٣. الشائع بين الفقهاء:

أ) رفض الأحرف السبعة.
ب) قبول بعض الأحرف السبعة.
ج) عدم التعرّض للحديث عنها.
د) قبول الأحرف السبعة.

الدرس الثالث والثلاثون

وجوه اختلاف القراءات

قبل التعرّض إلى محور هذا الدرس علينا أن نميز أوّلاً بين صورة الكلمة وبين معنى الكلمة، فمرة تكون صورة الكلمة واحدة ومعناها مختلف وأُخرى بالعكس، ومثاله: ننشزها وننشرها، فالصورة واحدة والمعنى مختلف، واخرى يكون المعنى واحد والصورة مختلفة، مثل: العهن المنفوش والصوف المنفوش. فلو ميزنا بين الاثنين سهل علينا هذا الدرس؛ لأنّ أغلب الوجوه التي سنذكرها تدور حول هذه النقطة.

الوجوه التي أوردها ابن قتيبة

قال ابن قتيبة:

قد تدبّرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه:

الأوّل: الاختلاف في إعراب الكلمة، أو في حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغيّر معناها... نحو قوله تعالى: ﴿...وَيـأْمُرُونَ النَّـاسَ بِالْبُخْـلِ...﴾[1] - بضمّ الباء وسكون الخاء - و«البَخَل» - بفتح الباء والخاء -.[2]

الثاني: أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغيّر معناها، ولا

---

١. النساء: ٣٧.

٢. هي قراءة حمزة والكسائي. والأولى قراءة الباقين. *الاتحاف*: ٣٥٩.

يزيلها عن صورتها في الكتاب، نحو قوله تعالى: ﴿...إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ...﴾[١] ـ بتشديد القاف ـ و«تَلْقُوْنَهُ» ـ بالتخفيف ـ.[٢]

الثالث: أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها، بما يغيّر معناها ولا يزيل صورتها، نحو قوله تعالى: ﴿...وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيفَ نُنْشِزُهَا...﴾[٣] و«نُنْشرُها».[٤]

الرابع: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغيّر صورتها في الكتاب، ولا يغيّر معناها، نحو قوله تعالى: ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾[٥] و« كالصُّوف الْمَنْفُوش».[٦]

الخامس: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها، نحو قوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾[٧] و«طَلْعٍ مَنْضُود».[٨]

السادس: أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير، نحو قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾[٩] «وجاءتْ سكرةُ الحَقِّ بالموت».[١٠]

السابع: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان، نحو قوله تعالى: ﴿...وَمَا عَمِلَتْهُ أَيدِيهِمْ...﴾[١١] و«ما عَمِلَتْ أيْديْهمْ».[١٢]

---

١. النور: ١٥.

٢. الثانية قراءة ابن السميقع. *تفسير القرطبي*: ٢٠٤/١٢؛ *القراءات الشاذّة*: ١٠٠.

٣. البقرة: ٢٥٩.

٤. الأولى قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي، والثانية قراءة الباقين. *الاتحاف*: ١٦٢.

٥. القارعة: ٥.

٦. الثانية قراءة ابن مسعود. *الكشاف*: ٥٥٨/٢.

٧. الواقعة: ٢٩.

٨. الثانية منسوبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام. *القراءات الشاذّة*: ١٥١؛ راجع: *تفسير القرطبي*: ٢٠٨/١٧.

٩. ق: ١٩.

١٠. الثانية قراءة أبي بكر عند ما حضرته الوفاة في قصّة مع ابنته عائشة. راجع: *تفسير القرطبي*: ١٢/١٧ـ١٣؛ *القراءات الشاذّة*: ١٤٤.

١١. يس: ٣٥.

١٢. الثانية في مصاحف أهل الكوفة. راجع: *الكشّاف*: ٢٥٢/٢.

وجوه اختلاف القراءات السبعة

- في إعراب الكلمة مع الحفاظ على المعنى والصورة
- في إعراب الكلمة مع الحفاظ على الصورة دون المعنى
- في حروف الكلمة مع الحفاظ على الصورة دون المعنى
- في الكلمة مع الحفاظ على المعنى دون الصورة
- في الكلمة مع تغير صورتها ومعناها
- أن يكون الاختلاف في التقديم والتأخير
- أن يكون الاختلاف في الزيادة والنقصان

الخلاصة

أورد ابن قتيبة مجموعة من الوجوه التي تميز قراءة عن أُخرى تتمحور حول إعراب الكلمة و شكلها و حروفها ممّا يسبب التغير أمّا بمعنى الكلمة أو في صورتها، أو يكون التغير بمعنى الجملة، كما في وجه التقديم والتأخير.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. الفرق بين ﴿...وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ...﴾ - بضمّ الباء وسكون الخاء - و«البَخَل» - بفتح الباء والخاء - يرجع إلى:

أ) الاختلاف في الزيادة والنقصان. ب) الاختلاف في حروف الكلمة.

ج) الاختلاف في إعراب الكلمة. د) الاختلاف في الكلمة.

٢. يعود الفرق بين ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ و«ما عَملَتْ أيْديْهمْ». إلى:

أ) الاختلاف في إعراب الكلمة. ب) الاختلاف في التقديم والتأخير.

ج) الاختلاف في بناء الكلمة. د) الاختلاف في الزيادة والنقصان.

٣. إنّ الذي تغير في الجملتين: ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ و «وَطَلْعٍ مَنْضُودٍ» هو:

أ) صورة الكلمة ومعناها. ب) صورة الكلمة دون معناها.

ج) معنى الكلمة دون صورتها. د) لم يتغير شيء في الكلمة.

٤. إنّ التغير الذي يحصل جراء تبديل كلمة (ننشرها) بـ(ننشزها) هو:

أ) تغير المعنى والصورة معاً. ب) تغير المعنى دون الصورة.

ج) تغير الصورة دون المعنى. د) لم يتغير شيئاً منهما.

٥. اختر العبارة الصحيحة:

أ) إنّ الفرق بين ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ...﴾ - بتشديد القاف -. وبين «تَلْقُوْنَهُ» -

بالتخفيف ـ. هو اختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها.

ب) إنّ الفرق بين ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ...﴾ ـ بتشديد القاف ـ. وبين «تَلْقُوْنَهُ» ـ بالتخفيف ـ. هو اختلاف في حروف الكلمة.

الدرس الرابع والثلاثون

الإعجاز لغة واصطلاحاً

يمكن القول وبضرس قاطع أنّ الصفة البارزة في القرآن الكريم هو كونه معجزاً، و هي الصفة التي لايمكن انفصالها عن القرآن بأي وجه من الوجوه، وإلّا خرج عن كونه كتاباً سماوياً وأصبح كتاباً عادياً يناوله الجميع، ولأهمّية الإعجاز ودوره في تبليغ الدعوة وصدق النبوة وما يلعبه من دور عظيم في إضفاء المنزلة الرفيعة والقيمة الكبرى لهذا الكتاب العزيز نشاهد تصنيفاً كبيراً فيه واهتماماً بالغاً من قبل كبار علماء المسلمين من أجل الوقوف على معانية ومصاديقة، وسنحاول في هذا الدرس الوقوف على معناه وتعريفه.

الإعجاز لغة

يطلق الإعجاز في اللغة على إثبات العجز، وهو القصور عن فعل الشيء، فعندما يقال: أعجز فلاناً عن الأمر، إذا حاول تحقيقه فلم يحقّقه، والإعجاز ضد القدرة، وهو زوال القدرة عن الإتيان بالشيء من عمل أو رأي أو تدبير.[1]

وقال في معجم *مقاييس اللغة*:

---

١. *بصائر ذوي التمييز*، الفيروز آبادي: ٦٥/١.

العين والجيم والزاء أصلان صحيحان يدلّ أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء... فالأوّل: عجز عن الشيء يعجز عجزاً فهو عاجز أي ضعيف ويقولون: العجز في فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه.[١]

وقال ابن منظور:

الإعجاز هو: الفوت والسبق بالنظر إلى حال المُعجز وهو الضعف بالنظر إلى حال العاجز.[٢]

وجمع الراغب الإصفهاني بين معاني الإعجاز اللغوية حيث قال:

العجز أصله التأخّر عن الشيء وحصوله عند عَجُز الأمر، أي مؤخّرة... وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء، وهو القدرة قال: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ﴾،[٣] وأعجزتُ فلاناً وعجّزته وعاجزته، جعلته عاجزاً، قال: ﴿...وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ...﴾،[٤] ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ...﴾،[٥] ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾.[٦][٧]

ونقل الزبيدي في تاج العروس:

أعجزه: صيره عاجزاً، أي عن إدراكه واللحوق به.[٨]

نتيجة المعنى اللغوي لمصطلح الإعجاز

المتأمّل في المعاني اللغوية المتقدّمة يجدها تدور حول معاني عدّة منها:

١. عدم القدرة. ٢. الضعف. ٣. الانقطاع.

---

١. معجم *مقاييس اللغة*، أحمد بن فارس بن زكريا: مادة «عجز».

٢. *لسان العرب*، ابن منظور: مادة «عجز».

٣. المائدة: ٣١.

٤. التوبة: ٢.

٥. العنكبوت: ٢٢.

٦. سبأ: ٥.

٧. مفردات *ألفاظ القرآن*، الراغب الإصفهاني: مادة «عجز».

٨. *تاج العروس من جواهر القاموس*، محمد مرتضى الزبيدي: مادة «عجز».

الإعجاز اصطلاحاً

يمكن تعريف الإعجاز: بأنّه أداء الكلام بطريقه وأُسلوب يصل إلى حد يفوق فيه كلّ الطرق والأساليب بلاغة، وهذا المعنى للإعجاز شامل لكلّ كلامٍ، بشكل مطلق من دون إضافة، أي من دون النظر إلى نسبة هذا الكلام سواء كان لله تعالى أو للبشر.

المعجزة لغة واصطلاحاً

المعجزة لغةً

الإعجاز الذي تكلّمنا عليه سابقاً هو المصدر، وأمّا المعجزة فهي: اسم فاعل من الإعجاز وهي للأنبياء خاصّة، والهاء فيها للمبالغة والجمع: المعجزات.[1]

ونقل القاضي عياض سبباً لتسمية المعجزة، فقال:

> واعلم أنّ معنى تسميتنا ما جاءت به الأنبياء معجزة هو أنّ الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها.[2]

المعجزة اصطلاحاً

والمعجزة ـ في مصطلحهم ـ تطلق على كلّ أمرٍ خارق للعادة، إذا قرن بالتحدّي وسلم عن المعارضة، يظهره الله على يد أنبيائه ليكون دليلاً على صدق رسالتهم.

فقد عرفت بتعاريف عديدة ومتنوعة اختلفت في ما بينها بإضافة الشروط وحذفها، وسنحاول ذكر مقدار منها مع قائليها وهي كالتالي:

١. عرفها السيوطي بأنّها:

> أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدّي، سالم عن المعارضة.[3]

---

١. *تاج العروس من جواهر القاموس*: مادة «عجز».

٢. *الشفا بتعريف حقوق المصطفى*ﷺ، القاضي عياض: ١ /٣٤٩، تحقيق: الأستاذ علي محمد البجاوي.

٣. *الإتقان في علوم القرآن*: ٢ /١١٦.

٢. ابن خلدون قال:

إنّ المعجزات أفعال يعجز البشر عن مثلها فسمّيت بذلك معجزة، وليست في مقدور العباد، وإنّما تقع في غير محل قدرتهم.[١]

٣. نصيرالدين الطوسي:

هو ثبوت ما ليس بمعتاد أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة، ومطابقة الدعوى.[٢]

٤. القوشجي:

هو الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي مع عدم المعارضة.[٣]

٥. القرطبي:

سمّيت معجزة لأنّ البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها وشرائطها خمسة، فإن اختل منها شرط لا تكون معجزة... وشروطها:

أ) أن تكون لما لا يقدر عليها إلّا الله سبحانه.

ب) أن تخرق العادة.

ج) أن يستشهد بها مدعي الرسالة على الله عزّ وجلّ.

د) أن تقع على وفق دعوى المتحدّي بها.

هـ) ألّا يأتي أحد بمثلها على وجه المعارضة.[٤]

٦. عرفها البلاغي:

المعجز: هو الذي يأتي به مدعي النبوة بعناية الله الخاصة خارقاً للعادة وخارجاً عن حدود القدرة البشرية وقوانين العلم والتعلم، ليكون بذلك دليلاً على صدق النبي وحجّته في دعواه النبوة ودعوته.[٥]

---

١. *المقدمة*، ابن خلدون: ٩٠.

٢. *كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد*: ٢١٨.

٣. شرح *التجريد*، القوشجي: ٤٦٥.

٤. *الجامع لأحكام القرآن*: ١/٦٩ ـ ٧٧.

٥. *الرحمن في تفسير القرآن*، البلاغي: ١/٣.

٧. وعرّفها السيّد باقر الحكيم:

المعجزة: هي أن يحدث تغييراً في الكون ـ صغيراً أو كبيراً ـ يتحدّى به القوانين الطبيعية التي ثبتت عن طريق الحسّ والتجربة.[١]

هذه مجموعة من التعاريف الكلامية للمعجزة وكلّها تشير إلى معنى واحد وأنّ أُضيف في بعضها شروط إضافية، ولكنّها لم تكن قريبة إلى تعريف المعجزة التي نتحدّث عنها للأنبياء.

وأرى أقرب تعريف ذُكر هو تعريف السيّد الخوئي﵀ حيث قال:

المعجزة: هو أنّ يأتي المدعي لمنصب من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعية ويعجز عنه غيره شاهداً على صدق دعواه.[٢]

الخلاصة

١. الإعجاز في اللغة: إثبات العجز، وهو القصور عن فعل الشيء، وتدور التعاريف اللغوية التي فسرت الإعجاز حول ثلاثة معانٍ أساسية:

١. عدم القدرة. ٢. الضعف. ٣. الانقطاع.

٢. الإعجاز اصطلاحاً: هو أداء الكلام بطريقه وأُسلوب يصل إلى حد يفوق فيه كلّ الطرق والأساليب بلاغة.

٣. المعجزة في اللغة: هي مايعجز الخلق عن الإتيان بمثلها، فهي اسم فاعل من الإعجاز وهي للأنبياء خاصّة.

٤. المعجزة اصطلاحاً: هي كلّ أمر خارق للعادة، إذا قرن بالتحدّي وسلم عن المعارضة، يظهره الله على يد أنبيائه ليكون دليلاً على صدق رسالتهم.

٥. إنّ أقرب التعاريف هو أن يأتي المدعي لمنصب من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعية ويعجز عنه غيره شاهداً على صدق دعواه.

---

١. *علوم القرآن*، محمد باقر الحكيم: ١٢٧، ونسب التعريف للشهيد الصدر.

٢. *البيان في تفسير القرآن*، الخوئي: ٣٣.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. يدور المعنى اللغوي لمصطلح الإعجاز على المعاني التالية:

أ) عدم القدرة و الضعف والغرابة ب) الانقطاع والغرابة و عدم القدرة

ج) الانقطاع وعدم القدرة والضعف د) لا شيء من هذه المعاني

٢. إنّ الذي عرف المعجزة بأمر خارق للعادة، مقرون بالتحدّي، سالم عن المعارضة. هو..........

أ) السيّد الحكيم ب) السيوطي

ج) ابن خلدون د) البلاغي

٣. ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة:

أ) شروط المعجزة: هي أن يأتي المدعي لمنصب من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعية ويعجز عنه غيره شاهداً على صدق دعواه( ).

ب) شروط المعجزة: الخرق للعادة والاقتران بالتحدّي وإظهارة على يد وصي نبيه( ).

الدرس الخامس والثلاثون

المراحل والأدوار التي مرّ بها بحث الإعجاز

عند قراءتنا للقرآن الكريم وعندما نتمعن في آيته الشريفة لا نشا هد أي أثـر لمـصطلح المعجزة والإعجاز أو مصطلح خارق للعادة وما شابه ذلك، بالتالي فالقرآن لم يـستخدم شيئاً من هذه المصطلحات التي نشاهدها اليوم، لكـن هـذه المـصطلحات انطلقـت مـن أفواه المفكّرين والباحثين في الشؤون القرآنية، وظهر هذا المبحث فـي النـصف الثـاني من القرن الثاني حتّى بدأت الكتابات تتكثر شيئاً فشيئاً.

أسباب انحسار الكتابات القرآنية في العهد القرون الأولى

لقد ذكر الدكتور أحمد جمال العمري سببين لذلك:

الأوّل: ضعف العقلية الإسلامية عن هذه المسائل الدقيقة.

الثاني: نظرة الإجلال والتقديس التي كانوا ينظرون بها للقرآن، بحيث يمنعهم عـن الخوض في مثل هذه الأمور.[1]

ولكن المتأمّل في تلك الفترة يمكن له أن يـضيف لهـذين الـسببين أسـباب أُخـرى

---

١. *مفهوم الإعجاز القرآني*، أحمد جمال العمري: ٤٢ ـ ٤٣.

تمثّلت في الصراعات التي حدثت بين المسلمين في العصور الأولى وانشغالهم بالحروب والغزوات وما شابه ذلك.

وفي نهاية القرن الثاني بدأت الكتابات في إعجاز القرآن تظهر بشكل أكثر سعة، حيث كتب أبوعبيدة معمر بن مثنى (ت٢٠٩) كتاب *إعجاز القرآن*.

ثُمَّ بدأت الكتابات في هذا العنوان، وسنحاول ان نذكر هذه الكتابات بشكل متسلسل وفق المرحلة الزمنية لذلك.

١. الجاحظ، أبوعثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥) له كتاب اسمه *نظم القرآن* وذكر الإعجاز في هذا الكتاب، ويذهب إلى أنّ إعجاز القرآن في النظم والتأليف، ورد على شيخه وأُستاذه إبراهيم بن سيار النظام (ت٢٢٤) الذي ذهب إلى أنّ الإعجاز متحقّق بسبب نظرية الصرفة.

٢. أبوسليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ت٣٨٨) له كتاب *بيان إعجاز القرآن*، وذهب فيه إلى أنّ الإعجاز متحقّق في اللفظ القرآني باعتباره أفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمناً أصح المعاني.[1]

ثُمَّ التفت إلى وجه آخر في الإعجاز وهو:

> صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس... تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور... فكم من عدو للرسولﷺ من رجال العرب وفتاكها اقبلوا يريدون اغتياله وقتله فسمعوا آيات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأوّل، وأن يركنوا إلى مسالمته، ويدخلوا في دينه، وصارت عدواتهم موالاة، وكفرهم إيماناً.[2]

٣. أبوالحسن علي بن عيسى الرماني (ت٣٨٦) له كتاب *النكت في الاعجاز القرآن* وذكر سبع جهات للإعجاز هي:

---

١. *بيان إعجاز القرآن*، حمد بن محمد الخطابي: ٢٧، طبع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

٢. المصدر: ٧٠.

أ) ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدّة الحاجة.

ب) التحدّي للكافة.

ج) الصرفة.

د) البلاغة.

هـ) الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة.

و) نقض العادة.

ز) قياسة بكلّ معجزة.

٤. أبوبكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣) وله كتاب *إعجاز القرآن*، وذكر الإعجاز من وجوه ثلاث:

أ) أخبار عن الغيبيات.

ب) قصص الأولين وأخبار الماضين.

ج) إنّه بديع النظم وعجيب التأليف.[١]

د) أبوبكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني (ت٤٧١) له رسالة اسمها *الرسالة الشافية*، ذكر فيها الإعجاز وله كتاب *دلائل الاعجاز*، وأشار إلى النظم وعجيب التأليف.[٢]

٥. القاضي عياض بن موسى (ت٥٤٤) له كتاب اسمه *الشفا بتعريف حقوق المصطفى* وحدد وجوه الإعجاز في أربع:

أ) حسن التأليف.

ب) النظم العجيب والأسلوب الغريب.

ج) الأخبار بالمغيبات.

د) أخباره عن القرون السابقة.

---

١. *اعجاز القرآن*، الباقلاني: ٣٣ ـ ٣٥.

٢. *دلائل الاعجاز*، الجرجاني: ٣٩١.

وجوه أخرى ذكرت في الإعجاز منها.[١]

٦. علي بن محمد السخاوي (ت٦٤٣) ذهب إلى أنّ الإعجاز في النظم والأسلوب، وفصل بين الإعجاز وبين ما تحدّى به الكتاب، حيث جعل الإعجاز بديع النظم وغرابة الأسلوب، وأما الأخبار عن المغيبات وأخبار القرون الماضية وما يتعلّق بالخلق والأرض والسماء في رأيه ليس ممّا تحداهم به، وإنّما هذه الأمور تدلّ على صدق الرسولﷺ.[٢]

٧. أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٨٤) حيث جعل وجوه الإعجاز عشرة ذكرها في جامعة.[٣]

٨ الزركشي بدر الدين (ت٧٩٤) ذكر وجوه متعددة في *البرهان*.[٤]

٩. السيوطي جلال الدين (ت ٩١١) له كتاب *الإتقان في علوم القرآن* وألف كتاب *معترك الأقران في إعجاز القرآن* وذكر وجوه كثيرة للإعجاز.

جدول بياني يعرض بعض مادون عن الإعجاز من القرن الثاني إلى العاشر الهجري

اسم المؤلف	اسم الكتاب	وجوه الإعجاز
الجاحظ، أبو عثمان	*نظم القرآن*	النظم والتأليف
أبوسليمان الخطابي	*بيان إعجاز القرآن*	تحقّق الإعجاز في اللفظ القرآني
أبو الحسن الرماني	*النكت في اعجاز القرآن*	سبعة: منها الصرفة والبلاغة ونقض العادةو..
أبو بكر الباقلاني	*اعجاز القرآن*	ثلاثة: منها الأخبار عن الغيب و..

---

١. *الشفا*، عياض بن موسى: ٥٢٦/١ وما بعدها.

٢. *إجمال القراء وكمال الإقراء*، السخاوي: ٤٤.

٣. *الجامع لأحكام القرآن*، القرطبي: ٧٣.

٤. *البرهان في علوم القرآن*، الزركشي: ١٠٦/٢.

أبو بكر الجرجاني	*الرسالة الشافية، دلائل الإعجاز*	النظم وعجيب التأليف
القاضي عياض بن موسي	*الشفا بتعريف حقوق المصطفى*	أربعة منها: حسن التأليف والأخبار بالمغيبات
على بن محمّد السخاوى	ـ	النظم والأسلوب
أبو عبدالله القرطبى	ـ	عشرة ذكرها في جامعه
بدر الدين الزركشي	*البرهان في علوم القرآن*	ذكر وجوه متعددة
جلال الدين السيوطى	*الاتقان في علوم القرآن ومعترك الاقران في اعجاز القرآن*	وجوه كثيرة

التحدّي ومراحله

لقد تحدّى القرآن عامّة العرب، فحاولوا معارضته، ولكن لا بالكلامِ لعجزهم عنه، بل بمقارعة السيوف وبذل الأموال والنفوس، دليلاً على فشلهم عن مقابلته بالبيان. وربّما كانوا ـ في بدء الأمر ـ استقلّوا شأنه، حيث قالوا: ﴿...لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَا إِنْ هَـذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾،[1] و﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾،[2] و﴿...إِنَّمَا يعَلِّمُهُ بَشَرٌ...﴾،[3] و﴿...مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ...﴾،[4] إلى أمثالها من تعابير تكشف عن سخف أوهامهم، لكن سرعان ما تراجعت العرب إلى أعقابها فانقلبوا صاغرين، وقد ملكتهم روعة هذا الكلامِ وطغت عليهم سطوته، متهكّماً بموقفهم.

---

١. الأنفال: ٣١.

٢. المدّثر: ٢٥.

٣. النحل: ١٠٣.

٤. الأنعام: ٩١.

لقد تحدّى القرآن الكريم خصومه على مراحل:

١. ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.[١]

٢. ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ...﴾.[٢]

٣. ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...﴾.[٣]

٤. ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.[٤]

٥. ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.[٥]

الخلاصة

ولد اصطلاح الإعجاز والمعجزة على أيدي علماء القرآنيات عندما صنف أوّل بحث حول تحدّي القرآن لخصومه في النصف الثاني من القرن الثاني.

يعود غياب موضوع الإعجاز عن التدوين الإسلامي في القرن الأوّل إلى مجموعة من الأسباب منها: انشغال المسلمين بالحروب والفتوحات و ضعف العقلية الإسلامية أنذاك.

---

١. الطور: ٣٣ ـ ٣٤.

٢. هود: ١٣ ـ ١٤.

٣. يونس: ٣٨ ـ ٣٩.

٤. البقرة: ٢٣ ـ ٢٤.

٥. الإسراء: ٨٨.

انتشرت بعد القرن الثاني الهجري مجموعة كبيرة اهتمت ببحث الإعجاز وفصلت فيه، وقد فصلت في الجدول المتقدّم فلاحظ.

لقد تحدّى القرآن خصومه على مراحل متعددة أشارت إليها الآيات الكريمة، فهو تحداهم أن يأتوا بحديث مثله فلم يستطيعوا، ثُمّ تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فلم يستطيعوا، ثُمّ تحداهم أن ياتوا بسورة واحدة وعجزوا عن ذلك أيضاً.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة

١. مصنف كتاب إعجاز القرآن:

أ) أبو بكر الباقلاني ب) جلال الدين السيوطي

ج) بدر الدين الزركشي د) أبو بكر الجرجاني

٢. يرى أبو عثمان الجاحظ أنّ وجه إعجاز القرآن هو:

أ) الأخبار بالمغيبات ب) اللفظ القرآني

ج) النظم والتأليف د) الصرفة

٣. من جوه الإعجاز التي ذكرها الرماني هي:

أ) التحدّي للكافة ب) الصرفة

ج) البلاغة د) كلّها صحيحة

٤. بدأت الكتابات في الإعجاز القرآني في:

أ) منتصف القرن الثالث ب) منتصف القرن الثاني

ج) أواخر القرن الثالث د) منتصف القرن الرابع

٥. ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة:

أ) من الأسباب التي كانت وراء انحسار التأليف في الإعجاز في القرن الأوّل هو نظرة الإجلال والتقديس التي كانوا ينظرون بها للقرآن(   ).

ب) لم يكن للصراعات التي خاضها المسلمون أي دور في انحسار التأليف(   ).

الدرس السادس والثلاثون

وجوه إعجاز القرآن

يتردد كثيراً القول: إنّ القرآن الكريم هو معجزة النبي الأكرمﷺ، فما هو المقصود من هذه العبارة؟ وبمعنى آخر ما هو الإعجاز الذي يوصف به كتاب الله تعالى؟ من هنا فقد وقع كلام كثير بين الأعلام حول حقيقة الإعجاز القرآني، وذكروا له وجوهاً متعددة ومختلفة، واختار كلّ واحد منهم وجهاً وساق له الأدلّة والشواهد، وسنحاول في هذا الدرس البحث عن هذه الوجوه والقائلين بها، وقبل البدء بذلك سوف نذكر جدولاً وفهرساً للوجوه التي ذكرت للإعجاز القرآني، وهي كالتالي:

الوجه الأوّل: نظرية الصرفة

الوجه الثاني: الإعجاز البياني

الوجه الثالث: إعجازه في ذكر أخبار الغيب

الوجه الرابع: إعجازه في عدم اختلاف آياته

الوجه الخامس: إعجازه لاحتوائه معارف ومعاني عاليه الوصول

الوجه السادس: الإعجاز للصوت والجاذبية لهذا الكتاب

الوجه السابع: الإعجاز العددي للقرآن

الوجه الثامن: الإعجاز العلمي

وفي هذه المرحلة الدراسية لعلوم القرآن سنبحث بعض هذه الوجوه، ويترك ماتبقى منها إلى المراحل الدراسية الأُخرى.

الإعجاز البياني

فصاحته بالغة وبلاغته فائقة، تعابيره دقيقة، كلماته منظَمة على أنظمة صوتيّة دقيقة، متناسبات الأجراس، متناسقات التواقيع، في تقاسيم وتراكيب سهلة سلسة، عذبة سائغة، ذات رنّة وجذبة شعريّة واستهواء سحري غريب. قال أرباب الأدب: لو انتزعت منه لفظة ثُمّ أُدير بها لغة العرب كلّها على أن يوجد لها نظير في موضعها الخاصّ، لم توجد البتّة.

إنّ من وجوه الإعجاز التي ذكرت للقرآن الكريم هو الإعجاز البياني على مستوى اللفظ والمعنى، بمعنى أنّ للقرآن طريقة وأُسلوباً في اللفظ، وكيفية دلالته على المعنى، يختلف عن كلّ الأساليب، فنحن لو تصفحنا الأساليب التي استخدمت اللفظ في الدلالة على المعنى لوجدناها ثلاثة:

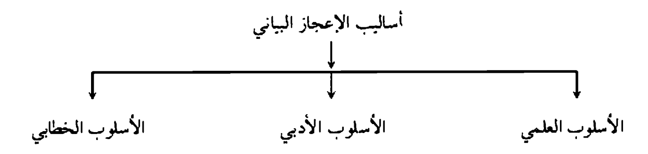
١. الأُسلوب العلمي (Scientific Style)

٢. الأُسلوب الأدبي (Literature)

٣. الأُسلوب الخطابي (Artaratoire)

وقبل التعرّف على كلّ واحد من هذه الأساليب، لا بدّ من التعرّف على معنى الأُسلوب.

فالأُسلوب: هو الطريقة التي يصاغ بها اللفظ بشكل يكون أقرب لنيل المقصود من الكلام، وانجع في نفوس السامعين، وللأُسلوب معاني أُخرى عديدة منها الطريقة، كما تقول: سلكت أسلوب فلان، أي: سلكت طريقته، ويقال أيضاً: أساليب القول، أي فنون القول وغير ذلك من المعاني اللغوية.



الخلاصة

١. اختلفت آراء العلماء والباحثين ومشاربهم في تبينهم لأنواع ووجوه الإعجاز، فبعضهم تبنى وجهاً واحداً من الوجوه المذكورة، وآخر تبنى ثلاثة أو أربعة منها، وبعضهم أكثر من ذلك.

٢. يتعلّق الإعجاز البياني باللفظ والمعنى، بمعنى أنّ القرآن الكريم وظف أفضل وأعذب الألفاظ والمعاني والجمل والكلمات في أُسلوب غاية في الدقّة والإحكام لإيصال المقصود إلى المخاطب.

٣. أساليب القرآن ثلاثة: الأسلوب العلمي والأدبي والخطابي.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. من وجوه الإعجاز:

أ) الصرفة ب) الإعجاز العددي

ج) أخباره بالمغيبات د) أ و ب و ج صحيح.

٢. علماء الدراسات القرآنية:

أ) مجمعون على وجوه الإعجاز. ب) مختلفون.

ج) لم يستعملوها في دراساتهم. د) أ و ج صحيح.

٣. ضع علامة (✓) العبارة الصحيحة:

أ) الأُسلوب: هو الطريقة التي يصاغ بها اللفظ بشكل يكون أقرب لنيل المقصود من الكلام ( ).

ب) للأُسلوب معنى واحداً، وهو الطريقة كما تقول: سلكت أُسلوب فلان، أي: سلكت طريقته ( ).

الدرس السابع والثلاثون

أساليب الإعجاز البياني

قد ذكرنا في الدرس السابق وجوه عديدة للإعجاز، وارتـأينا أن نقـف عنـد بعـضها، وكان أوّل وجه ونوع نقف عنده هو الإعجاز البياني، فبينا معناه، وقلنا: إنّه يحتوي على ثلاثة أساليب هي: الأسلوب العلمي والأسلوب الكتابي الأدبي والأسلوب الخطابي، وفي هذا الـدرس سنحاول شـرح هـذه الأسـاليب واحـداً تلـو الآخـر، ليتّـضح للطالـب الكريم خصائص ومميزات كلّ واحد منها، وبالتالي يمكنه الوصول إلى درجة البلاغـة في النصّ القرآني المقدّس.

أوّلاً: الأسلوب العلمي

هو الأسلوب الذي يشرح الحقائق العلمية بشكل لاخفاء فيه ولا غموض، ومن أهمّ مميزات هذا الأسلوب هو الوضوح والبيان الساطع وسهولة الألفاظ، بحيـث يبتعـد عـن المجاز والاستعارة، وكل الكتب العلمية الدرسية هي أبرز مثال لذلك الأسلوب.

ثانياً: الأسلوب الأدبي

هـو اسـتخدام الكـلام الإنـشائي البليـغ الـذي يُقـصد بـه التـأثير علـى عواطـف

القراء والسامعين،[1] ومن مميزات هذا الأسلوب:

١. استخدام الخيال.

٢. التصوير الدقيق.

٣. محاولة إيجاد الفروق الدقيقة من ناحية التمثيل والتشابه وتقريبها بين الأشياء، فمثلاً يرى الأسلوب العلمي الحُمّى بأنّها نتيجة لجراثيم معينه داخلة إلى الجسم لكن في الأسلوب الأدبي يصورها المتنبي بما يلي:

وزائرتي كان بها حياءً فليس تزور إلّا في الظلام

بذلتُ لها المطارف والحشايا فعافتها وباتت في عظامي[2]

فالأُسلوب الأدبي يحاول إيجاد حالة الشبه بين شيئين، ثُمّ يبدأ بأخذ أوصاف كلا الشيئين ويعطها للآخر وهكذا.

ويمتاز هذا الأُسلوب أيضاً بالوضوح وعدم الغموض، فمثلاً يرثي المتنبي أحد الرجال بعدما حُمل نعشة بالقول:

ما كنت أمُلُ قبل نعشك أن أرى رضوى على أيدي الرجال يسيرُ[3]

وكذلك ابن المعتز[4] عندما قال وهو يرثي ابن العبّاس:

قد ذهب الناسُ ومات الكمال وصاح صرفُ الدهر: أين الرجال

هذا أبوالعباس في نعشه قوموا انظُروا كيف تسيرُ الجبال

وغيرها من التشبيهات التي يستخدمها الأُسلوب الادبي بشكل بديع وجميل.

---

١. معجم *مصطلحات الأدب*: ٥.

٢. يشبه المتنبي الحمى بالفتاة التي تأتيه ليلاً فيفرش لها رداءه والحشايا، أي الفراش المحشو فتترك كلّ ذلك وتبيت في عظامه.

٣. رضوى اسم جبل بالمدينة فشبه المتنبي الرجل الميت بذلك الجبل لعظمته.

٤. هو عبدالله بن المعتز العباسي أحد خلفاء العباسيين (ت٢٩٦).

ثالثاً: الأسلوب الخطابي

هو أُسلوب يعتمد على أشياء ثلاث:

١. المعاني والألفاظ.

٢. الحجّة والبرهان.

٣. قوة العقل.

وهذا الأُسلوب تؤثّر فيه عدّة مؤثرات منها: ما يرتبط بالمتكلّم نفسه، وطريقته وكيفية أدائه، وهذا الأسلوب يعتمد على التكرار، والترادف، والأمثال، واختيار الكلمات المؤثرة على السامع، وقيل: إنّ خطبة أميرالمؤمنين‌ﷺ من أروع مفردات الأسلوب الخطابي عندما غارت خيل سفيان بن عوف الأسدي عامل معاوية على الأنبار وقتل عامل علي‌ﷺ وهو حسان البكري، فقال:

«هذا أخو غامد[١] قد بلغت خيله الأنبار وقتل حسان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها[٢] وقتل منكم رجالاً صالحين، وقد بلغني أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينزع حَجلَها[٣] وقلبَها[٤] ورعاثَها[٥] ثُمّ انصرفوا وافرين[٦] ما نال رجلاً منهم كَلمٌ[٧] ولا أُريق لهم دمٌ، فلو أنّ رجلاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان عندي جديراً».

فالإمام تدرج في طرح مطالب خطبته من بيان عملية الغزو إلى ما وصل من جراء

---

١. يقصد به عامل معاوية سفيان بن عوف الأسدي وهو عامل معاوية وهو من قبيلة بني غامد في اليمن.

٢. وهي الثغور.

٣. الحجل الخلخال.

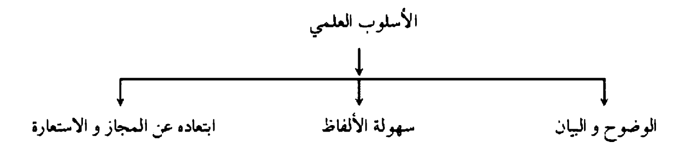
٤. القُلب: السوار.

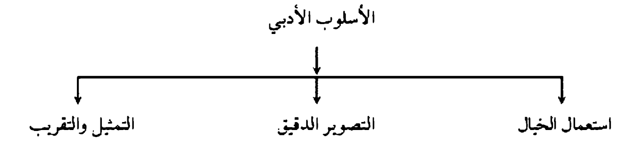
٥. الرعاث: جمع رعثه بمعنى: القرط.

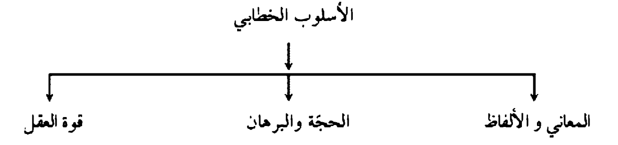
٦. وافرين: تامّين على كثرتهم لم ينقص عددهم.

٧. الكَلم: الجرح.

تلك العملية من أحداث إلى إثارة شعورهم في عدم مواجهة عدوهم وغير ذلك من قدرة عالية في إلقاء الخطبة لا يدانيه فيها أحد.







الخلاصة

الأسلوب العلمي: يتكفّل بشرح الحقائق العلمية الدقيقة بأُسلوب واضح وجلي.

الأسلوب الأدبي: يعتمد على الكلام البليغ ويستخدم الأدوات التي تحرك مشاعر وأحاسيس الجماهير.

يراعى في الأُسلوب الخطابي الحديث المؤثّر في السامع ويعتمد على التمثيل والحجّة والبرهان.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. الغالب في أساليب المناهج الدراسية هو:

أ) الأُسلوب الأدبي	ب) الأُسلوب العلمي

ج) الأُسلوب الخطابي	د) الأُسلوب الفني

وزائرتـــي كـــان بهـــا حيـــاءٌ	فلـــيس تـــزور إلّـــا فـــي الظـــلام

بـــذلتُ لهـــا المطـــارف والحـــشايا	فعافتهـــا وباتـــت فـــي عظـــامي

٢. الأُسلوب المستفاد من هذه الأبيات هو:

أ) الأُسلوب الإعلامي	ب) الأُسلوب التراجيدي

ج) الأُسلوب الأدبي	د) خالية من أي أُسلوب

٣. يعتمد الأُسلوب الخطابي على:

أ) الحجّة والبرهان	ب) التصوير الدقيق

ج) قوة العقل	د) أ و ج

٤. ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة:

قـــد ذهـــب النـــاسُ ومـــات الكمـــال	وصـــاح صـــرفُ الـــدهر: أيـــن الرجـــال

هـــذا أبو العبـــاس فـــي نعـــشه	قومـــوا انظُـــروا كيـــف تـــسيرُ الجبـــال

أ) تصنف هذه الأبيات ضمن الأُسلوب الخطابي (   ).

ب) تصنف هذه الأبيات ضمن الأُسلوب الأدبي (   ).

الدرس الثامن والثلاثون

سمو أُسلوب القرآن عن الأساليب الثلاثة

لا شكّ في الأساليب الثلاثة المتقدّمة تستعمل في البيان والتفهيم، وهي أساليب رائعة جداً لو طبقت قواعدها بشكل صحيح، ولكن يبقى السؤال عن إعجاز القرآن البياني مطروحاً، هل نقصد به واحداً من هذه الأساليب أو نقصد به معنى آخر يفوق تلك الأساليب؟ ومن حيث المبدأ نجيب: بأنّ ألفاظ القرآن وأُسلوبه تشكل إعجازاً فاق كلّ الأساليب المتقدّمة، ولكن كيف نثبت ذلك؟ هذا ماسنحاول الإجابة عنه في هذا الدرس.

الدليل على سمو أُسلوب القرآن

يمكن إثبات ذلك من جهتين:

الأُولى: من خلال كلمات أُولئك العظام الذي استخدموا تلك الأساليب المتقدّمة لنرى ماذا يعني الإعجاز البياني للقرآن عندهم؟

الثانية: من خلال نفس القرآن.

أمّا الجهة الأُولى: فمثلاً نجد علي بن أبي طالبعليه السلام يصف القرآن بالقول:

«وكتاب الله بين أظهركم ناطق لايعيا لسانه، وبيت لاتهدم أركانه وعز لاتهزم أعوانه».[1]

---

١. *نهج البلاغة*: الخطبة ١٣١.

ووصفه في وصف آخر:

«ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه، وسراجاً لا ينجو توقده وبحراً لا يدرك قعره».[1]

امّا الوليد بن المغيرة، وهذا كان من الذين تتحاكم لديه الأُدباء قال بحقّ القرآن لما سمع النبي يتلو بعض آياته فقال:

والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الأنس ولا من كلام الجن وأنّ له لحلاوة، وأنّ عليه لطلاوة، وأنّ أعلاه لمثمر، وأنّ أسفله لمغدق وأنّه ليعلو وما يُعلى عليه.[2]

أمّا عتبة بن ربيعة عندما سمع آيات من الذكر الحكيم قال:

إنّي سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة... فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم.[3]

وهناك قصة قد حكاها القرآن بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾.[4]

والقصة تشير إلى وجود ثلاث أشخاص كانوا يأتون ليلاً ليسمعوا من الرسولﷺ القرآن وكان لا يعلم أحدهم بالآخر، فكلّ واحد منهم يأخذ مكاناً في أستار الليل ليسمع من الرسولﷺ، وكانوا يتفرقون فيلتقون في الطريق ويتواصوا بعدم الذهاب ثانية، ثُمّ يكرروها إلى أن قال بعضهم لبعض:

لا تعودوا فلو رأكم بعض سفهائكم لا وقعتم في نفسه شيئاً ثم انصرفوا.[5]

---

١. المصدر: الخطبة ١٩٦.

٢. *بحار الأنوار*: ١٦٧/٩.

٣. *تفسير البغوي*: ١١١/٤.

٤. فصلت: ٢٦.

٥. *تفسير ابن كثير*: ٣ /٤٧.

ألم يكونوا هؤلاء أصحاب البلاغة والفصاحة، وملوك البيان والشعر، فلماذا أسرهم القرآن بهذا الشكل إذا لم يكن فيه تفوق على ما يمتلكونه من فصاحة وبلاغة، هذه من الجهة الأولى.

الخلاصة

١. إنّ أُسلوب القرآن الكريم يفوق الأساليب التي تقدمِ شرحها سواء كانت علمية أم أدبية أمِ خطابية.

٢. يستدلّ على تفوق بيان القرآن الكريم وأُسلوبه بوجهين: الأوّل: شهادات واعترافات كبار الفصحاء وملوك البيان. والثاني: حديث القرآن عن نفسه.

٣. من أبرز الذين بينوا عظمة خطاب هذا الكتاب واعترفوا بسمو عرضه وأُسلوبه هم: علي بن أبي طالب، والوليد بن المغيرة، و عتبه بن ربيعة.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. أسلوب القرآن الكريم هو:

أ) أسلوب خطابي ب) أسلوب علمي

ج) أسلوب أدبي د) يفوق هذه الأساليب

٢. مَن القائل: «وكتاب الله بين أظهركم ناطق لا يعيا لسانه، وبيت لا تهدمُ أركانه وعز لا تهزمِ أعوانه.»

أ) عتبة بن ربيعة ب) رسول الله ﷺ

ج) علي بن أبي طالب عليه السلام د) الوليد بن المغيرة

٣. لقد قرر الأشخاص الثلاثة الذين كانوا يستمعون القرآن خلسة:

أ) أن يؤمنوا بما أُنزل على محمد.

ب) ألّا يعودو مرّة أُخرى واستهزؤوا بالقرآن.

ج) أن يستفهموا من النبي معالم الدين الجديد.

د) ألّا يُطهروا أنفسهم في سماع القرآن.

الدرس التاسع والثلاثون

إثبات تفوق الأسلوب القرآني من نفس القرآن

تقدّم في الدرس الماضي أنّ القرآن الكريم متقدّم من ناحية البيان والأُسلوب عن فحوى الأساليب الثلاثة المتقدّمة، وقلنا: إنّ الاستدلال على ذلك يتمّ من جهتين: الأولى شهادة ملوك البيان العرب، والثانية: دلالة نفس آيات القرآن وجمله وكلماته، وقد بينا الجهة الأولى وشرحناها في الدرس السابق، ونحاول الآن بيان وتقريب الجهة الثانية.

تقريب الجهة الثانية

يمكن إثبات فصاحة وبلاغة القرآن من نفس الكتاب الكريم وآياته، وذلك من زوايا عدّة منها:

أ) اختيار الكلمات والألفاظ

الكلمات والألفاظ المستخدمة في القرآن الكريم منسجمة مع بعضها البعض في الصوت والنغم والفصاحة، بحيث يعطي القرآن دروساً وعبراً بعبارة واحدة لا تحتوي على أكثر من ثلاث أو أربع كلمات، فمثلاً حاولت العرب أن تسمّي قانون يقف أمام عمليات القتل فقالت: «القتل أنفى للقتل» بمعنى أنّ قتل القاتل أفضل مانع للقتل لكن القرآن صاغ ذلك بعبارة معجزة في ألفاظها سهلة في أُسلوبها: ﴿الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ في

قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.[١]

فلو تلمسنا الفروق بين هذه العبارة: «القتل أنفى للقتل» وبين عبارة: «القصاص حياة» لوجدنا ذلك من عدّة جهات كما ذكرها الشيخ الطوسي رحمه الله.[٢]

١. الآية أكثر فائدة من العبارة المذكورة؛ لأنّ الآية فيها معنى العبارة المتقدّمة مع زيادة والزيادة هي:

أ) إظهار العدل لذكر الآية القصاص.

ب) إظهار الحياة الشيء الجميل المرغوب والدافع لتطبيق المادة.

ج) الآية فيها ترغيب وترهيب، في نفس الوقت فيها القصاص وفيها الحياة، أمّا العبارة اقتصرت على القتل.

٢. إنّ الآية أقلّ حروفاً وأكثر إيجازاً من العبارة المذكورة، فالحروف في قوله: «القصاص حياة» عشرة أمّا الحروف في العبارة: «القتل أنفى للقتل» أربعة عشر حرفاً.

٣. العبارة المذكورة فيها تكرار للقتل، وهذا غير حسن في الكلام البليغ إذ أمكن تعويضه بعبارة ليس فيها تكرار من قبيل: «القصاص حياة».

٤. التأليف في الآية أفضل من التأليف في العبارة المذكورة، فنحن ندرك ذلك بالوجدان، فالآية «في القصاص حياة» خرجت من الفاء إلى اللام وذلك أعدل، كما يقول علماء اللغة من الخروج من اللام إلى الهمزة كما في عبارة «القتل أنفى للقتل».

وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام.

وهناك فروق أُخرى ذكرت بين العبارتين منها:

ـ إنّ القتل لا ينفي القتل، أمّا إذا كان القتل بعنوان القصاص فهو النافي للقتل حقيقة.

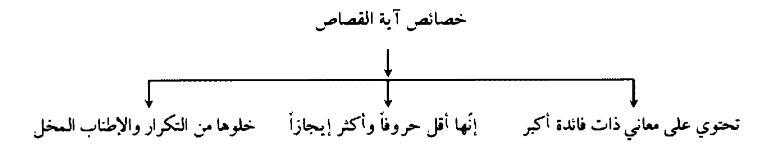
ـ الآية فيها جنبه إيجابية «في القصاص حياة» أمّا في العبارة فيها جنبة نفي «القتل

---

١. البقرة: ١٧٩.

٢. *التبيان*، الطوسي: ٢ /١٠٥.

أنفى للقتل» ويقال: إنّ في القانون العبارة الإيجابية أولى وأفضل من العبارة السلبية.



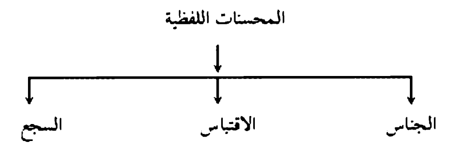
ـ في الآية يوجد فيها محسنات معنوية، نحن نعلم أنّ في علم البديع نوعين من المحسنات:

محسنات لفظية، وهي:

١. **الجناس**: تشابه اللفظ في النطق ويختلف في المعنى، مثال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ...﴾.[١]

٢. **الاقتباس**: أن تقتبس شيئاً من القرآن، أو الشعر لتضمنه الكلام، كما قال: عبدالمؤمن الإصفهاني[٢]: «لا تغرّنك من الظّلمة كثرة الجيوش والأنصار: ﴿إنّما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾.[٣]

٣. **السجع**: يستخدم في النثر بحيث تتوافق الكلمتين في الحرفين الأخيرين وأحسنه عندما تتوافق الفقرات مثال: الحر إذا وعد وفى وإذا أعان كفى وإذا ملك عفى.



---

١. الروم: ٥٥.

٢. وهو أديب مشهور صوفي له كتاب عارض فيه «أطباق الذهب» الزمخشري.

٣. إبراهيم: ٤٢

امّا المحسنات المعنوية، فهي:

١. **التورية:** وهي ذكر لفظ له معنيان قريب ظاهر غير مقصود وبعيد خفي مقصود ومراد. قال سراج الدين الوراق[١]:

أصون أديم وجهي عن أناس	لقاء الموت عندهم الأديب
وربّ الشّعر عندهم بغيض	ولو وافى به لهم حبيب

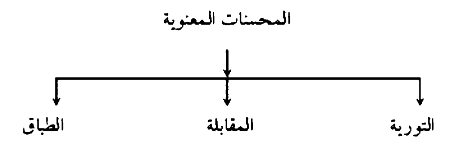
فكلمة حبيب لها معنى وهو متبادر إلى الذهن وهذا معنى ظاهر خصوصاً وأنّ الشاعر استخدم مفردة (بغيض) ولكن لها معنى آخر هو يريد (حبيب بن أوس) وهو الشاعر أبو تمام. وهو يقصد هذا المعنى.

٢. **المقابلة:** أن تأتي بمعنيين أو أكثر ثُمّ تأتي بما يقابلها على الترتيب. مثل: قال ﷺ للأنصار:

«إنّكم لتكثرون عند الفزع، وتقلّون عن الطمع».[٢]

٣. **الطباق:** وهو الجمع بين الشيء وضده في الكلام، وهنا في الآية جمع بين (القصاص والحياة) وهما ضدان؛ لأنّ القصاص هو من القتل وفي الظاهر أنّه ضد الحياة، وفي نفس الوقت هو موجد للحياة.

فهذه العبارة القرآنية الواحدة تمثل بحقّ معجزة إلهية في صياغتها وأُسلوبها وتركيبها ومعناها. والشواهد كثيرة في القرآن.



---

١. شاعر بصري برع في التورية ولد سنة ٦١٥هـ ومات ٦٩٥هـ.

٢. *إعجاز القرآن*: ٨١.

ب) اتساق الكلام ودقّة التعبير

وهو مايظهر من مجموعة من الآيات:

فمن دقيق تعبيره أنّه حينما يذكر السرقة يورد السارق مقدّماً على السارقة، ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيدِيهُمَا...﴾،[١] أمّا في الزّنا فيذكر الزّانية مقدّمة على الزاني، ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ...﴾.[٢] والحكمة واضحة، فالمرأة في الزنا هي البادئة وهي التي تدعو الرجل بزينتها وتبرّجها، أمّا في السّرقة فهي أقلّ جرأة من الرّجل.

ومن تناسب فواصل الآيات قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيكُمُ اللَّيلَ سَرْمَدًا إِلَى يوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيرُ اللَّهِ يأْتِيكُمْ بِضِياءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيرُ اللَّهِ يأْتِيكُمْ بِلَيلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.[٣] ختمت الآية الأولى بقوله: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾، لأنّه المناسب لذكر الليل السرمد وهي الظلمة المطبقة لا موضع فيها لحسّ البصر، سوى حسّ السمع يسمع حسيسها، وأمّا الآية الثانية فكان الكلام فيها عن النهار السرمد، فناسبه الإبصار.

الخلاصة

١. يمكن إثبات بلاغة القرآن وسمو أسلوبه بنفس القرآن من جهتين:

الأولى: اختيار الكلمات والألفاظ.

الثانية: اتساق الكلام ودقّة التعبير.

٢. هناك فرق شاسع بين استخدام العرب للجمل والكلمات وبين استخدام القرآن لها، فالعرب تعبر: القتل أنفى للقتل، ولكن القرآن يعبر: إنّ القصاص حياة.

---

١. المائدة: ٣٨.

٢. النور: ٢.

٣. مريم: ٤.

٣. إنّ الجملة التي استخدمها القرآن بجعل القصاص حياة أفضل ممّا استخدمها العرب عندما قالوا: القتل أنفى للقتل، لوجوه:

الأوّل: إنّها أكثر فائدة، والثاني: إنّها مختصرة وأكثر دلالة، والثالث: خلوها من التكرار و... .

٤. إنّ الجملة التي استخدمها القرآن فيها من المحسنات اللفظية كالجناس والاقتباس والسجع، والمحسنات المعنوية كالتورية والمقابلة والطباق.

٥. هناك آيات عديدة دلّت على اتساق الكلام ودقّة التعبير منها: قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيدِيهُمَا...﴾ وكذا: ﴿الزَّانِيةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ...﴾، وغيرها.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة

١. الكلمات القرآنية منسجمة فيما بينها من حيث:

أ) الإعراب و النغم والصوت

ب) الصوت والنغم والفصاحة

ج) الفصاحة والصوت والسجع

د) الصوت والسجع والإعراب

٢. معنى القتل أنفى للقتل:

أ) إنّ قتل القاتل أخذ بحقّ المقتول.

ب) إنّ قتل القاتل هو نفي للقتل.

ج) إنّ قتل القاتل أفضل رادع عن القتل.

د) لاشيء من ذلك.

٣. المعاني الموجودة في آية القصاص والزائدة على عبارة: «القتل أنفى للقتل» هي:

أ) إنّ فيها معنى العدل.

ب) إنّ فيها ترغيباً وترهيباً.

ج) أ و ب صحيح.

د) أ و ب خطأ.

٤. تقديم الزانية على الزاني... .

أ) لأنها تجلد أولاً.

ب) لأنّ لزاني ذنبه أقلّ.

ج) لأنّ الزانية هي البادئة.

د) أ و ب صحيح.

٥. ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة:

أ) الطباق: وهو الجمع بين الشيء وضده في الكلام(   ).

ب) الطباق: تشابه اللفظ في النطق والاختلاف في المعنى(   ).

الدرس الأربعون

الإعجاز العلمي

إنّ القرآن الكريم كتاب حكمة وهداية وتربية وإرشاد: ﴿...يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ...﴾،[1] ﴿...وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ...﴾،[2] ﴿...لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾.[3] هذه هي رسالة القرآن في الأرض، ﴿...أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ...﴾.[4] إذاً لم تكن الشريعة دراسة طبيعة، ولم يكن القرآن كتاب علم بالذات، سوى مايحمله من إشارات عابرة جاءت في عرض الكلام، ولمحات خاطفة وسريعة إلى بعض أسرار الوجود، يعرفها العلماء الراسخون، وهي في نفس الأمر تكشف عن مخزون علم لا يتناهى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾،[5] ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.[6]

---

١. آل عمران: ١٦٤، الجمعة: ٢.

٢. الأعراف: ١٥٧.

٣. الفرقان: ١.

٤. الفتح: ٢٨، الصف: ٩.

٥. الكهف: ١٠٩.

٦. الطلاق: ١٢.

بعض الإشارات القرآنية لإثبات الإعجاز العلمي

وإليك بعض ما وصلت إليه أفهام البشريّة من العلوم الطبيعيّة المقطوع بها تقريباً، وكان ذلك دليلاً على معجزة القرآن، الخارقة للعادة، في زمان كان سرّ هذه العلوم والآراء النظريّة مكتوماً على البشريّة، وأصبح اليوم مكشوفاً، وسيكتشف على مرّ الأيّام.

أ) قوله تعالى: ﴿...وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ...﴾،[١] يشير إلى أنّ أصل الحياة من الماء، في نشأتها وتكوينها وظهورها في عالم الوجود. قال سيّدنا الأستاذ العلّامة الطباطبائي رحمه الله:

في ظلّ البحوث العلميّة الحديثة ظهرت صلة الحياة بالماء.[٢]

ب) قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾،[٣] يشير إلى أنّ نشأة الإنسان من ماء الرجل، كما قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ...﴾،[٤] والنطفة ماء الرجل ومنيّه ينزله بشهوة ودفق. صرّح بذلك أهل اللغة. يقول الطبّ الحديث:

إنّ الماء الدافق هو ماء الرجل. أي: المني، يخرج من بين صلب الرجل وترائبه ـ أي: أُصول أرجله ـ وذلك لأنّ معظم الأمكنة والممرّات التي يخرج منها السائل المنويّ تقع من الناحية التشريحيّة بين الصلب والترائب.[٥]

---

١. الأنبياء: ٣٠.

٢. *الميزان*: ٣٠٥/١٤.

٣. الطارق: ٥ ـ ٧. الدفق: الدفع بشدّة، الصلب: العمود الفقري الممتدّ من الكاهل حتّى العجز، والترائب: جمع تريب وتريبة، أُطلق على عظام متساوية الأطراف ومترادفة التركيب في هيكل الإنسان العظمي... منها: العظم المنحني المتساوي الطرفين الكائن بين أُصول الفخذين فوق العانة، كما نقل عن الضحاك ـ فيما رواه ابن كثير ـ قال: الترائب: بين الثديين والرجلين والعينين. *تفسير ابن كثير*: ٤٩٨/٤.

٤. النحل: ٤.

٥. *مع الطب في القرآن الكريم*: ٣٣.

ج) قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾،[1] ـ أي: بنيناها بقوّة وإحكام ـ يشير إلى حقيقة كانت خافية على البشر ثلاثة عشر قرناً، وهي أنّ فسحة السّماء لا تزال تتمدّد وتتوسّع مع توالي الأحقاب. وأوّل من تنبّه لذلك هو العالِم الفلكي لومتر البلجيكي، في عام ١٩٢٧ الميلادي.

د) قوله تعالى: ﴿...وَمَنْ يرِدْ أَنْ يضِلَّهُ يجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ...﴾،[2] يشير إلى أنّ الطبقات العليا من الفضاء خالية من الهواء، أي: ومن يرد أن يضلّه فهو كمن يحسّ بحرج في تنفّسه وتتضايق عليه الحياة بسبب ارتفاعه في طبقات عليا من الفضاء. هكذا يكشف العلم عن أسرار هذا الكتاب المبين.

هـ) قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا...﴾،[3] يشير إلى حقيقة كشف عنها العلم، وهي إحاطة الأرض بواسطة غلاف هوائي سميك، قد يبلغ ارتفاعه أكثر من ٣٥٠ كيلومتراً، يكوّن تُرساً واقياً للأرض من قذائف السماء.

و) قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾،[4] يشير إلى الجاذبيّة العامّة والحبك: الشدّ الوثيق.

ز) قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِي تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ...﴾،[5] يشير إلى حركة الجبال، وليست حركة الجبال في مسير الفضاء سوى حركة الأرض الانتقاليّة في دورتها السنويّة، أو الوضعيّة حول نفسها.

ح) قوله تعالى: ﴿أَيحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّي بَنَانَهُ﴾،[6]

---

١. الذاريات: ٤٧.

٢. الأنعام: ١٢٥.

٣. الأنبياء: ٣٢.

٤. الذاريات: ٧.

٥. النمل: ٨٨.

٦. القيامة: ٣ ـ ٤.

يشير إلى أنّ هناك معجزة كبرى في تسوية البنان، وبعثُه على صورته الأولى يكون أكبر من إحياء العظام البالية، الأمر الّذي لم يكشف سرّه إلاّ بعد نزول الآية بأكثر من ألف سنة، حينما عرف أنّ لكلّ إنسان بصمة خاصّة رسمت على بنانه لا يتّفق اثنان في بصمة واحدة، منذ أن خلق الله الإنسان. وهذا سرّ غريب في الخليقة أوّلاً وفي إشارة القرآن إليه ثانياً.

الخلاصة

إنّ الأصل في كتاب الله أنّه كتاب هداية وارشاد وليس كتاباً عملياً أو طبيعياً تطرح فيه نظريات في الأحياء الرياضيات، أجل وردت فيه إيرادات علمية تثبت الإعجاز العلمي.

من الإشارات العلمية التي وردت القرآن الكريم: علاقة الحياة بالماء عندما صرح القرآن بذلك: ﴿...وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍ...﴾ قبل أن يولد هذا الموضوع في الكتب العلمية.

لقد أثبت القرآن أن هناك فسحة في السماء لازالت تتمدد وتتوسع: ﴿...وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ وكان ذلك قبل أن يلتفت إليها العالم البلجيكي بمئات السنين.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ يشير إلى قانون الجاذبية الذي اكتشفه «نيوتن» فيما بعد بزمن طويل.

وهناك إشارات عديدة تثبت الأعجاز العلمي من نفس آيات القرآن الكريم تراجع فيها الكتب المختصّة في هذا المجال.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. الأصل في كتاب الله:

أ) أن يكون كتاباً علمياً. ب) كتاب هداية وإرشاد.

ج) كتاب يخبر عن المغيبات. د) كتاب أدبي.

٢. يشير قوله تعالى ﴿يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾:

أ) إلى النجوم التي في السماء.

ب) إلى الملائكة الموكلين بالسماء.

ج) إلى خلو الطبقات العليا من الهواء.

د) لا تشير إلى شيء من ذلك.

٣. ﴿...وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ...﴾ يشير إلى:

أ) إنّ الماء حي. ب) إنّ خالقه حي.

ج) حياة المخلوقات. د) إنّ أصل الحياة من الماء.

٤. أجب عن سؤال واحد:

أ) بين المعجزة في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾.

ب) ما هو وجه الإعجاز في الآية الكريمة: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾.

الدرس الحادي والأربعون

الإعجاز الغيبي والتشريعي

ذكرنا سابقاً أنّ هناك مجموعة من الوجوه التي يمكن أن تتصوّر لإعجاز القرآن الكريم بما هو كتاب معجز، ولم يستطع أحد من كبار البلغاء والفصحاء أن يدانية وينافسه في عرضه وبيانه ورؤيته و...، وقد بينا في الدروس السابقة نوعين من الإعجاز، وهما: الإعجاز البياني والإعجاز العلمي، وفي هذا الدرس سنحاول بيان نوعين آخرين من الإعجاز وهما: الإعجاز الغيبي والإعجاز التشريعي.

الإعجاز الغيبي

يطلق الإعجاز الغيبي على إخبار ما غاب عن النبيﷺ وقومه ممّا لم يشهدوه من حوادث وقعت، أو لم يحضروا وقتها، فلم يكونوا على علم بتفاصيلها. وهو يشمل غيب الماضي وغيب الحاضر وغيب المستقبل.

فمن غيب الماضي قوله تعالى بشأن قصّة مريم وكفالة زكريّا لها: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾،[1] وقوله بشأن قصّة نوح وقضيّة الطوفان: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا

---

١. آل عمران: ٤٤.

كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا...﴾.[١] فإنّ ورود أخبار الأمم الماضية بهذا التفصيل الدقيق دليل على كونه وحياً من عند الله علّام الغيوب وليس من عند البشر ذي العلم القصير ولا سيّما من مثل محمد ﷺ الذي نشأ في بيئة لا تمكّنه الاطّلاع على مثل هذه الأمور على دقائقها وظروفها. وليست تهمة قريش بأنّها ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا﴾،[٢] إلّا افتراءً مفضوحاً، جاءت على خلاف ما استيقنتها نفوسهم من أُمّيّة الرسول ﷺ وعدم اتّصاله بأحد من أهل الكتاب، ولم تكن له أسفار علميّة للبحث عن آثار الأمم.

ومن غيب الحاضر ـ والمقصود منه ما جرى على عهد الرسول ﷺ، من حوادث لم يحضرها هو ولا الخاصّة من أصحابه فنزل القرآن متضمّناً لها ومخبراً بحقيقة ما جرى ـ قوله تعالى بشأن المنافقين الذين بنوا مسجد ضرار: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.[٣] والغاية الأساسيّة من غيب الحاضر هو تأييد الدعوة.

ومن غيب المستقبل قوله تعالى: ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾،[٤] وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا

---

١. هود: ٤٩.

٢. الفرقان: ٥.

٣. التوبة: ٩٧.

٤. الروم: ١ـ٦. كانت الحروب دامية بين الروم والفرس من سنة ٦٠٣م إلى سنة ٦٢٧م، وكانت الغلبة لإيران في أوّل الأمر، حتّى عام ٦٢٢م، وبعده انقلب الأمر. والآية نزلت بمكّة حين كانت الغلبة للفرس على الروم، فكانت الهجرة ـ وكان في سنة ٦٢٢م ـ مقارنة لغلبة الروم على الفرس، تمهيداً للفتوحات التي كانت تنتظر المسلمين تجاه قوى الفرس.

النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾،[١] وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾،[٢] وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾.[٣]

الإعجاز التشريعي

والمثال البارز في هذا النوع من الإعجاز مافصلنا في الدروس الماضية في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾،[٤] فقد بينا هناك أنّ هذه الآية تتضمّن تشريعاً يفوق ما شرّعه العرب للحد من جريمة القتل.[٥]

ومازال الإنسان في بحث دؤوب عن أسرار الوجود يحاول أن يكتشف أشياء جديدة، لكنّها تبقى محدودة وناقصة، ويبقى القرآن مستمراً في إعجازه وعلاجه للكثير من المسائل الحياتية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.[٦]

الإعجاز البياني ← الإعجاز العلمي
↓ ↑
الإعجاز الغيبي → الإعجاز التشريعي

---

١. البقرة: ٢٣ ـ ٢٤.

٢. الصف: ٩.

٣. النور: ٥٥.

٤. بقرة: ١٧٩.

٥. راجع: الدرس: ٣٩.

٦. يونس: ٥٧.

الخلاصة

١. يطلق الإعجاز الغيبي على إخبار ما غاب عن النبيﷺ وقومه ممّا لم يشهدوه من حوادث وقعت، أو لم يحضروا وقتها.

٢. ينقسم الإعجاز الغيبي إلى غيب الماضي وغيب الحاضر وغيب المستقبل، فمثال الأوّل: أخباره عن مجموعة من قصص الأنبياء السابقين، ومثال الثاني: أخباره ما فعله المنافقون عندما بنوا المسجد، ومثال الثالث: أخباره بانتصار الروم لاحقاً.

٣. من جوه الإعجاز الأخرى هو الإعجاز الغيبي، وأبرز مثال قرآني يمكن ذكره هنا هو تشريع القصاص.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. صور الإعجاز الغيبي:

أ) غيب الماضي والحاضر والمستقبل.

ب) غيب ماقبل النبي وغيب ما بعده.

ج) غيب الماضي والمستقبل.

د) غيب الحاضر فقط.

٢. قصة نوح ومريم من:

أ) غيب الحاضر. ب) غيب الماضي.

ج) غيب المستقبل. د) لايوجد فيهما إشارة للغيب.

٣. نجد الإشارة إلى غيب المستقبل في:

أ) قصة يوسف.

ب) قصة موسى.

ج) ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا...﴾.

د) ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ...﴾.

٤. إنّ قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ...﴾

أ) شاهد على الإعجاز البياني. ب) شاهد على الإعجاز التشريعي.

ج) شاهد على الإعجاز الغيبي. د) شاهد على الإعجاز العلمي.

الدرس الثاني والأربعون

صيانة القرآن من التحريف

يدور الكلام في موضوع تحريف القرآن على ماجرت عليه العادة في كتب الدراسات القرآنية وتفصيل أقسامه وإبراز معناه من أجل إزالة الشكوك التي قد تحدث لدى البعض، وإلّا فنحن نعتقد أنّ القرآن الذي بين أيدي المسلمين الآن والكتاب الذي يقرؤونه ويتداولونه هو نفس الكتاب الذي نزل على صدر النبي الكريم محمدﷺ وهو قرآن خالٍ من أي نقص وزيادة سالم عن التحريف والخطأ.

التحريف في اللغة

تحريف الشيء: إمالته والعدول به عن موضعه إلى جانب، مأخوذ من حَرْف الشيء بمعنى طرفه وجانبه. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ...﴾.[1]

قال الزمخشري:

أي على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه. وهذا مَثَلٌ لكونهم على قلق واضطراب في دينهم، لا على سكون وطمأنينة، كالذي يكون على طرف

---

١. الحج: ١١.

العسكر، فإن أحسّ بظفر وغنيمة قرّ واطمأنّ، وإلاّ فرّ وطار على وجهه.[١]

تحريف الكلام: تفسيره على غير وجهه، أي: تأويله بما لا يكون ظاهراً فيه، تأويلاً من غير دليل.

والتحريف بهذا المعنى إنّما هو تغيير في معنى الكلم، كما قال تعالى: ﴿...يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ...﴾.[٢] أي: يفسّرونها على غير وجهها بما لا دلالة للكلام وضعاً فيه. وهذا تحريف معنوي لا غير. قال الطبرسي رحمه الله في تفسير قوله تعالى:

﴿...يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ...﴾: أي: يفسّرونها على غير ما أُنزل ويغيّرون صفة النبي صلى الله عليه وآله.

فيكون التحريف بأمرين، أحدهما: سوء التأويل، والآخر: التغيير والتبديل، كقوله تعالى: ﴿...وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ...﴾.[٣]

التحريف في الاصطلاح

التحريف في الاصطلاح جاء على سبعة وجوه:

١. تحريف مدلول الكلام: وهو تفسيره على غير وجهه بمعنى تأويله بما لا يكون اللفظ ظاهراً فيه بذاته لا بحسب الوضع ولا بحسب القرائن المعهودة، ومن ثَمّ فهو تأويل باطل، المعبّر عنه بالتفسير بالرأي المنهيّ عنه في لسان الشريعة المقدّسة. قال صلى الله عليه وآله:

«من فسّر القرآن برأيه فليتبوّء مقعده من النار».[٤]

٢. تحريف موضعي: بأن يكون ثبت الآية أو السورة على خلاف ترتيب نزولها،

---

١. *الكشاف*: ١٤٦/٢.

٢. النساء: ٤٦، المائدة: ١٣.

٣. آل عمران: ٧٨؛ مجمع *البيان*: ١٧٣/٢.

٤. *غوالي اللئالي*: ١٠٤/٤، الحديث ١٥٤.

وهذا في الآيات قليل نادر، لكن السور كلّها جاء ثبتها في المصحف على خلاف ترتيب النزول، كما تقدّم.

٣. تحريف في القراءة: بأن يقرأ الكلمة على خلاف قراءتها المعهودة لدى جمهور المسلمين، وهذا كأكثر اجتهادات القرّاء في قراءاتهم المبتدعة لا عهد لها في الصدر الأوّل، الأمر الذي لا نجيزه بعد أن كان القرآن واحداً نزل من عند واحد، كما في الحديث الشريف.[١] وقد ذكرنا ذلك في بحث القراءات.

٤. تحريف في لهجة التعبير: كما في لهجات القبائل تختلف عند النطق بالحرف أو الكلمة في الحركات وفي الأداء. الأمر الّذي يجوز، ما دامت بُنية الكلمة الأصليّة محتفظة لا يختلف معناها وقد نزّلنا حديث الأحرف السبعة ـ على فرض صحّة الإسناد ـ على إرادة اختلاف لهجات العرب في أداء الكلمات والحروف، بل وحتّى إذا لم تكن اللهجة عربيّة، فإنّ الملائكة ترفعها عربيّة كما في الحديث.[٢] نعم لا يجوز إذا كان لحناً ـ أي: خطأً ومخالفاً لقواعد الإعراب ـ قال تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ...﴾،[٣] وقد أُمرنا بقراءة القرآن عربيّة صحيحة «تعلّموا القرآن بعربيّته»[٤] وهكذا إذا كان التحريف اللهجة مغيّراً لمعنى الكلمة فإنّه لا يجوز، ولا سيّما إذا كان عن عمدٍ ولغرض خبيث، كما كانت تفعله اليهود عند النطق بلفظ «راعنا» فكانت تميل حركة العين إلى فوق لتصبح معنى الكلمة «شرّيرنا» حسبما ذكره الحسين بن علي المغربي[٥] وذكره القرآن في سورة البقرة «آية١٠٢» وفي سورة النساء «آية٤٦».

---

١. *الكافي*: ٦٢٧/٢.

٢. *وسائل الشيعة*: ٨٦٦/٤، الحديث ٤.

٣. الزمر: ٢٨.

٤. *وسائل الشيعة*: ٨٦٥/٤، ب٣٠، الحديث ١.

٥. راجع: *آلاء الرحمن*: ١٣٤/٢.

٥. تحريف بتبديل الكلم: بأن تتبدّل الكلمة إلى غيرها مرادفة لها أو غير مرادفة. الأمر الذي كان يجوّزه ابن مسعود في المترادفات نظراً منه إلى حفظ المعنى المراد، وأنّه لا بأس باختلاف اللفظ. وقد قلنا بعدم جواز ذلك في نصّ الوحي؛ لأنّ الإعجاز قائم بلفظه كما هو قائم بمعناه.[١]

٦. التحريف بالزيادة: نسب إلى جماعة ـ كابن مسعود ـ أنّهم كانوا يزيدون في نصّ الوحي، لا عقيدة بأنّها من القرآن، بل لغرض إيضاح الآية ورفع الإبهام من لفظها. وهذا لا بأس به مع التزام الشرط وعدم الالتباس، وهكذا نجد زيادات تفسيريّة في المأثور عن الأئمّة الصادقين عليهم السلام.

ولم نجد من زعم زيادة في النصّ الموجود سوى ما يحكى عن العجاردة (أصحاب عبد الكريم بن عجرد من زعماء الخوارج) أنّهم أنكروا أن تكون سورة يوسف من القرآن، وكانوا يرون أنّها قصّة عشق ولم يجوزوا أن تكون من الوحي.[٢] ولهم مقالات فاسدة غير ذلك.[٣] وسيأتي ردّ مقالتهم. نعم، كان ممّا اشتبه على ابن مسعود زعمه أنّه المعوّذتين تعويذان ليستا من القرآن وكان يقول:

لا تخلطوا بالقرآن ما ليس منه.

وكان يحكّمها من المصحف.[٤]

٧. التحريف بالنقص: إمّا بقراءة النقص، كما أُثر عن ابن مسعود أنّه كان يقرأ:

---

١. راجع: بحث القراءات.

٢. *الملل والنحل* للشهرستاني: ١٢٨/١. لكنّ أبا الحسن الأشعري لم يتحقّق عنده صحّة هذه النسبة، قال «وحكي لنا عنهم ما لم نتحقّقه: أنّهم يزعمون أنّ سورة يوسف ليست من القرآن». راجع: مقالات الإسلاميين: ١٧٨/١.

٣. راجع: *المقالات*: ١٧٨/١.

٤. *فتح الباري بشرح البخاري*: ٥٧١/٨.

«والليلِ إذا يغشى والنهارِ إذا تجلّى والذكرِ والأنثى» بإسقاط «ما خَلَقَ»،[١] وعن الأعمش أنّه كان يقرأ: «حم سق» بإسقاط «ع» قيل: «وهكذا قرأ ابن عبّاس».[٢] أو بزعم أنّ في النصّ الحاضر سقطاً، كان من القرآن فأُسقط إمّا عن عمد أو عن نسيان، وهذا إمّا في حرف واحد أو كلمة أو جملة كاملة أو آية أو سورة كما زعم. وكلّ ذلك ورد مأثوراً في أُمّهات الكتب الحديثيّة كالصحاح الستّة وغيرهما. الأمر الذي ننكره أشدّ الإنكار، وهو الّذي وقع الكلامِ حوله في مسألة تحريف الكتاب. ولا مجال لتغيير العبارة والقول بأنّه من منسوخ التلاوة أو منسيّها ـ كما التزم به بعض أئمّة أهل السنّة ـ فإنّه من الالتواء في التعبير، وتغيير العنوان لا يغيّر الواقع المعنون.

ومجمل القول في ذلك: إنّ ما ورد بهذا الشأن من الروايات العاميّة الإسناد، لا تعدو كونها من صنع الزنادقة والوضّاعين المعروفين بالكذب والاختلاق، أو أنّ لها تأويلاً صحيحاً لا يمسّ جانب تحريف الكتاب. وإلاّ فهي أوهامٍ وخرافات لا اعتبار بشأنها أصلاً.

القرآن ولفظ التحريف

لم يستعمل القرآن لفظ التحريف في غير معناه اللغوي، أي: التصرّف في معنى الكلمة وتفسيرها على غير وجهها المعبّر عنه بسوء التأويل أو التفسير بالرأي. وهو تحريف معنويّ ليس سواه. وقد أسبقنا الكلامِ عن قوله تعالى: ﴿...يحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ...﴾.[٣] قوله ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ أي بعد أن كان الكلامِ مستعملاً في معناه الحقيقي الظاهر فيه بنفسه أو المستعمل فيه بدلالة القرائن المعهودة، فجاء التحريف بعد ذلك

---

١. صحيح *البخاري*: ٢١١/٦، و ٣٥/٥.

٢. مجمع *البيان*: ٢١/٩.

٣. النساء: ٤٦، المائدة: ١٣.

خيانة في أمانة الأداء والبلاغ. وفي قوله تعالى: ﴿...مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ..﴾،[1] تصريح بهذا المعنى، حيث إنّ التحريف إزاحة للّفظ عن موضعه الذي هو معناه.

وفي سورة البقرة: ﴿...وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ..﴾،[2] أي: جاء تحريف المعنى إلى ما أرادوه بعد علمهم بالمعنى الحقيقي المراد الذي كان على خلاف مصالحهم فيما زعموا، ومن ثَمّ فهو من سوء التأويل كما عبّر عنه الطبرسي ومن قبله الشيخ في *التبيان*. قال:

فالتحريف يكون بأمرين: بسوء التأويل وبالتغيير والتبديل.[3]

أي: بتغيير لهجة الكلام بحيث يغيّر المعنى بذلك، كما جاء في سورة آل عمران: ٧٨.

والخلاصة كان تحريف العهدين الّذي أشار إليه القرآن إمّا بسوء التأويل ـ أي التصرّف في تفسيرهما بغير الحقّ، من غير أن يمسّوا يداً إلى لفظ الكتاب ـ أو مع تغيير في لهجة التعبير عند النطق بالكتاب، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.[4] لأنّ اللفظ إذا لهج به على غير لهجته الأولى لم يكن نفسه وإنّما هو غيره، وإنّما كانوا يعمدون إلى ذلك ذريعة لكتمان الحقيقة وإخفاء البشائر بمقدم نبيّ الإسلام ﷺ.

أمّا التحريف بمعنى الزيادة أو النقصان أو تبديل الكلم إلى كلمات غيرها ـ الّذي هو المعنى الاصطلاحي ـ فلم يعهد استعماله في القرآن، حسبما عرفت.

---

١. المائدة: ٤١.

٢. البقرة: ٧٥.

٣. *التبيان*: ٣/٤٧٠.

٤. آل عمران: ٧٨.

التحريف في الاصطلاح	تحريف مدلول الكلام
	تحريف موضعي
	تحريف في القراءة
	تحريف في لهجة التعبير
	التحريف بتبديل الكلام
	التحريف بالزيادة
	التحريف بالنقصان

الخلاصة

١. التحريف في اللغة يقع في أمرين: تحريف الشيء: وهو إمالته والعدول به عن موضعه، وتحريف الكلام: تفسيره على غير وجهه.

٢. التحريف في الاصطلاح: جاء على وجوه سبعة وهي مبينة بصورة واضحة في الشكل أعلاه.

٣. الوجوه الاصطلاحية للتحريف كلّها ممنوعة ماعدا اعترافنا بوقوع التحريف باللهجة والتحريف الموضعي وإن كان نادراً في الآيات.

٤. لم يستعمل القرآن لفظ التحريف في غير معناه اللغوي، وأمّا التحريف بمعنى الزيادة أو النقصان أو تبديل الكلم إلى كلمات غيرها ـ الّذي هو المعنى الاصطلاحي ـ فلم يعهد استعماله في القرآن.

٥. إنّ ما ورد بشأن تحريف القرآن زيادة اونقيصة هي روايات عاميّة الإسناد، من صنع الزنادقة والوضّاعين، أو أنّ لها تأويلاً صحيحاً لا يمسّ جانب تحريف الكتاب.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. من وجوه التحريف الاصطلاحي:

أ) التحريف بالزيادة والنقصان. ب) التحريف باللهجة والتعبير.

ج) التحريف بتبديل الكلم. د) كلّها صحيحة.

٢. قوله تعالى ﴿...يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ...﴾ يشير:

أ) إلى معنى التحريف اللغوي.

ب) إلى معنى التحريف الاصطلاحي.

ج) إلى معنى التحريف المعنوي.

د) إلى معنى التحريف في لهجة التعبير.

٣. التحريف بمعنى الزيادة والنقصان:

أ) استعمل في القرآن. ب) لم يستعمل في القرآن.

ج) يوجد ولكن بشكل قليل. د) أ و ج صحيح.

الدرس الثالث والأربعون

موانع حدوث التحريف

بعد أن تعرّفنا على معاني التحريف وحدوده وذكرنا الوجوه السبعة التي اصطلحت في التحريف نريد أن نتعرّف الآن على موانع وقوع التحريف، والذي نقصده من التحريف هنا هو الزياده والنقيصة في القرآن، فهل هناك أدلّة تمنع من وقوع مثل هذا التحريف؟ والجواب: نعم، إنّ هناك موانع، وهي تنقسم إلى قسمين: الأوّل خارجي والثاني داخلي من نفس القرآن.

دلائل بطلان شبهة التحريف

١. بديهة العقل: من بديهة العقل أنّ مثل القرآن الكريم يجب أن يسلم عن احتمال أيّ تغيير أو تبديل فيه، حيث إنّه كان الكتاب الذي وقع ـ من أوّل يومه ـ موضع عناية أمّة كبيرة واعية، ولا عجب فإنّه المرجع الأوّل لجميع شؤونهم في الحياة الدينيّة والسياسيّة والاجتماعيّة، فكان أساس الدين ومبنى الشريعة وركن الإسلام، وهو المنبع الأصل لأمّهات مسائل فروع الدين وأصوله، ومن ثَمّ كان الجميع في حراسته والمواظبة على سلامته وبقائه مع الخلود.

قال شيخ الفقهاء، كاشف الغطاء:

وما ورد من أخبار النقيصة تمنع البديهة من العمل بظاهرها ولا سيّما ما فيه من نقص ثلث القرآن أو كثير منه، فإنّه لو كان ذلك لتواتر نقله، لتوفّر الدواعي عليه ولاتّخذه غير أهل الإسلام من أعظم المطاعن على الإسلام وأهله... كيف يكون ذلك وكانوا شديدي المحافظة على ضبط آياته وحروفه، وخصوصاً ما ورد أنّه صُرّح فيه بأسماء كثير من المنافقين؟ وكيف يمكن ذلك وكان من حكمة النبيﷺ الستر عليهم ومعاملتهم معاملة أهل الدين؟.[1]

وأخيراً قال:

ياللعجب من قوم يزعمون سلامة الأحاديث وبقائها محفوظة، وهي دائرة على الألسن ومنقولة في الكتب، في مدّة ألف ومئتي سنة، وأنّها لو حدث فيها نقص لظهر واستبان وشاع، لكنّهم يحكمون بنقص القرآن، وخفي ذلك في جميع الأزمان.[2]

٢. ضرورة تواتر القرآن: من الدلائل ذوات الشأن النافية لشبهة التحريف هي مسألة «ضرورة كون القرآن متواتراً» في مجموعه وفي أبعاضه، في سوره وآياته، حتّى في جمله التركيبيّة وفي كلماته وحروفه، بل وحتى في قراءته وهجائه على ما أسلفنا في بحث القراءات، وقلنا:

إنّ الصحيح من القراءات هي القراءة المشهورة الّتي عليها جمهور المسلمين وقد انطبقت على قراءة عاصم برواية حفص.

فإنّ هذا ممّا يرفض احتمال التحريف، لأنّ ما قيل بسقوطه وأنّه كان قرآناً يتلى إنّما نقل إلينا بخبر واحد، وهو غير حجّة في هذا الباب، حتّى لو فرض صحّة إسناده.

هكذا استدلّ العلّامة الحلّي[3] وجماعة من المحقّقين كالسيّد المجاهد محمد بن

---

١. راجع: *البرهان*، البروجردي: ١١١.

٢. راجع: *المصدر*: ١٢٠ـ١٢١.

٣. *كشف الغطاء*: كتاب القرآن من كتاب الصلاة، المبحث السابع والثامن: ٢٩٨ـ٢٩٩.

علي الطباطبائي[١] والفقيه المحقّق المولى أحمد الأردبيلي[٢] والمحقّق المتتبّع السيّد محمد جواد العاملي[٣] وغيرهم.

٣. مسألة الإعجاز: ممّا يتنافى مع احتمال التحريف في كتاب الله هي مسألة الإعجاز المتحدّى به. وقد اعتبروه العلماء من أكبر الدلائل على نفي التحريف. أمّا احتمال الزيادة ـ كما احتمله أصحاب ابن العجرد من الخوارج، قالوا بزيادة سورة يوسف في القرآن؛ لأنّها قصّة عشق ولا يجوز أن تكون وحياً،[٤] وكما زعمه ابن مسعود بشأن سورتي المعوّذتين[٥] فهو احتمال باطل، إذ يستدعي ذلك أن يكون باستطاعة البشريّة أن تقوم بإنشاء سورة كاملة تماثل سور القرآن تماماً، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾،[٦] ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ..﴾،[٧] ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ...﴾،[٨] ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ..﴾.[٩] فهذا التحدّي الصارخ يبطل دعوى كلّ زيادة في سور القرآن وآياته الكريمة.

وكذا احتمال التبديل، فإنّ المتبدَّل لا يكون من كلامه تعالى وإنّما هو من كلام مبدِّله والكلام يسند إلى قائله إذا كان مجموع الكلمات مستندة إليه لا البعض دون

---

١. عن كتاب *الحقّ المبين*: ١١.

٢. راجع: مجمع *الفائدة*: ٢١٨/٢.

٣. راجع: *مفتاح الكرامة*: ٣٩٠/٢.

٤. *الملل والنحل*، الشهرستاني: ١٢٨/١.

٥. *فتح الباري*، ابن حجر: ٥٧١/٨.

٦. الإسراء: ٨٨.

٧. هود: ١٣.

٨. يونس: ٣٨.

٩. البقرة: ٢٣.

البعض. إذاً فاحتمال التبديل ولو في بعض كلمات القرآن يبطل إسناد مجموع الكتاب إليه سبحانه وتعالى، ومن ذلك تعلم فساد ما قيل في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾[١]: إنّها تبدلت إلى «كُنْتُمْ خَيْرَ أئمَّةٍ»، كما زعمه الشيخ النوري والسيّد الجزائري[٢] وغيرهما. وزعموا في كثير من كلمات قرآنيّة مثل ذلك وقالوا: «ومثل هذا كثير».[٣] كلّ ذلك باطل؛ لأنّه ورد بخبر واحد وهو غير حجّة في باب القطعيّات.

وهكذا التبديل الموضعي يخلّ بنظم الكلام المبتني على الإعجاز نظماً وأُسلوباً. قالوا في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً...﴾.[٤] «إنّها متغيّرة من «ويتلوه شاهد منه إماماً ورحمة ومن قبله كتاب موسى» قالوا: «تقدّم حرف على حرف»، فذهب معنى الآية[٥] حسب زعمهم.

ومثله النقص بإسقاط كلمة أو كلمات ضمن جملة واحدة. إنّها إذا كانت منتظمة في أُسلوب بلاغي بديع، فإنّ حذف كلمات منها يؤدّي إلى إخلال في نظمها ويذهب بروعتها الأولى ولا يدع مجالاً للتحدّي بها. الأمر الذي غفل عنه زاعمو التحريف. زعموا إسقاط اسم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من مواضع من القرآن،[٦] ذهولاً عن أنّه لو أثبتناه في تلك المواضع لذهب عنها تلك الرّوعة، في حين عدم الحاجة إلى ذكر الاسم، وإنّما هو بيان شأن النزول لا غير.

وأسخف مزعومة زعمها هؤلاء هي سقط أكثر من ثلث القرآن ـ أي ما يزيد على ألفي آية ـ من خلال آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ

---

١. آل عمران: ١١٠.

٢. *منبع الحياة*، الجزائري: ٦٧.

٣. راجع: فيما نسبوه إلى النعماني، *بحار الأنوار*: ٩٠/٢٦ـ٢٧.

٤. هود: ١٧.

٥. *بحار الأنوار*: ٩٠/٢٦ـ٢٧.

٦. راجع: *منبع الحياة*: ٦٧.

فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ..﴾.[١] حيث إنّهم زعموا عدم تناسبها مع ذيلها.[٢]

الخلاصة

١. تتلخص دلائل بطلان شبهة التحريف والأُمور التي تمنع وقوعه في أُمور ثلاثة: بداهة العقل وتواتر القرآن والإعجاز، وما تبقى منها ستذكر في الدرس القادم.

٢. إنّ الصحيح من القراءات هي القراءة المتواترة المشهورة لدى المسلمين، وقد انطبقت على قراءة عاصم برواية حفص.

٣. إنّ وقوع التحريف في القرآن يتنافى مع وقوع التحريف تماماً؛ فإنّ التحريف بالزيادة باطل؛ لأنّ زيادة سورة كاملة في القرآن كما عليه العجاردة يخالف القرآن نفسه، والتحريف بالتبديل باطل أيضاً؛ لأنّه يستلزم أن ينسب جميع القرآن إلى مبدله وهو باطل أساساً.

٤. هناك أقوال مهجورة وشاذة في القول بالتحريف كالقول بإسقاط ثلث القرآن، أي ما يقرب من ألفي آية، وهو مذهب لا يستحقّ الإجابة.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. من القائل: «وما ورد من أخبار النقيصة تمنع البديهة من العمل بظاهرها...»؟

أ) الشيخ كاشف الغطاء ب) السيّد الخوئي

ج) السيّد الطباطبائي د) العلّامة الحلّي

٢. من الضروري أن يكون القرآن متواتراً

أ) في مجموعه وفي سوره.

ب) في أبعاضه وآياته.

ج) في مجموعه وأبعاضه وسوره وآياته.

د) أ و ب صحيح.

٣. لقد ذهب أصحاب ابن العجرد...

أ) إلى زيادة المعوذتين في القرآن.

ب) إلى زيادة سورة يوسف.

ج) إسقاط اسم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من مواضع من القرآن.

د) سلامة القرآن من التحريف.

الدرس الرابع والأربعون

الدلائل الأُخرى على بطلان التحريف

تناولنا في الدرس الماضي مجموعة من الأمور تتنافى مع وقوع التحريف في القرآن الكريم، منها بداهة العقل و التواتر القرآني والاعجاز، والآن نريد نكمل الأمور الأخرى التي ذكرت لمنع التحريف وهي كما يلي:

٤. آية الحفظ: قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.[١] هذه الآية الكريمة ضمنت بقاء القرآن وسلامته عن تطرّق الحدثان عبر الأجيال. وهو ضمان إلهي لا يختلف ولا يتخلّف وعداً صادقاً: ﴿...إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.[٢]

وهذا هو متقضى قاعدة اللطف: «يجب على الله تعالى ـ وفق حكمته في التكليف ـ فعل ما يوجب تقريب العباد إلى الطاعة وبعدهم عن المعصية». ولا شكّ أنّ القرآن هو عماد الإسلام وسنده الباقي مع بقاء الإسلام، وهو خاتمة الأديان السماويّة الباقية مع الخلود. الأمر الّذي يستدعي بقاء أساسه ودعامته قويمة مستحكمة ولا تنثلم مع عواصف أحداث الزمان. وأجدر به ألّا يقع عرضة لتلاعب أهل البدع والأهواء، شأن كلّ سند وثيق يبقى، ليكون حجّة ثابتة مع مرّ الأجيال، وهذا الضمان الإلهي هو أحد

---

١. الحجر: ٩.

٢. الرعد: ٣١.

جوانب إعجاز هذا الكتاب، وأن يبقى سليماً على أيدي الناس وبين أظهرهم، وليس في السماء في البيت المعمور في حقائب مخبوءة وراء الستور. ليس هذا إعجازاً إنّما الإعجاز هو حفظه وحراسته في معرض عام وعلى ملأ الأشهاد.

٥. نفي الباطل عنه: قال تعالى: ﴿...وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.[1] وعد تعالى صيانته من الضياع وسلامته من حوادث الأزمان. قوله: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ...﴾، الباطل: الفاسد الضائع: أي: لا يعرضه فساد أو نقض لا في حاضره ولا في مستقبل الأيّام؛ وذلك لأنه ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ﴾ لدن ﴿حَكِيمٍ﴾، وأنّ حكمته تعالى لتبعث على ضمان حفظه وحراسته مع أبديّة الإسلام. ﴿حَمِيدٍ﴾، من كان محموداً على فعاله فلا يخلف الميعاد، وقد اعترف الخصم بأنّ مطلق التغيير في القرآن يعدّ باطلاً وتنافياً مع ظاهر الآية الكريمة، سوى أنّ المقصود غير هذا المعنى. قال:

لأنّ المقصود هو البطلان الحاصل من تناقض أحكامه وتكاذب أخباره.[2]

قلت: «لعلّه لم يتنبّه لموضع قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ﴾. والباطل الّذي يمكن إتيانه للكتاب هو تناول يد المحرّفين ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾.[3] أمّا التناقض والتكاذب في أحكامه وإخباراته فهو من الباطل المنبعث من الداخل، وقد نفاه تعالى أيضاً بقوله: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا...﴾.[4] ومن ثَمّ أطبق المفسّرون على أنّ آية نفي الباطل هي من أصرح الآيات دلالة على نفي احتمال التحريف من الكتاب فلا يناله مغيّر أبداً.

---

١. فصّلت: ٤١ ـ ٤٢.

٢. *فصل الخطاب*: ٣٦١.

٣. الحجر: ٩١.

٤. النساء: ٨٢.

٦. العرض على كتاب الله: قال الصادق عليه السلام:

«إنّ على كلّ حقيقة وعلى كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه».[١]

الأمر الذي يتنافى مع احتمال التحريف في كتاب الله، وذلك من جهتين:

الجهة الأُولى: إنّ المعروض عليه يجب أن يكون مقطوعاً به؛ لأنّه المقياس الفارق بين الحقّ والباطل ولا موضع للشكّ في نفس المقياس. إذاً لو عرضت روايات التحريف على نفس ما قيل بسقوطه لتكون موافقة له، فهذا عرض على المقياس المشكوك فيه، وهو دور باطل. وإن عرضت على غيره فهي تخالفه، قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ...﴾[٢] و ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.[٣]

الجهة الثانية: إنّ العرض لابدّ أن يكون على هذا الموجود المتواتر لدى عامّة المسلمين لما ذكرناه ـ في الجهة الأُولى ـ من أنّ المقياس لا بدّ أن يكون متواتراً مقطوعاً به، وروايات التحريف إذا عرضت على هذا الموجود بأيدينا كانت مخالفة له؛ لأنّها تنفي سلامة هذا الموجود وتدلّ على أنّه ليس ذلك الكتاب النازل على رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا تكذيب صريح للكتاب ومخالفة مع القرآن.

٧. نصوص أهل البيت عليهم السلام: لدينا كثير من أحاديث مأثورة عن أهل البيت عليهم السلام تنصّ على صيانة القرآن من التحريف ـ إمّا تصريحاً أو تلويحاً ـ وأنّه مصون عن التغيير نصّاً، لم ينله مسّ سوء أصلاً. وإنْ نالته الأيدي الأثيمة تأويلاً وتفسيراً بغير حقّ.

---

١. *الكافي*: ٦٩/١.

٢. فصّلت: ٤٢.

٣. الحجر: ٩.

موانع وقوع التحريف:
- بداهة العقل
- تواتر القرآن
- مسألة الإعجاز
- آية الحفظ
- نفي الباطل عنه
- روايات العرض على الكتاب
- نصوص أهل البيت

الخلاصة

١. تعدّ آية الحفظ ضمان إلهي لسلامة القرآن من التحريف؛ لأنّ مقتضى قاعدة اللطف هو أن يبقى محفوظاً من أي خلل.

٢. أطبق المفسّرون على أنّ آية نفي الباطل هي من أصرح الآيات دلالة على نفي احتمال التحريف من الكتاب.

٣. يعتبر في روايات العرض على الكتاب أمران: الأوّل لا بدّ أنّ يكون العرض على المقياس المقطوع به لا المشكوك به، أن يكون العرض على هذه الموجود المتواتر لدى المسلمين.

٤. ممّا يستدلّ به على عدم وقوع التحريف هو النصوص الصحيحة عن أهل البيت، والتي دلّت على خلو القرآن من أي نقص أو خلل.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. معنى قوله تعالى ﴿لَا يأْتِيهِ الْبَاطِلُ﴾:

أ) لايعرضه فساد في المستقبل.

ب) لا يعرضه فساد لا في حاضره ولا في مستقبل الأيّام.

ج) لايعرضه فساد في الحاضر.

د) الكلّ غير صحيح.

٢. تدلّ هذه الرواية «فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه» على:

أ) سلامة القرآن من التحريف.

ب) احتمال وقوع التحريف.

ج) عرض روايات التحريف على القرآن.

د) كلّها خطأ.

٣. روايات أهل البيت:

أ) تدلّ على عدم وقوع التحريف تصريحاً وتلويحاً.

ب) دلّت على وقوعه في بعض المواطن.

ج) أشارت إلى أنّ القرآن مصون عن التغيير.

د) أ و ج.

٤. ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة:

أ) معنى قاعدة اللطف هو: يجب على الله تعالى ـ وفق حكمته في التكليف ـ فعل ما يوجب تقريب العباد إلى الطاعة وبعدهم عن المعصية(   ).

ب) معنى قاعدة اللطف هو: يجب على الله تعالى ـ وفق حكمته في التكليف ـ فعل ما يوجب تقريب العباد إلى الطاعة دون المعصية(   ).

الدرس الخامس والأربعون

دعاوى القائلين بالتحريف

إلى هنا تبين للطلاب الكرام جملة من الأمور عن موضوع التحريف، وقد أكملنا في الدرس السابق الأدلّة السبعة على بطلان التحريف، ولكن مانشير إليه مرّة أُخرى هنا هو أنّ موضوع البحث والتحريف الذي دار عليه الكلام ليس هو التحريف الموضعي ولا المعنوي و...، بل هو التحريف بالزيادة والنقيصة في الآيات والسور والجمل والكلمات والحروف، الأمر الذي نفيناه قطعاً، وهنا نحاول أن نعرض لكم الدعاوى التي استدلّ بها أصحاب التحريف ومناصروه، وهي:

الدعوى الأولى

الدعوى الأولى التي ذهب إليها القائلون بالتحريف هي ما ورد عن رسول اللهﷺ أنّه قال:

«كلّ ما كان في الأمم السالفة فإنّه يكون في هذه الأُمة مثله حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة».[1]

ومن المعلوم أنّ التحريف وقع في الأمم السابقة فسوف يقع في الإسلام.

---

١. *كمال الدين*: ٥٧٦ باب ٥٤.

الرد على الدعوى الأولى

التحريف تارة يكون لفظياً، وأُخرى يقع في عدم اتّباع معاني القرآن، والتحريف الواقع في الإسلام وفي القرآن قد يكون بالمعنى الثاني لا الأوّل ويصدق الحديث المتقدّم. أضف إلى ذلك أنّ هذه الأحاديث أحاديث آحاد لا يمكن تحكيمها في هكذا مسألة تعتبر من أخطر المسائل في أي ديانة، فلا بدّ من الحصول على الاطمئنان فيها وهذا غير حاصل، ناهيك عن وقوع الكثير من الأمور في الأمم السالفه لم يقع مثلها في الإسلام، سواء ما يتعلّق بالأنبياء والأوصياء أو ما تعلّق بالأمم والشعوب من قبيل العذاب الجماعي الذي يحصل كغرق آل فرعون، وتيه بني إسرائيل، وولادة عيسى من غير أب، وغير ذلك من أُمور حصلت في الأُمم السالفة ولم تحصل في أُمة الإسلام.

الدعوى الثانية

قد ثبت أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أتى القوم وهو يحمل مصحفاً يحتوي على أُمور ليست موجودة في القرآن الكريم ممّا يستدعي القول بنقص القرآن الموجود بين أيدينا.

ومن الروايات الواردة في هذا المجال، احتجاج علي عليه السلام على بعضهم بالقول:

«يا طلحة، إنّ كلّ آية أنزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وآله عندي بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط يدي أو تأويل كلّ آية أنزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وآله، وكلّ حلال أو حرام أو حدّ أو حكم أو شيء تحتاج إليه الأُمة إلى يوم القيامة فهو عندي مكتوب بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط يدي حتّى أرش الخدش».[١]

وقول أبي جعفر عليه السلام:

«ما يستطيع أحد أن يدعي عنده جميع القرآن كلّه ظاهره وباطنة غير الأوصياء».[٢]

---

١. *مقدّمة تفسير البرهان*: ٢٧٧/١.

٢. *الكافي*: ٢٢٨/١، الحديث ٢.

وغير ذلك من الروايات التي تشير إلى وجود مصحف كامل في يد الإمام علي عليه السلام يختلف عن المصحف الموجود في أيدينا.

الرد على الدعوى الثانية

إنّ وجود زيادات في مصحف الإمام أمير المؤمنين أمر لاشكّ ولا شبه فيه، ولكن نحن كلامنا ليست في وجود الزيادات وعدم وجودها، وإنّما في كون هذه الزيادات من القرآن أم لا؟

وهذا ما لا تثبته الروايات المتقدّمة، فإنّ الزيادات قد تكون تفسيراً وشرحاً وتأويلاً للآيات القرآنية من لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن الإمام علي عليه السلام باعتباره قرين القرآن بنصّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

الدعوى الثالثة

هناك بعض الروايات تشير إلى وجود تحريف في القرآن الكريم، وقد عرض السيّد الخوئي هذه الروايات على شكل طوائف متعددة، وللاطّلاع على تفاصيل هذه الروايات ومصادرها والرد عليها يراجع كتاب *البيان* للسيّد الخوئي *والتمهيد* لمعرفة و.... .

الخلاصة

١. لقد ذهب البعض إلى وقوع التحريف في القرآن واستدلّوا بأُمور ثلاثة:

الأوّل: حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الأمم السابقة.

الثاني: مصحف الإمام علي عليه السلام.

الثالث: الروايات التي أشارت إلى وقوع التحريف.

٢. وقد أجيب عن الأمر الأوّل بأنّه قديكون المقصود من التحريف هنا هو انحراف الأئمة عن العمل بدينها، مضافاً إلى أنّ الكثير ممّا وقع في تلك الأمم لم يتكرر وقوعه في أُمتنا.

٣. وأُجيب عن الأمر الثاني بأنّ مصحف الامام علي هو شرح للقرآن وبيان لأسراره وخفاياه وليس شيء من نصّ القرآن.

٤. الجواب عن الأمر الثالث موكول للمصادر التي أشرنا إليها.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة

١. إنّ الحديث الذي روي عن للنبيﷺ «كلّ ما كان في الأمم السالفة فإنّه يكون في هذه الأُمة مثله حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة» ونحوه هو:

أ) من الأحاديث الصحيحة. ب) من أحاديث الآحاد.

ج) من الأحاديث المختلقة. د) لا شيء من ذلك.

٢. من مواضعات مصحف لإمام علي في

أ) كون هذه المصحف مصحف آخر.

ب) إنّ هذه المصحف مأخوذ عن جبرئيل.

ج) إنّه غير الموجود بأيدينا.

د) إنّه شرح وتفسير للقرآن الكريم. الوجودتين ايدينا.

٣. ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة:

أ) إنّ مثل غرق آل فرعون، وغير ذلك من أُمور قد حصلت في الأُمم السالفة ولم تحصل في أُمة الإسلام، فهو اشارة لا بطلان دعوى تطابقت ماحدث في لامم السابقه موافة النبى محمدﷺ( ).

ب) إنّ مثل غرق آل فرعون، وغير ذلك من أُمور قد حصلت في الأُمم السالفة ولم تحصل في أُمة الإسلام، فهو دليل على صدق دعوى تطابق مايحدث يتق الامم السابقة وامة محمد( ).

الدرس السادس والأربعون

الناسخ والمنسوخ

من طبيعة الحركة الإصلاحيّة الآخذة إلى التقدّم بوجه عامّ، أن يتوارد على تشريعاتها نسخ متتابع، حسب تدرّجها التصاعدي نحو قمّة الكمال، وهكذا استدعت التشريعات الإسلاميّة نسخاً متتالياً منذ أن ظهرت الدعوة في مكّة المكرّمة وحتّى إلى ما بعد الهجرة إلى المدينة المنوّرة وقد انتهت شريعة النسخ ـ فيما يخصّ آي الذكر الحكيم ـ بوفاته ﷺ حيث انقطع الوحي.

أوّل من صنف في علم النسخ

أوّل من جمع أُصول هذا العلم في تدوين جامع هو أبو محمّد عبد الله بن عبد الرحمن الأصمّ المسمعيّ من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، له رسالة في الناسخ والمنسوخ.

تعريف النسخ

النسخ هو: رفع تشريع سابق ـ كان يقتضي الدّوام حسب ظاهره ـ بتشريع لاحق بحيث لا يمكن اجتماعهما معاً، إمّا ذاتاً ـ إذا كان التنافي بينهما بيّناً ـ أو بدليل خاصّ، من إجماع أو نصّ صريح.

إذاً فرفع الحكم عن بعض أفراد العامّ، ليس نسخاً في الاصطلاح، بل هو

تخصيص، إذ لم يرتفع التشريع السابق نهائيّاً، وإنّما اختصّ بسائر الأفراد.

وكذلك إذا كان الحكم محدوداً صريحاً من أوّل الأمر فارتفاعه بانتهاء أمده لا يكون نسخاً في الاصطلاح.

وهكذا إذا ارتفع تكليف عند مصادفة حرج أو اضطرار أو ضرر شخصيّ أو لمصلحة وقتيّة ـ على ما يفصّلها الفقهاء ـ لا يكون من النسخ في شيء، إذ جميع ذلك لم يكن من ارتفاع التشريع، وإنّما تبدّل الموضوع بطرو أحد هذه العناوين، كما لو جاز للمضطرّ أن يأكل من الميتة بقدر ما يسدّ رمقه، فإنّ مثل هذا الجواز لا يكون نسخاً للحرمة الأصليّة التي كان موضوعها الإنسان المختار وقد تبدّل إلى إنسان مضطرّ.

الخلاصة

١. اوّل من صنّف في علم الناسخ والمنسوخ هو: أبو محمّد عبد الله بن عبد الرحمن الأصمّ المسمعيّ.

٢. النسخ هو رفع تشريع سابق ـ كان يقتضي الدّوام حسب ظاهره ـ بتشريع لاحق بحيث لا يمكن اجتماعهما معاً، إمّا ذاتاً ـ إذا كان التنافي بينهما بيّناً ـ أو بدليل خاصّ، من إجماع أو نصّ صريح.

٣. إنّ رفع الحكم عن بعض أفراد العامّ، ورفع تكليف عند مصادفة حرج أو اضطرار ورفع الحكم المحدود بوقت بانتهاء أمده.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. أول من صنف في علم الناسخ والمنسوخ:

أ) أبان بن تغلب. ب) زرارة بن أعين.

ج) أبو بصير. د) عبد الله المسمعي.

٢. النسخ هو:

أ) رفع تشريع سابق بتشريع لاحق.

ب) رفع الحكم عن بعض أفراد العامّ.

ج) رفع تكليف عند مصادفة حرج أو اضطرار.

د) رفع الحكم المحدود بوقت بانتهاء أمده.

٣. رفع الحكم عن بعض أفراد العامّ.

أ) نسخ. ب) تقييد.

ج) تخصيص. د) لا شيء منها.

الدرس السابع والأربعون

حقيقة النسخ

تكلّمنا في الدرس السابق عن معنى النسخ اصطلاحاً والمعاني الخارجة عنه، وما نريد التعرّف عليه في هذا الدرس هو حقيقة النسخ التي يصحّ أن تصدق في حقّه تعالى، حيث من الأمور المهمّة التي تساعد على فهم مطالب علوم القرآن وبحوثه هي التعرّف على مرامي ومقاصد المصطلحات المتداولة فيه، وكما تعلمون فإنّ النسخ واحد من بحوثه المهمّة، فتعالوا نتعرّف على حقيقته وما هو النسخ الذي يجوز أن ننسبه لله تعالى؟ وما هو فرقه عن البداء والتخصيص؟

حقيقة النسخ في حقّه تعالى

النسخ في حقيقته الأوّليّة ـ بمعنى «نشأة رأي جديد» ـ مستحيل عليه تعالى، إذ هو بذاك المعنى يستدعي تبدّل رأي المشرِّع، بظهور خطأ أو نقص في تشريعه السابق، عثر عليه متأخّراً فأبدل رأيه إلى تشريع آخر ناسخ للأوّل، ويكون هذا الأخير هو الكامل الصحيح في نظره فعلاً، ويجوز تبدّل رأيه ثانياً وثالثاً إلى تشريع ثالث ورابع وهكذا، ما دام احتمال خطئه في كلّ تشريع. هذا المعنى إنّما يختصّ بالمشرِّعين غير المحيطين بالمصالح والمفاسد الكامنة وراء الأمور. أمّا العالم بالخفايا المحيط بجوامع الواقعيات

في طول الزمان وعرضه على حدّ سواء فيمتنع عليه أن يخطأ في إصابة الواقع، أو يفوته نقص كان غافلاً عنه ثُمّ وجده.

إذاً فالنسخ المنسوب إليه تعالى نسخ في ظاهره، أمّا الواقع فلا نسخ أصلاً وإنّما هو حكم مؤقّت وتشريع محدود من أوّل الأمر، وأنّه تعالى لم يشرّعه حين شرّعه إلاّ وهو يعلم أنّ له أمداً ينتهي إليه وإنّما المصلحة الواقعيّة اقتضت هذا التشريع المؤقّت، لكن لمصلحة في التكليف أخفى تعالى بيان الأمد، ثُمّ في نهاية الأمد جاء البيان إلى الناس: إنّ هذا التشريع قد انتهى بهذا الأجل، ومن المصلحة الاختبارُ بتوطينهم على الطاعة فيما كان التكليف السابق شاقّاً ـ مثلاً ـ وغير ذلك. وعليه فالتعبير عن هذه الظاهرة الدينيّة بالنسخ تعبير ظاهري وليس من الحقيقة في شيء.

الفرق بين النسخ والبداء

النسخ خاصّ بالتشريعيات ـ اصطلاحاً ـ والبداء بالتكوينيات، وإنّ كلّاً منهما في مفهومه الأصلي ـ وهو تبدّل الرأي ـ مستحيل على الله تعالى بالقياس إلى علمه تعالى الأزلي المحيط، بلا فرق.

إذاً فكما أنّ النسخ إنّما كان بمعناه الظاهري مستعملاً في الشريعة وهو ظهور الشيء بعد خفائه على الناس، فكذلك البداءُ ظهورُ أمرٍ بعدَ خفاء، سوى أنّ الأوّلَ ظهورُ أمدِ حكمٍ كان معلوماً عند الله خافياً على الناس، والثاني ظهور أمرٍ أو أجل كان حتمياً عنده تعالى من الأزل، وخافياً على الناس، ثُمّ بدا لهم أي: ظهرت لهم حقيقته.

الفرق بين النسخ والتخصيص

إطلاق النسخ على التخصيص كان شائعاً في متداول السلف، ومن ثَمّ أكثروا القول في عدد الآي المنسوخة.

ويفترق النسخ عن التخصيص: إنّ النسخ قطع لاستمرار التشريع السابق بالمرّة بعد أن عمل به المسلمون في فترة من الزّمن طويلة أم قصيرة. أمّا التخصيص: فهو قصر الحكم العامِ على بعض أفراد الموضوع وإخراج البقيّة عن الشمول، قبل أن يعمل المكلّفون بعمومِ التكليف.

فالنسخ اختصاص للحكم ببعض الأزمان. والتخصيص اختصاصه ببعض الأفراد، ذاك تخصيص أزماني وهذا تخصيص أفرادي ولا يشتبه أحدهما بالآخر.

الخلاصة

١. حقيقة النسخ بمعنى نشأة رأي جديد، و هو أمر يخصّ الآدمين ولا يجوز في حقّه تعالى ـ وإلّا لجاز في حقّه النقص.

٢. النسخ في حقّه تعالى هو نسخ في ظاهره لا في الواقع، فإنّ الحكم مؤقّت والتشريع محدود من أوّل الأمر وأنّه تعالى لم يشرّعه حين شرّعه إلاّ وهو يعلم أنّ له أمداً ينتهي إليه.

٣. الفرق بين النسخ والبداء: هو أنّ الأوّل خاصّ بالتشريعيات، والثاني خاصّ بالتكوينيات.

٤. الفرق بين النسخ والتخصيص أنّ الأوّل اختصاص الحكم بمقطع من الزمن، والثاني اختصاصه ببعض الأفراد دون غيرها.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة

١. النسخ في حقّه تعالى:

أ) رفع الحكم عن بعض أفراده.

ب) رفع الحكم عن بعض خصوصياته.

ج) نسخ واقعي.

د) نسخ ظاهري.

٢. البداء اصطلاحاً أمر يخصّ:

أ) التكوينيات. ب. التشريعيات.

ج) التشريعيات والتكوينيات. د) لا يخصهما معاً.

٣. الأوّل تخصيص أزماني والثاني تخصيص أفرادي

أ) النسخ والبداء. ب) النسخ والتخصيص.

ج) البداء والتخصيص. د) أ و ج صحيح.

الدرس الثامن والأربعون

شروط النسخ في القرآن

بعد أن محصنا معنى النسخ وحقيقته، وميزنا معناه عن معنى التخصيص والبداء نريد أن نعرف في هذا الدرس على شروط النسخ والأمور التي يجب تحقّقها حتّى يتحقّق النسخ، وهي خمسة أُمور تدور حول الناسخ والمنسوخ ومتعلّقاتهما، فلو انتفى أحد هذه الشروط لم يتحقّق النسخ.

شروط النسخ

الأوّل: تحقّق التنافي بين تشريعين وقعا في القرآن، بحيث لا يمكن اجتماعهما في تشريع مستمرّ، تنافياً ذاتيّاً، كما في آيات وجوب الصفح مع آيات القتال، فإنّ قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يرْجُونَ أَيامَ اللَّهِ..﴾[1] أمر بالصفح عن المشركين إذ كان المؤمنون بمكّة في ضعف شديد فنسخت بالإذن في القتال أوّلاً بقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.[2] ثُمّ التحريض عليه بقوله تعالى: ﴿يا أَيهَا النَّبِي حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ...﴾[3] وأخيراً باستئصال المشركينَ عامّةً

---

١. الجاثية: ١٤.

٢. الحج: ٣٩.

٣. الأنفال: ٦٥.

بقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾.[١]

أو بدليل قاطع دلّ على نقض التشريع السابق بتشريع لاحق، كما في آية الإمتاع إلى الحول مع آية الاعتداد بأربع أشهر وعشرة أيّام وآية المواريث فإنّ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾،[٢] نسخت بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا...﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿...وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ...﴾.[٤] فقد قام الإجماع على نسخ الأولى بالأخيرتين.[٥]

الثاني: أن يكون التنافي كليّاً على الإطلاق، لا جزئيّاً وفي بعض الجوانب، فإنّ الثاني تخصيص في الحكم العامّ، وليس من النسخ في شيء. فإنّ قوله تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ...﴾،[٦] لاتصلح ناسخة لقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ...﴾،[٧] بعد أن كانت الأولى أخصّ من الثانية والخاصّ لا ينسخ العامّ، بل يخصّصه بما عداه من أفراد الموضوع.

الثالث: ألّا يكون الحكم السابق محدّداً بأمد صريح؛ لأنّ الحكم بنفسه يرتفع عند

---

١. التوبة: ٥.

٢. البقرة: ٢٤٠.

٣. البقرة: ٢٣٤.

٤. النساء: ١٢.

٥. راجع: *تفسير المختصر*، شبر: ٧٦.

٦. النور: ٦٠.

٧. النور: ٣١.

انتهاء أمده من غير حاجة إلى النسخ، فمثل قوله تعالى: ﴿...فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ...﴾،[1] لا يصدق عليه النسخ عندما تفيء الفئة الباغية وترجع إلى رشدها والتسليم لحكم الله.

الرابع: أن يتعلّق النسخ بالتشريعيّات، فلا نسخ فيما يتعلّق بالأخبار، فقوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾،[2] لا يصلح ناسخاً لقوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾.[3] فيما زعمه مقاتل بن سليمان؛ لأنّ الآية إخبار عن واقعيّة لا تتغيّر بالوجوه والاعتبار.

وهكذا الإباحة الأصليّة ترتفع بحدوث التشريع من غير أن يكون ذلك نسخاً، حيث إنّ تلك الإباحة لم تكن بتشريع، وإنّما كانت بحكم العقل الفطري (البراءة العقليّة)، وموضوعها: عدم التشريع فترتفع بالتشريع.

الخامس: التحفّظ على نفس الموضوع، إذ عندما يتبدّل موضوع حكم إلى غيره، فإنّ الحكم يتغيّر لا محالة حيث إنّ الحكم قيد موضوعه، وليس هذا نسخاً، فمثل قوله تعالى: ﴿...فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ..﴾،[4] ليس ناسخاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ..﴾.[5] الأمر الذي اشتبه على كثير ممّن كتب في النسخ كابن حزم.[6]

---

١. الحجرات: ٩.

٢. الواقعة: ٣٩ ـ ٤٠.

٣. الواقعة: ١٣ ـ ١٤.

٤. البقرة: ١٧٣.

٥. البقرة: ١٧٣.

٦. *رسالة الناسخ والمنسوخ* (بهامش الجلالين): ١٦١/٢.

شروط النسخ:
- أن يكون التشريعان متنافيين
- أن يكون التنافي بين التشريعين كلياً
- ألّا يكون الحكم السابق محدداً
- أن يكون النسخ متعلّقاً بالتشريعات
- أن يكون الموضوع واحداً

الخلاصة

حتّى تتم عملية النسخ فلا بدّ من توفر شروط خمسة:

الأوّل: أن يكون بين الناسخ والمنسوخ تنافي، كما في آيات وجوب الصفح مع آيات القتال.

الثاني: أن يكون التنافي بين الناسخ والمنسوخ كلياً على الإطلاق، فتخرج آية النساء القواعد مع آية غض البصر.

الثالث: ألّا يكون الحكم المنسوخ محدداً بزمن معين.فتخرج آية ﴿...فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ...﴾.

الرابع: أن يكون متعلّق النسخ هو التشريعات. فقوله تعالى ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾، لا يصلح أن يكون ناسخاً لقوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾.

الخامس: أن يكون الموضوع بين الناسخ والمنسوخ واحداً. فقوله تعالى: ﴿...فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ..﴾، ليس ناسخاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ..﴾ لاختلاف الموضوع.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. الآية ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ والآية ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا...﴾:

أ) بينهما تخصيص. ب) بينهما نسخ.

ج) بينهما تقييد. د) لا علاقة بينهما.

٢. الآية: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ...﴾ والآية: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ...﴾:

أ) بينهما عامٍ وخاصّ. ب) بينهما ناسخ ومنسوخ.

ج) علّة ومعلول. د) لا علاقة بينهما.

٣. الآية ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾، لا تصلح ناسخة للآية: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾.

أ) لأنّ الموضوع بينهما مختلف.

ب) لأنّ الحكم متعلّق بأمد صريح.

ج) لأنّ التنافي بيهما جزئي.

د) لأنّ الآية إخبار عن واقعيّة لا تتغيّر بالوجوه والاعتبار.

الدرس التاسع والأربعون

أصناف النسخ في القرآن

بعد تبينت معاني النسخ وشروطه وأين يتحقّق وأين لايتحقّق، نشرع الآن بعرض الصور التي يمكن أن يتصوّر فيها النسخ، وأي من هذه الصور والأصناف تجوز و أي منها لاتجوز، حيث إنّ بعض أنواع النسخ تكون مرفوضة ويلزم منها توالي فاسدة، وتتمحور هذه الأصناف حول الحكم والتلاوة، فتارة يكون المنسوخ هو التلاوة، وأُخرى الحكم، وثالثة الاثنان معاً، فهذه ثلاث صور نشرحها تباعا بشيء من التفصيل والبيان.

النسخ في القرآن يتصوّر على أقسام

الأوّل: نسخ الحكم والتلاوة معاً: بأن تسقط من القرآن آية كانت ذات حكم تشريعي وكان المسلمون يقرؤونها ويتعاطون حكمها، ثُمّ نسخت وبطل حكمها ومحيت عن صفحة الوجود رأساً وهذا النوع من النسخ مرفوض عندنا: ﴿لَا يأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.[1]

والقائلون بهذا القول استندوا إلى حديث عائشة، قالت:

كان فيما أُنزل من القرآن: عشر رضعات معلومات يحرّمن، ثُمّ نسخن بخمس

---

١. فصّلت: ٤٢.

معلومات» قالت: وتوفّي رسول اللهﷺ وهنّ فيما يقرأ من القرآن.[١]

وكانت الصحيفة تحت السرير فاشتغلنا بدفن رسول اللهﷺ فدخل داجن البيت فأكله.[٢] وهذا حديث واحد يرجع إلى التلاعب بالقرآن الكريم مضافاً إلى أنّ هذا القول يرجع إلى القول بالتحريف ونسيان آية تتلى حتّى وفاة رسول اللهﷺ، الأمر الذي ينكره جماعة المسلمين. ومعلوم أنّ بما ذكرته عائشة لا ينعدم حفظه من القلوب ولا يتعذّر عليهم إثباته في صحيفة أُخرى، فعرفنا أنّه لا أصل لهذا الحديث.

الثاني: نسخ التلاوة دون الحكم: بأن تسقط آية من القرآن الحكيم، كانت تقرأ، وكانت ذات حكم تشريعيّ، ثُمّ نسيت ومحيت عن صفحة الوجود لكن كان حكمها بقي مستمراً غير منسوخ. وهذا النوع من النسخ أيضاً مرفوض عندنا؛ لأنّ القائل بذلك إنّما يتمسّك بأخبار آحاد زعمها صحيحة الإسناد، وغفل عن أنّ نسخ آية محكمة شيء لا يمكن إثباته بأخبار آحاد لا تفيد سوى الظنّ و﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾.

هذا فضلاً عن منافاته لمصحلة نزول نفس الآية أو الآيات، إذ لو كانت المصلحة التي كانت تقتضي نزولها هي اشتمالها على حكم تشريعي ثابت فلماذا ترفع الآية وحدها، في حين اقتضاء المصلحة بقاء الآية لتكون سنداً للحكم الشرعي المذكور. والالتزام بذلك التزام صريح بتحريف القرآن وحاشاه من كتاب إلهي خالد مصون.

قال السرخسي:

> إنّ صوم كفارة اليمين ثلاثة أيّام متتابعة، بقراءة ابن مسعود: «فصيام ثلاثة أيّام متتابعات». وقد كانت هذه قراءة مشهورة إلى زمن أبي حنيفة، ولكن لم يوجد فيها النقل المتواتر، الذي يثبت بمثله القرآن، وابن مسعود لا يشكّ في عدالته وإتقانه، فلا وجه لذلك إلّا أن نقول: كان ذلك ممّا يتلى في القرآن ـ كما حفظه

---

١. *صحيح مسلم*: ١٦٧/٤.

٢. *أُصول السرخسي*: ٧٨/٢ ـ ٨٠.

ابن مسعود ـ ثُمّ انتسخت تلاوته في حياة رسول الله ﷺ بصرف القلوب عن حفظها إلّا قلب ابن مسعود ليكون الحكم باقياً بنقله، فإنّ خبر الواحد موجب للعمل به، وقراءته لا تكون دون روايته، فكان بقاء هذا الحكم بعد نسخ التلاوة بهذا الطريق.[1]

ولا يخفى سخافة هذا الاستدلال.

الثالث: نسخ الحكم دون التلاوة: وذلك بأن تبقى الآية ثابتة في الكتاب يقرؤها المسلمون عبر العصور سوى أنّها من ناحية مفادها التشريعيّ منسوخة، لا يجوز العمل بها بعد مجيء الناسخ القاطع لحكمها.

وهذا النوع من النسخ هو المعروف بين العلماء والمفسّرين واتّفق الجميع على جوازه إمكاناً وعلى تحقّقه بالفعل أيضاً، حيث توجد في القرآن الحاضر آيات منسوخة وآيات ناسخة.

وكانت لهذا النوع من النسخ أنحاء ثلاثة، وقع الكلام في إمكان بعضها:

الأوّل: أن ينسخ مفاد آية كريمة بسنّة قطعيّة أو إجماع محقّق، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ...﴾،[2] فإنّه ـ بظاهره ـ لا يتنافى مع قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا...﴾،[3] وقوله: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ...﴾،[4] غير أنّ السنّة القطعية وإجماع المسلمين أثبتا نسخ الأوّل بالأخيرين.

---

١. *أصول السرخسي*: ٢/ ٨١.

٢. البقرة: ٢٤٠.

٣. البقرة: ٢٣٤.

٤. النساء: ١٢.

الثاني: أن ينسخ مفاد آية بآية أخرى، بحيث تكون الثانية ناظرة إلى مفاد الأولى ورافعة لحكمها بالتنصيص، ولولا ذلك لم يكن موقع لنزول الثانية وكانت لغواً. مثلاً: قوله تعالى ﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَينَ يدَي نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً...﴾[1] أوجب التصدّق بين يَدَي مناجاة الرسول ﷺ، ونسخته قوله تعالى: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَينَ يدَي نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ...﴾.[2] وهذا النحو من النسخ لم يختلف فيه أحد.

الثالث: أن تنسخ آية بأُخرى من غير أن تكون إحداهما ناظرة إلى الأُخرى سوى أنّهم وجدوا التنافي بين الآيتين، بحيث لم يمكن الجمع بينهما تشريعياً، ومن ثَمّ أخذوا الثانية المتأخّرة نزولاً ناسخاً للأُولى.

ويجب أن يكون التنافي بين الآيتين كليّاً ـ على وجه التباين الكلّي ـ لا جزئيّاً وفي بعض الوجوه، ويشترط في هذا القسم الثالث، وجود نصّ صحيح وأثر قطعيّ صريح، يدعمه إجماع القُدامى، إذ من الصعب جدّاً الوقوف على تاريخ نزول آية في تقدّمها وتأخّرها، ولا عبرة بثبت آية قبل أُخرى في المصحف، إذ كثير من آيات ناسخة هي متقدّمة في ثبتها على المنسوخة، كما في آية العدَد برقم: ٢٣٤ من البقرة وهي ناسخة لآية الإمتاع إلى الحول برقم: ٢٤٠ من نفس هذه السورة، وهذا إجماع.

كما أنّ التنافي ـ على الوجه الكلّي ـ لا يمكن القطع به بين آيتين قرآنيّتين سوى عن نصّ معصوم ﷺ؛ لأنّ للقرآن ظاهراً وباطناً ومحكماً ومتشابهاً وليس من السهل الوقوف على كنه آية مهما كانت محكمة.

إشكال:

إنّ الالتزام بوجود آيات ناسخة وآيات منسوخة في القرآن يستدعي وجود تناف

---

١. المجادلة: ١٢.

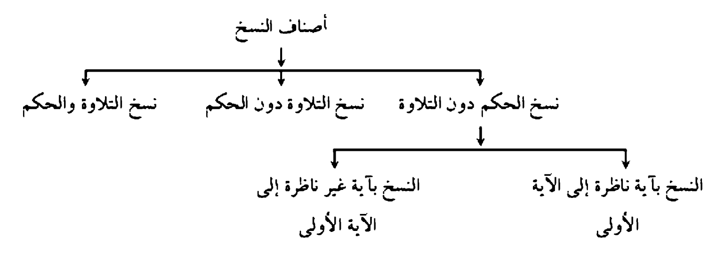
٢. المجادلة: ١٣.

بين آياته الكريمة، الأمر الذي يناقضه قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.[1]

الجواب: إنّ الاختلاف الذي تنفيه الآية الكريمة هو ما إذا كان حقيقيّاً في ظرف الواقع، أمّا إذا كان شكليّا وفي ظاهر الأمر ـ كما بين الناسخ والمنسوخ ـ فلا تناقضه الآية، مثلاً: يشترط في الاختلاف الحقيقيّ (التناقض) أمور ثمانية،[2] منها: وحدة الزمان ووحدة الملاك والشرط، وإذا تخلّف أحدها فلا تنافي ولا اختلاف، كما في الناسخ، ظرفه متأخّر وملاكه مصلحة أُخرى، تبدّلت عن مصلحة سابقة كانت مستدعية لذلك الحكم المنسوخ.

إشكال: ما هي الفائدة وراء ثبت الآية المنسوخة في القرآن؟

الجواب: لا تنحصر فائدة آية قرآنيّة في الحكم التشريعي فقط، بل للآية أهداف كثيرة، منها ـ مضافة إلى الإعجاز والتحدّي العام ـ الدلالة على مراحل الدعوة الإسلاميّة.



الخلاصة

١. أنواع النسخ هو نسخ الحكم والتلاوة معا، وهذا النوع لم يقع وهو باطل عندنا، والذين صححوا هذا النوع من النسخ استندوا لأحاديث لا أصل لها.

---

١. النساء: ٨٢.

٢. راجع: *المنطق*، العلّامة المظفّر: ٤٢/٢.

٢. ثاني أنواع النسخ هو أن تنسخ التلاوة دون الحكم، وهو مرفوض عندنا أيضاً؛ لأنّ الأحاديث التي دلّت على ذلك هي أحاديث آحاد.

٣. الثالث: هو نسخ الحكم دون التلاوة، وهذا النوع من النسخ هو المعروف بين العلماء والمفسّرين واتّفق الجميع على جوازه إمكاناً وعلى تحقّقه بالفعل أيضاً، حيث توجد في القرآن الحاضر آيات منسوخة وآيات ناسخة.

٤. إنّ نسخ الحكم دون التلاوة تارة يكون بواسطة سنة قطعية، وأُخرى يكون بآية ناظرة إلى الآية المنسوخة، وثالثة بآية غير ناظرة إلى لآية المنسوخة.

٥. أُشكل على نسخ الحكم دون التلاوة بأنّه مالفائدة من بقاء الآية في المصحف إذا كان حكمها منسوخ؟ والجواب: إنّ الآية لاتنحصر فائدتها في التشريع فقط، بل إنّ بقاءها فيه دلالة على مراحل الدعوة الإسلامية.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. النسخ المتفق على جوازة هو:

أ) نسخ الحكم دون التلاوة.

ب) نسخ التلاوة دون الحكم.

ج) نسخ الحكم والتلاوة والحكم معاً.

د) لم يتفق على شيء منها.

٢. نسخ مفاد آية بسنة قطعية أو إجماع

أ) نسخ غير جائز

ب) خارج عن حقيقة النسخ

ج) نسخ جائز

د) مختلف عليه

٣. لو كانت الآية الناسخة ناظرة إلى مفاد الآية المنسوخة:

أ) لم يتفقوا على صحّة النسخ.

ب) لايتحقّق النسخ.

ج) لم يتعرضوا لهذا النوع من النسخ.

د) لم يختلف على صحّة هذا النسخ أحد.

٤. يشترط في صحّة نسخ آية لآية أُخرى لم تكن ناظرة إلى مفادها...

أ) أن تكون الآية الثانية محكمة.

ب) أن تكون الآية الثانية متشابهة.

ج) أن يكون هذا النسخ مؤيداً بآية أُخرى.

د) وجود نصّ صحيح وأثر قطعيّ صريح.

٥. ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾. إنّ الاختلاف الذي تنفيه الآية الكريمة هو:

أ) حقيقي في ظرف الواقع.

ب) اختلاف المشركين أنفسهم.

ج) شكلي وفي ظاهر الأمر.

د) ب و ج صحيح.

الدرس الخمسون

المحكم والمتشابه

من الأبحاث المهمّة في علوم القرآن والتي وقع فيها كلام كثير هي أبحاث المحكم والمتشابه وطرق التفريق بينهما، ولكن لاكلام ولاجدال في أهمّية هذا البحث وفائدته الكبيرة في التعرّف تصنيف الآيات القرآنية، ومن ثَمّ معرفة مراميها وأهدافها، لاسيّما علم التفسير، وسوف نتعرّف في هذا الدرس على معنى هذين المصطلحين ودلالتهما.

ماهو المحكم؟

الإحكام: هو الإتقان، يوصف به الكلام إذا كان ذا دلالة واضحة، بحيث لا يحتمل وجوهاً من المعاني. مأخوذ من الحَكَم ـ بالفتح ـ بمعنى: المنع والسدّ، ومنه حَكَمَة اللجام ـ بفتحات ـ ما أحاط بحنكي الفرس، سمّيت بذلك لأنها تمنعه من الجري الشديد، قاله ابن فارس.

فإحكام الكلام: إتقانه تعبيراً وأداءً بالمقصود. وهذا كأكثر آيات التشريع والمواعظ والآداب.

والتشابه: مأخوذ من تشابه الوجوه، أي تماثل بعضها مع البعض، بحيث يحتمل

وجوهاً من المعاني، ومن ثَمّ كان خفاء في وجه المقصود ومنه قوله تعالى: ﴿...إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا...﴾.[١] قال الراغب:

المحكم ما لا تعرض فيه شبهة، لا من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى، والمتشابه ما لا ينبئ ظاهره عن المراد.

وعليه فالمتشابه ـ حسب المصطلح القرآني ـ هو اللفظ المحتمل لوجوه من المعاني وكان موضع ريب وشبهة.

ومن ثَمّ فهو كما يصلح للتأويل إلى وجه صحيح، يصلح للتأويل إلى وجه فاسد، ولأجل هذا الاحتمال وقع مطمع أهل الزيغ والفساد، ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله إلى ما يتوافق مع أهدافهم الضالّة.

والتفسير هو: كشف القناع عن اللفظ المشكل ـ أي المبهم ـ سواء أكان متشابهاً أم لم يكن.

والتأويل هو: إرجاع الكلام إلى أحد محتملاته العقلانيّة ولو كان ـ في ظاهره ـ واضح المدول.

عوامل التشابه

من أهمّ عوامل التشابه هو دقّة المعنى وعلوّ مستواه عن المستوى العامّ مضافاً إلى رقّة التعبير وجزالة الأداء، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾[٢] فقد وقع فيها تشبيه ذاته المقدّسة بالنور، وهو أدقّ تعبير في تقريب ذاته المقدّسة إلى أفهام العامّة، إذ لو قيل للجمهور: «الله تعالى لا ماهيّة له، ولا هو جسم ولا فيه خواصّ الجسم»، لم يقتنعوا. كيف لا ماهية له ولا جسم؟ فإذا قيل لهم: «إنّه نور»، اقتنعوا، في

---

١. البقرة: ٧٠.

٢. النور: ٣٥.

حين أنّ نفس الإجابة صحيحة يعرفها الراسخون في العلم، إذ كما أنّ النور ـ في المحسوس ـ غير قابل للإدراك ذاتاً، وإنّما يحسّ به من قبل إنارته للأشياء، كذلك وجوده تعالى ـ في غير المحسوس ـ لا يدرك هو، وإنّما يدرك بإفاضته الوجود على الموجودات، فالله تبارك وتعالى يتجلّى من خلال كلّ موجود وليس يُدرك ذاتاً، كالنّور سبب لإدراك الأشياء وتعجز الأبصار عن إدراكه بالذات.[١]

الخلاصة

١. إحكام الكلام: إتقانه تعبيراً وأداءً بالمقصود. وهذا كأكثر آيات التشريع والمواعظ والآداب.

٢. المتشابه ـ حسب المصطلح القرآني ـ: هو اللفظ المحتمل لوجوه من المعاني وكان موضع ريب وشبهة.

٣. التفسير: هو كشف القناع عن اللفظ المشكل ـ أي المبهم ـ سواء أكان متشابهاً أم لم يكن.

٤. التأويل: هو إرجاع الكلام إلى أحد محتملاته العقلانيّة ولو كان ـ في ظاهره ـ واضح المدول.

٥. من أهمّ عوامل التشابه هو دقّة المعنى وعلوّ مستواه عن المستوى العامّ، مضافاً إلى رقّة التعبير وجزالة الأداء.

---

١. راجع: *الكشف عن مناهج الأدلة* لابن رشد: ٩٢ ـ ٩٣.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. ما يوصف به الكلام إذا كان ذا دلالة واضحة.

أ) متشابه ب) محكم

ج) تأويل د) تفسير

٢. اللفظ المحتمل لوجوه من المعاني:

أ) متشابه ب) محكم

ج) تفسير د) تأويل

٣. التأويل هو:

أ) كشف القناع عن اللفظ المشكل.

ب) هو إرجاع الكلام إلى أحد محتملاته العقلانيّة.

ج) تحريف الكلام عن مقصوده.

د) لا شيء من ذلك.

٤. من أهمّ عوامل التشابه:

أ) رقة التعبير وجزالة الأداء. ب) علو مستواه وحكايته عن المضمون.

ج) علو مستواه ودقّة المعنى. د) أ و ج صحيح.

الدرس الحادي والخمسون

عوامل الإبهام ومميزاته

تعرّضنا سابقاً إلى معنى المحكم والمتشابه وطرحنا إلى جنبهما التأويل والتفسير وقد عرفناهما أيضاً لنستعين بهما على فهم المحكم والمتشابه، ثُمّ ذكرنا في آخر الدرس الماضي أهمّ عوامل التعبير، لكنّنا في هذا الدرس سنعرض عوامل الإبهام التي تحتاج إلى التفسير، لتتميز عن عوامل التشابه التي أوردناها في الدرس الماضي.

عوامل الإبهام

تعود عوامل الإبهام إلى أُمور

منها: غرابة الكلمة عن المألوف العام، نظراً لاختصاص استعمالها ببعض القبائل دون بعض، فجاء القرآن ليوحّد اللّغة باستعمال جميع لغات العرب، من ذلك «صَلّداً» بمعنى «نَقيّاً» في لغة هذيل، و«المنْسَأة» بمعنى «العصا» في لغة حضرموت وغير ذلك.

ومنها: إشارات عابرة جاءت في عرض الكلام، بحيث يحتاج فهمها إلى درس عادات ومراجعة تاريخ، كالنسيء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ...﴾،[1] أو تعابير إجماليّة يحتاج الوقوف على تفاصيلها إلى مراجعة السنّة وأقوال السلف، كقوله تعالى:

---

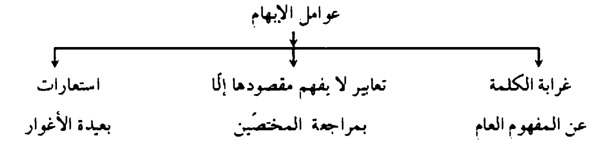
١. براءة: ٣٧.

﴿...أَقِيمُوا الصَّلَاةَ..﴾ و ﴿...وَآتُوا الزَّكَاةَ...﴾ و ﴿...لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ...﴾ وأمثال ذلك.

ومنها: تعابير عامّة صالحة لمعاني لا يعرف المقصود منها إلاّ بمراجعة ذوي الاختصاص، كالبرهان في سورة يوسف: ﴿...لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ...﴾[1] والكوثر في: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾.[2] وأمثال ذلك.

ومنها: استعارات بعيدة الأغوار، يحتاج البلوغ إليها إلى تعمّق كثير، كقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ...﴾.[3] ونحو ذلك.

وعليه فبين عوامل التشابه وعوامل الإبهام فرق ولا يشتبه مورد أحدهما بالآخر وإن كانا يشتركان في خفاء المراد بالنظر إلى ذات اللفظ.



هل في القرآن متشابه؟

لاشكّ أنّ القرآن كما هو مشتمل على آيات محكمات في أكثريّة غالبة، مشتمل على آيات متشابهات في عدد قليل. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ...﴾.[4]

سؤال: هل كانت جميع آي القرآن محكمات، فكان ذلك أسلم من الالتباس وأقرب إلى طرق الاهتداء العام؟

---

١. يوسف: ٢٤.

٢. الكوثر: ١.

٣. يس: ٦٥.

٤. آل عمران: ٧.

الجواب: إنّ وقوع التشابه في القرآن ـ الكتاب السماوي الخالد ـ شيء كان لا محيص عنه، ما دام كان يجري في تعابيره الرقيقة مع أساليب القوم، في حين سموّ محتواه عن مستواهم الهابط. القرآن جاء بمفاهيم حديثة كانت غريبة في طبيعة المجتمع البشري آنذاك، ولاسيّما جزيرة العرب البعيدة عن أنحاء الثقافات، في حين التزامه ـ في تعبيراته الكلامية ـ نفس الأساليب التي كانت دارجة ذلك العهد.

كانت الألفاظ والكلمات ـ التي كانت العرب تستعملها في محاوراتها ـ محدودة حسبما كانت العرب تألفه من معان محسوسة أو قريبة من الحسّ ومبتذلة إلى حدّ ما. فجاء استعمالها من قبل القرآن غريباً عن المألوف العامّ، ومن ثَمّ قصرت أفهامهم عن إدراك حقائقها ما عدا ظواهر اللفظ والتعبير، إذ كانت الألفاظ تقصر بالذات عن أداء مفاهيم لم تكن تطابقها، ومن ثَمّ كان اللجوء إلى صنوف المجاز وأنواع الاستعارات أو الإيفاء بالكناية ودقائق الإشارات، الأمر الذي قرّب المفاهيم القرآنية إلى مستوى أفهام العامّة من جهة وبعّدها من جهة أُخرى، قرّبها من جهة إخضاعها لقوالب لفظيّة كانت مألوفة لدى العرب. وبعّدها حيث سموّ المعنى كان يأبى الخضوع لقوالب لم تكن موضوعة لمثله. هذا هو السبب الأقوى لوقوع التشابه في تعبيرات القرآن بالذّات. مثلاً: جاء التعبير المجازي في آيتين لا تختلفان من حيث الأداء والتعبير، غير أنّ إحداهما لمّا كانت تعبّر عن معنىً هو فوق مستوى العامّة، حصل فيها التشابه، أمّا الأُخرى فكانت تعبيراً عن معنىً محسوس، ومن ثَمّ لم يقع فيها إشكال، فقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فيها مجاز الحذف، أي «إلى رحمة ربّها ناظرة» كما في آية أُخرى نظيرتها: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ...﴾،[1] أي «واسأل أهلَ القرية»، غير أنّ الأولى صارت متشابهة، لقصور أفهام العامّة عن إدراك مقام الألوهيّة، فحسبوا منها جواز رؤيته تعالى. أمّا الآية

---

١. يوسف: ٨٢.

الثانية فلم تتوقّف في فهم حقيقتها؛ لأنّها في معنىً محسوس.

وهناك عامل آخر كان ذا أثر في إيجاد التشابه في غالب الآيات الكريمة، إذ لم تكن متشابهة من قبل، وإنّما حدث التشابه فيها على ظهور مذاهب جدليّة، بعد انقضاء القرن الأوّل الذي مضى بسلام، مثلاً: لما سمعت العرب قوله تعالى: ﴿...ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يدَبِّرُ الْأَمْرَ...﴾،[1] ربّما لا تفهم منه سوى استقلاله تعالى بملكوت السماوات والأرض وتدبيره لشؤون هذا العالم نظير قول شاعرهم:

ثُمَّ اسْتَوى بِشْرٌ عَلى العِراقِ   مِنْ غَيْرِ سيفٍ ودمٍ مُهْراقِ

لكنّ الأشاعرة ـ ومن ورائهم سائر أهل التشبيه ـ أبوا إلاّ تفسيره بالاستقرار على العرش جلوساً متربّعاً فوق السماوات العلا، وقد ينزل إلى السماء الدنيا ليطّلع على شؤون خلقه فيغفر لهم ويجيب دعاءهم، إذ لا يمكنه ذلك وهو متربّع على كرسيّه فوق السماوات.[2]

الخلاصة

١. من الأمور التي أدّت إلى الإبهام هي غرابة الكلمة عن المفهوم العام، عندما كان القرآن يستخدم كلمات متعددة تختلف من قبيلة إلى أُخرى.

٢. إشارات عابرة جاءت في عرض الكلام، بحيث يحتاج فهمها إلى دراسة العادات ومراجعة التاريخ، كمفردة النسيء.

٣. مفردات يلزم الرجوع في فهمها لذوي الاختصاص، كالبرهان الذي ورد في سورة يوسف، والكوثر في سورة الكوثر.

٤. استعارات بعيدة الأغوار، يحتاج البلوغ إليها إلى تعمّق كثير، كقوله تعالى:

---

١. يونس: ٣.

٢. راجع: *الإبانة*، ٣٥ فما بعد؛ *رسالة الرّد على الجهميّة*، الدارمي: ١٣ فما بعد.

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ...﴾.[1] ونحو ذلك.

٥. إنّ القرآن كما هو مشتمل على آيات محكمات في أكثريّة غالبة، فهو مشتمل أيضاً على آيات متشابهات في عدد قليل.

٦. إنّ سبب وجود الآيات المتشابهة في القرآن هو تقريب المرامي والمقاصد القرآنية إلى أذهان وأفهام العرب، لذلك استخدم القرآن المجازات والاستعارات في الآيات المتشابهة، مضافاً إلى أنّ نفس نشوء الفرق الكلامية كان سبباً في ضمور بعض المعاني والمقاصد القرآنية.

---

١. يس: ٦٥.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة؛

١. «صَلَداً» بمعنى «نَقيّاً»، و«المِنْسَأة» بمعنى «العصا».

أ) فيها من الاستعارات العميقة.

ب) كانت من الكلمات الغريبة عن المألوف.

ج) كلمات لا بدّ من الرجوع فيها إلى ذوي الاختصاص.

د) لا شيء من ذلك.

٢. البرهان في سورة يوسف:

أ) من الكلمات الخالية عن الإبهام.

ب) من الكلمات التي تحتوي على الإبهام.

ج) لا بدّ في فهمها من الرجوع إلى ذوي الاختصاص.

د) ب و ج.

٣. الآية ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ والآية ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ...﴾:

أ) الأولى تشير إلى معنى محسوس والثانية إلى معنى اسمي.

ب) الأولى تشير إلى معنى غير محسوس والثانية إلى معنى محسوس.

ج) كلاهما يشيران إلى معنى غير محسوس.

د) كلاهما يشيران إلى معنى محسوس.

٤. من الأسباب التي دعت إلى حدوث التشابه:

أ) المذاهب الجدلية. ب) تزمت العرب وعنادهم.

ج) صعوبة الآيات القرآنية. د) الحروب التي خاضها المسلمون.

الدرس الثاني والخمسون

حقيقة التأويل

لم يكن التأويل بعيداً عن الدراسات والبحوث القرآنية منذ أن أسس هذا العلم وقامت دواعمه حيث وقف الباحثون والعلماء على معانية وأهمّيته ودوره في علوم القرآن، ونحن هناك سنحاول عرضه ولو بشكل مقتضب من أجل إيضاح ماخفي من دلائله بعد أن عرفنا معناه من خلال الدروس السابقة، لاسيّما الدرس السابق.

معنى التأويل

التأويل يستعمل بمعنى توجيه المتشابه، وهو تفعيل من الأوْل بمعنى الرجوع؛ لأنّ المؤوّل عندما يُخَرِّج للمتشابه وجهاً معقولاً، هو آخذ بزمام اللفظ ليعطفه إلى الجهة التي يحاول التخريج إليها، ومن ثَمّ يستعمل في تبرير العمل المتشابه أيضاً كما في قصّة الخضر عليه السلام، قال لصاحبه: ﴿...سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.[1] أي: سأطْلعُك على السرّ المبرِّر لأعمال أثارت شكوكك ودعتك إلى الاعتراض.

إذاً فكلّ لفظ أو عمل متشابه ـ أي مثير للرّيب ـ إذا كان له توجيه صحيح، فهذا التوجيه تأويله لا محالة. وعليه فالفرق بين التفسير والتأويل هو أنّ الأوّل: توضيحٌ ما لجانب اللفظ من

---

١. الكهف: ٧٨.

الإبهام، والثاني: توجيهُ ما فيه من مثار الريب، وقد سبق ما بين عوام الإبهام والتشابه من فرق.

وقد اصطلحوا ـ أيضاً ـ على استعمال التأويل في معنى ثانويّ للآية، فيما لم تكن بحسب ذاتها ظاهرة فيه، وإنّما يتوصّل إليه بدليل خارج، ومن ثَمّ يعبّر عنه بالبطن، كما يعبّر عن تفسيرها الأوّلي بالظهر، فيقال: «تفسير كلّ آية ظهرها وتأويلها بطنها». والتأويل بهذا المعنى الأخير عامٌّ لجميع آي القرآن، كما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«ليس من القرآن آية إلاّ ولها ظهر وبطن».[1]

وقال الإمام الباقر عليه السلام:

«ظهر القرآن الّذين نزل فيهم، وبطنه الّذين عملوا بمثل أعمالهم».[2]

فقد جاء التنزيل في كلامه عليه السلام بمعنى التفسير، أي إنّ للآية مورد نزول يكشف عن مدلولها الأوّلي المنصرم و يعبّر عنه بسبب النزول، ولا غنى للمفسّر عن معرفة أسباب النزول في كشف إبهام الآية، كما في آية النسيء ـ التوبة: ٣٧ ـ وغيرها.

نعم، هناك عموم ثابت أبدي تنطوي عليه الآية، وبذلك تشمل عامّة المكلّفين مع الأبديّة وهو بطنها وتأويلها الذي يعرفه الراسخون في العلم، ولولا ذلك لبطلت الآية. قال الإمام الباقر عليه السلام:

«ولو أنّ الآية إذا نزلت في قوم ثُمّ مات أُولئك القوم ماتت الآية، لما بقي من القرآن شيء، ولكن القرآن يجري أوّله على آخره ما دامت السماوات والأرض، ولكلّ قوم آية يتلونها هم منها من خير أو شرّ».[3]

فقوله تعالى: ﴿...وَلَيسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.[4] نزلت رادعة لعادة جاهليّة، كان الرجل

---

١. *بحار الأنوار*: ١٥٥/٣٣.

٢. *تفسير العياشي*: ١١/١؛ *بحار الأنوار*: ٩٤/٩٢، الحديث ٤٦.

٣. *تفسير العياشي*: ١٠/١، الحديث ٧؛ *تفسير الصافي*: ١٤/١.

٤. البقرة: ١٨٩.

إذا أحرم نقب في مؤخّر بيته نقباً، منه يدخل ويخرج، وهذه العادة أصبحت لا وجود لها بعد أن باد أهلها، غير أنّ الآية لم تمت بذلك وإنّما بقي عموم ردعها عن إتيان الأمور من غير وجوهها بصورة عامّة،[1] فهذا تأويلها المنطوي عليه، يعمل بها مع الأبد.

ومن ذلك تأويل الرؤيا، لأنّه معنىً خفيّ باطن لا يعرفه سوى الّذين أوتوا العلم. وقد استعمل التأويل في تعبير الرؤيا في القرآن في ثمانية مواضع من سورة يوسف: ٦، ٢١، ٣٦، ٣٧، ٤٤، ٤٥، ١٠٠، ١٠١.

واستعمل بمعنى «مآل الأمر» في خمسة مواضع: النساء: ٥٩، الإسراء: ٣٥، الأعراف: ٥٣، مكرّرة، يونس: ٣٩.

وبمعنى «توجيه المتشابه» في أربعة مواضع: آل عمران: ٧ مكرّرة، الكهف: ٧٨، ٨٢.

أمّا استعماله بمعنى «البطن» فقد جاء في الآثار ـ كما تقدّم ـ وقد أخذ منه تعبير الرؤيا كما نبّهنا.

هل يعلم التأويلَ غيرُ الله؟

لا شكّ أنّ القرآن كما هو مشتمل على آيات محكمات مشتمل على آيات متشابهات. ولا محالة يقصدها أهل الأهواء والأطماع الفاسدة، ابتغاء تأويلها وانحرافها إلى ما يلتئم مع أهدافهم الباطلة، وقد جاء التصريح بذلك في نفس الآية: ﴿...فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ...﴾.[2] فلولا وجود علماء ربانيّين في كلّ عصر ومصر ينفون عنه تأويل المبطلين ـ كما في الحديث الشريف[3] ـ لأصبح القرآن معرضاً للفساد في الدين. فيجب ـ بقاعدة اللطف ـ وجود علماء عارفين

---

١. راجع: *تفسير شبّر*: ٦٧.

٢. آل عمران: ٧.

٣. راجع: *سفينة البحار*: ٥٥/١.

بتأويل المتشابهات على وجهها الصحيح، ليقفوا سدّاً منيعاً في وجه أهل الزيغ والباطل دفاعاً عن الدين وعن تشويه آي الذكر الحكيم.

وأيضاً لو كانت الآي المتشابهة ممّا لا يعرف تأويلها إلاّ الله، لأصبح قسط كثير من آي القرآن لا فائدة في تنزيلها سوى ترداد قراءتها، وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيكَ مُبَارَكٌ لِيدَّبَّرُوا آياتِهِ وَلِيتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾،[١] ولنفرض أنّ الأمّة ـ عندما وقفت على آية متشابهة ـ راجعت علماءها في فهم تلك الآية، فأبدوا عجزهم عن معرفتها، فذهبوا ـ والعلماء معهم ـ إلى أحد الأئمّة المعصومين عليهم السلام خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله فكان الجواب اختصاص علمها بالله تعالى، لكنّهم لم يقتنعوا بهذا الجواب فذهبوا جميعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله سائلين: «ما تفسير آية أنزلها الله إليك لنتدبّرها»؟ فإذا النبي صلى الله عليه وآله لا يفترق عن آحاد أُمّته في الجهل بكتاب الله العزيز الحميد! أوَ ليست الأمم تسخر أُمّة عمّها وعلماءها وأئمّتها ونبيّها الجهلُ بكتابها الّذي هو أساس دينها مع الخلود؟ أوَ ليس النّبي صلى الله عليه وآله هو الّذي أرجع أُمّته إلى القرآن إذا ما التبست عليهم الأمور كقطع الليل المظلم؟[٢] فبماذا يرجعون إذا التبس عليهم القرآن ذاته؟ مضافاً إلى أنّا لم نجد من علماء الأمّة ـ منذ العهد الأوّل وإلى الآن ـ من توقّف في تفسير آية قرآنيّة بحجّة أنّها من المتشابهات لا يعلم تأويلها إلّا الله.

سؤال: ماذا يستفاد من الآية: ﴿...وَمَا يعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا...﴾،[٣] هل الواو للتشريك أو الاستئناف؟

الجواب: أمّا بالنظر إلى ذات الآية، فلعلّ دلالتها على التشريك واضحة؛ لأنّ مناسبة الحكم والموضوع تستدعي أن يكون المنسوب إلى الراسخين في العلم من جنس ما يتناسب مع المعرفة الكاملة، أمّا الإيمان الأعمى فلا مناسبة بينه وبين الرسوخ في العلم.

---

١. ص: ٢٩.

٢. راجع: *الكافي*: ٥٩٩/٢.

٣. آل عمران: ٧.

وعليه فرعاية المناسبة هي التي تستدعي وجوب التشريك، ليكون الراسخون في العلم ـ أيضاً ـ عالمين بتأويل المتشابهات.

اعتراض: بأنّ مقتضى التشريك هو تساوي العلماء مع الله ولو في هذه الجهة الخاصّة، وقد قال تعالى: ﴿...لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ...﴾.[1]

وأُجيب: بأنّ شرف العلم هو الّذي رفعهم إلى هذه المنزلة المنيعة، كما في قوله: ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَآئِمًا بِالْقِسْطِ...﴾.[2]

اعتراض آخر: ماذا تكون موقعيّة قوله: ﴿يقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ إذا اعتبرنا «الرّاسِخُونَ» عطفاً على «الله»؟

والجواب: إنّها جملة حاليّة، حالاً توضيحيّاً من الراسخين.

من هم الراسخون في العلم؟

الراسخون في العلم هم: العلماء الصادقون الّذين عرفوا قواعد الشريعة وموازين الشرع ومقاييسه الدقيقة، وإذا عرضت عليهم متشابهات الأمور هم قادرون على استنباط حقائقها وعلى أوجه تخريجاتها الصحيحة، ومن ثَمّ فإنّهم يعلمون بتأويل المتشابهات بفضل رسوخهم في فهم حقيقة الدين بعناية ربّ العالمين ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا...﴾،[3] ﴿وَيَزِيدُ اللّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى...﴾،[4] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ...﴾،[5] ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾.[6] أوَ ليس العلم

---

١. الشورى: ١١.

٢. آل عمران: ١٨.

٣. العنكبوت: ٦٩.

٤. مريم: ٧٦.

٥. فصّلت: ٣٠.

٦. الجن: ١٦.

بحقائق الشريعة البيضاء من الماء الغدق؟ إنّها شربة حياة العلم، يفيضها الله تعالى على من يشاء من عباده المؤمنين، ويطلعهم على أسرار الملك والملكوت في العالمين.

وأوّل الراسخين في العلم هو رسول الله صلى الله عليه وآله، ثُمّ باب مدينة علمه أمير المؤمنين عليه السلام والأوصياء من بعده عليهم السلام.

وهكذا استمرّت بين المسلمين ـ عبر العصور ـ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فثبتوا واستقاموا على الطريقة فسقاهم ربّهم ماءً غدقاً. قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«يحمل هذا الدين في كلّ قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين».[1]

وقد جاء التعبير عن علماء أهل الكتاب الربانيّين بالراسخين في العلم ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ..﴾.[2] دليلاً على أنّ العلماء العاملين الّذين ساروا منهج الدين القويم، وكملت معرفتهم بحقائق الشريعة الطاهرة، هم راسخون في العلم ويعلمون التأويل. فعن ابن عبّاس تلميذ أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنّا ممّن يعلم تأويله».[3]

وفي وصيّة النّبي صلى الله عليه وآله:

«فما اشتبه عليكم فاسألوا عنه أهل العلم يخبرونكم».[4]

فلولا أنّ في أُمّته علماء عارفين بتأويل المتشابهات لما أوصى صلى الله عليه وآله بمراجعتهم في حلّ متشابهات الأمور.

الخلاصة

١. كلّ لفظ أو عمل متشابه ـ أي مثير للرّيب ـ إذا كان له توجيه صحيح، فهذا التوجيه

---

١. *سفينة البحار*: ١/٥٥.

٢. النساء: ١٦٢.

٣. *الدر المنثور*، السيوطي: ٢/٧.

٤. *آلاء الرحمن*: ١/٢٥٨.

تأويله لا محالة، وبالتالي فهو يختلف عن التفسير الذي هو إزالة الإبهامِ عن اللفظ.

٢. لقد استعمل التأويل في معانٍ أُخرى منها البطن، فيكون تفسيرها الأُولي ظهرها والمعنى الباطني لها هو التأويل، واستخدمِ في «مآل الأمر» وتوجيه المتشابه.

٣. مقتضى ـ قاعدة اللطف ـ أن يكون هناك علماء عارفين بتأويل المتشابهات على وجهها الصحيح، ليقفوا سدّاً منيعاً في وجه أهل الزيغ والباطل دفاعاً عن الدين وعن تشويه آي الذكر الحكيم.

٤. أوّل الراسخين في العلم هو النبي محمّدﷺ ومن بعده الأئمة الأطهار، ثُمّ العلماء الربانيون.

أسئلة الدرس

اختر الإجابة الصحيحة:

١. التأويل:

أ) إزالة الإبهام عن اللفظ.

ب) تخصيص العام.

ج) توجيه المتشابه.

د) لا شيء منها.

٢. التأويل بمعنى........ عامٌ لجميع القرآن.

أ) ظهر القرآن

ب) بطن القرآن

ج) مآل الأمر

د) توجيه المتشابه

٣. الراسخون في العلم:

أ) الرسول والأئمة المعصومون.

ب) الرسول فقط.

ج) لا تصدق لا على الرسول ولا على الأئمة.

د) الرسول والأئمة والعلماء الربانيون.

٤. جملة: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾:

أ) حالية. ب) تفسيرية.

ج) في محل رفع خبر. د) أ و ب صحيحة.

٥. ﴿...وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ...﴾

أ) الواو استئنافية. ب) الواو حالية.

ج) الواو للقسم. د) الواو للتشريك.

المصادر

١. *الاتحافات السنيه بالأحاديث القدسيه*، محمد منير بن عبده أغا النقلي الدمشقي الازهري، الناشر:دار ابن كثير دمشق - بيروت.

٢. *الاتقان في علوم القرآن*، ابوالفضل جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطى، تحقيق: مركز الدرسات القرآنيه دارالنشر: مجمع الملك فهد، البلد: السعوديه.

٣. *الإتقان في علوم القرآن*، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٤. *إجمال القراء و كمال الإقراء*، السنحاوي، تحقيق: علي حسين البواب، ط١، مكتبة التراث، مكة المكرمة، ١٤٠٨.

٥. *الاحتجاج*، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تحقيق، إبراهيم البهادري، والشيخ محمد هادي به، دار الإسوة، إيران.

٦. *ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى*، أحمد بن محمد بن أبي‌بكر عبدالملك القسطلاني القتيبي المصري، أبوالعباس، شهاب‌الدين(ت:٩٢٣هـ) الناشر: المطبعه الكبرى الأميرية، مصر، الطبعه، السابعه، ١٣٢٣هـ.

٧. *أسباب النزول*، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، دار النشر والتوزيع، مكة المكرمة، ٢٠٠٦م.

٨.*أصول السرخسي*، محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي أبوبكر، الناشر: دار الكتاب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.

٩.*أصول الكافي*، محمد بن يعقوب الكليني، ضبطه جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٨م.

١٠.*أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر، سنة النشر ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١١.*إعجاز القرآن*، الباقلاني، تحقيق: السيّد أحمد صقر، ط٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.

١٢.*الاغاني*، أبو الفرج الإصفهاني الناشر: دارالفكر ـ بيروت الطبعة الثانية تحقيق:سمير جابر.

١٣.*بحارالأنوار*، محمد باقر المجلسي قدس سره، مؤسسة الوفاء ـ بيروت ـ لبنان.

١٤.*البرهان في علوم القرآن*، محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي أبو عبدالله، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم.

١٥.*بصائرالدرجات في فضائل آل محمد* عليهم السلام، الثقة الجليل و المحدث النبيل شيء القميين أبوجعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار، انتشارات أنصاريان، إيران، قم.

١٦.*بيان إعجاز القرآن*، حمد بن محمد الخطابي، طبع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٣٨٧.

١٧.*البيان في تفسير القرآن*، للامام الأكبر زعيم الحوزة العلمية السيد أبي‌القاسم الموسوي الخوئي، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان. الطبعة الرابعة.

١٨.*تاج العروس من جواهر القاموس*، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبوالفيض، الملقّب بمرتضى، الزبيدي،تحقيق: مجموعة من المحقّقين، الناشر دارالهدايه.

١٩.*تاريخ الأمم والملوكة*، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، الناشر: دارالكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧.

٢٠.*تاريخ اليعقوبي*، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضخ الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي، دار المعرفة، بيروت لبنان، ٢٠٠٦م.

٢١.*تاريخ مدينه دمشق*، أبوالقاسم على الحسن ابن هبه الله بن عبدالله الشافعي، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن رامه العمري، الناشر دار الفكر، سنه النشر ١٩٩٥.

٢٢. *التبيان*، الطوسي، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، ط ١، مكتبة الاعلام الإسلامي، قم.

٢٣. *تفسير البحر المحيط*، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي تحقيق الشيخ عادل احمد عبد الموجود، الشيخ على محمد معوض، و شارك في التحقيق: د.زكريا عبدالمجيد النوقي و د.أحمد النجولي الجمل، الناشر دار الكتب العلمية.

٢٤. *تفسير الجلالين*، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي دار الحديث ـ القاهرة الطبعة الأولى.

٢٥. *تفسير الصافي*، المولى محسن الملقّب «الفيض الكاشاني»، منشورات مكتبه الصدر، إيران، طهران.

٢٦. *تفسير العياشي*، محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي، تصحيح و تعليق: هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة الإسلامية، طهران.

٢٧. تفسير القرآن العظيم، ابوالفداء إسماعيل بن عمر كثير القرشى الدمشقي(ت:٧٧۴هـ) تحقيق: محمود حسن، الناشر: دارالفكر، الطبعة الجديدة ١۴١۴هـ/١٩٩۴م.

٢٨. *تفسير القمي*، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي، مطبوعات درا النشر والإعلام، إيران، قم، ١٤٢٣.

٢٩. *تفسير الماوردي، الكنت والعيون*، أبوالحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصيري، دار الكتب العلمية ـ بيروت/لبنان. تحقيق السيّد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم.

٣٠. *التمهيد في علوم القران*، محمد هادي معرفة، موسسة التمهيد، الطبعة الأولى، منشورات ذوي القربي، قم المقدسه، إيران.

٣١. *تهذيب الأسماء و اللغات*، أبو زكريا محيى الدين بن شرف النووي، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دارالكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٣٢. *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط الناشر: مكتبة الحلواني ـ مطبعة الملاح ـ مكتبة دار البيان الطبعة: الأولى.

٣٣. *جامع البيان في تاويل القرآن*، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبوجعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١۴٢٠-٢٠٠٠م.

٣٤.*الجامع لأحكام القرآن*، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي(ت:٦٧١) تحقيق: هشام سمير البخاري الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكه العربية السعودية الطبعة:١٤٢٣/٢٠٠٣م.
٣٥.*دلائل الإعجاز في علم المعاني*، أبو بكر عبد القاهر بن الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٣٦.*سيرة ابن هشام*، أبو محمد عبد الملك بن هشام البصيري (ت: ٢١٣هـ)، دار التعارف، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م.
٣٧.*الشفا بتعريف حقوق المصطفى*ﷺ، القاضي عياض، تحقيق: الأُستاد علي محمد الجباوي، مطابع عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
٣٨.*الشفا*، عياض بن موسى تحقيق: محمد أمين قرة علي وآخرون، ط٢، دار الفيحاء، عمان، ١٤٠٧.
٣٩.*صحيح البخاري*، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي الناشر: دار ابن كثير، اليمامة الطبعة الثالثة، ١٤٠٧-١٩٨٧ تحقيق: د.مصطفى ديب البغا.
٤٠.*صحيح مسلم*، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٤١.*علوم القرآن عند المفسرين*، مركز الثقافة والمعارف القرآنية، مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الاولى، ١٤١٧-١٣٧٥ ش، إيران، قم.
٤٢.*علوم القرآن*، محمد باقر الحكيم، مجمع الفكر الإسلامى، إيران، قم، الطبعة الثانية.
٤٣.*عمده القارى شرح صحيح البخاري*، بدرالدين العيني الحنفى، دارالنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، لسنه ٢٠٠٩م.
٤٤.*عيون أخبار الرضا*، محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمّي أبي جعفر الصدوق، (ت ٣٨١)، منشورات مؤسسه الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأُولى.
٤٥.*فتح البارى شرح صحيح البخارى*، أحمدبن على بن حجر أبوالفضل العسقلانى الشافعى الناشر: دارالمعرفة - بيروت، ١٣٧٩، تحقيق: أحمد بن علي بن حجر أبوالفضل العسقلاني الشافعي.
٤٦.*فضائل القرآن*، ابن كثير، دارالتعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م.
٤٧.*في ضلال القران*، سيد قطب، دارالعلوم، القاهرة، الطبعة الثانية، لسنة ١٩٩٨م.

٤٨. *الكامل في التاريخ*، أبوالحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني، دارالنشر: دارالمكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤١٥هـ، ط ٥٢، تحقيق: عبدالله القاضي.

٤٩. *كتاب المصاحف*، ابوبكر بن أبي داوود السجستاني عبدالله بن سليمان بن الأشعث، تحقيق: محمد بن عبده، الناشر: الفاروق الحديثه، سنةالنشر١٤٢٣-٢٠٠٢م.

٥٠. *كتاب سليم بن قيس الهلالي*، تحقيق: محمد باقر النصاري الزنجاني، إعداد مركز الأبحاث العقائدية.

٥١. *كتاب سيبويه*، أبوالبشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه،تحقيق: عبدالسلام محمد هارون دارالنشر: دارالجيل ـ بيروت.

٥٢. *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، أبوالقاسم محمود بن عمرالزمخشري الخوارزمي، تحقيق عبد الرزاق المهدي الناشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٥٣. *كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد*، العلّامة الحلي، تحقيق: آيةالله حسن زاده الآملي، سلسله الكتب العقائديه، اعداد مركز الأبحاث العقائدية.

٥٤. *كمال الدين وتمام النعمة*، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابوية القمي، مكتب النشر الإسلامي، إيران، قم.

٥٥. *لسان العرب*، ابن منظور، تحقيق: عبدالله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلى دارالنشر: دارالمعارف البلد: القاهرة.

٥٦. *مباحث في علوم القرآن*، صبحي الصالح، دارالمعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.

٥٧. *مجمع البيان*، أمين الاسلام أبي على الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسسه الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥.

٥٨. *مجمع الزوائد و منبع الفوائد*، أبوالحسن نورالدين علي ابن أبي بكر بن سليمان الهيثمي(ت:٨٠٧هـ) المحقق، حسام الدين القدسي الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة عام النشر: ١٤١٤-١٩٩٤م.

٥٩. *مستدرك سفينة البحار*، العلّامة آية الله الشيخ علي النمازي، دار النشر و التوزيع، إيران، قم.

٦٠. *المستدرك على الصحيحين*، محمد بن عبدالله أبوعبدالله الحاكم النيسابوري: دار الكتب العلمية ـ بيروت تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤١١-١٩٩٠.

٦١. *معالم التنزيل*، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبدالله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر و التوزيع.
٦٢. *معجم مقاييس اللغه*، أبوالحسين أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، الناشر: دارالفكر، الطبعه: ١٣٩٩-١٩٧٩م.
٦٣. *مفتاح الكرامة في شرح قواعد*، الفقيه السيّد محمد جواد الحسيني العاملي، حققه و علق عليه: الشيخ محمد باقر الخالصي، مؤسسه النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٦٤. *مفردات ألفاظ القرآن*، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الإصفهاني أبوالقاسم، دارالنشر/دارالقلم ـ دمشق.
٦٥. *مفهوم الإعجاز القرآني*، د. أحمد جمال العمري، دار المعارف، القاهرة.
٦٦. مقال للأُستاذ محمد إبراهيم جناتي في مجلة كيهان انديشه العدد ٢٨ لسنه ١٣٧٦ش.
٦٧. *مقالة بعنوان التمهيد للأستاذ محمد علي مهدوى راد في مجلة بينات* العدد ٣ لسنة ١٣٧٣ش.
٦٨. *مقدمة ابن خلدون*، ابن خلدون، دارالمطبوعات العربيه، سوريا، دمشق، الطبعه الرابعه، ١٩٨٥م.
٦٩. *الملل والنحل*، محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني.
٧٠. *مناهل العرفان في علوم القرآن*، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة البابي الحلبي، سوريا، الطبعة الثالثة.
٧١. *مناهل العرفان في علوم القرآن*، محمد عبدالعظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلى دارالنشر: دارالكتاب العربى: بيروت.
٧٢. *المنطق*، محمد رضا المظفر، مؤسسة مطبوعات إسماعيليان، إيران، قم، الطبعة الثانية.
٧٣. *الميزان في تفسير القران*، محمد حسين الطباطبائي، دارالأعلمي، بيروت، الطبعة الثالثة.
٧٤. *النشر في القراءات العشر*، شمس‌الدين أبوالخير بن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف(ت:٨٣٣هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع(ت ١٣٨٠هـ) الناشر: المطبعه التجاريه.
٧٥. *النقط*، أبوعمرو الداني، دارالكتاب، الأردن، عمان، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.
٧٦. *نهج البلاغة وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب* عليه السلام، شرح الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقاً، دارالمعرفة، بيروت، لبنان.
٧٧. *وسائل الشيعة*، الفقيه المُحدّث الشيخُ مُحمّد بن الحسن الحُر العاملي، المحقق و نشر: مؤسّسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التُّراث، الطبعة: الأولى ـ جمادى الثانية ١٤٠٩هـ.ق.